

الموشحات الأندلسية

تأليف

د. محمد زكريا عناني

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يديرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في شعبان 1998 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923 - 1990

31

الموشحات الأندلسية

تأليف

د. محمد زكريا عناني



1980
شعبان

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر عن رأي كاتبها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

المبتدأ المبتدأ المبتدأ المبتدأ

7	تمهيد
11	القسم الاول: النشأة والتطور نشأة الموشحات الأندلسية تطورها وأقسامها ولغتها
40	القسم الثاني: الأغراض أغراض الموشحات الأندلسية
64	القسم الثالث: وشاحو الاندلس والمغرب وشاحو الاندلس
67	الفصل الرابع طور النشأة
73	الفصل الخامس الجيل الثاني
83	الفصل السادس فترة النضج والازدهار
127	الفصل السابع وشاحو القرن السابع الهجري
143	الفصل الثامن وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين
165	الفصل التاسع بعض وشاحي المغرب في العصور المتأخرة
175	الفصل العاشر موشحون تعذر تحديد العصر الذي عاشوا فيه

181	مسك الختام
188	ملاحق
244	نماذج من الموشحات
271	نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها
277	أهم المصادر والمراجع
321	المؤلف في سطور

المتنوّع المتنوّع المتنوّع المتنوّع

لاسم الأندلس في النفوس إيقاع شجي عميق
أسر، يحمل في طياته أصداء قرون من التوهج،
ويعيد للخاطر أمجادَ مدن لا تنسى: قرطبة،
غرناطة، أشبيلية وذكرى أعلام خلدوا على مر
الزمان، وصفحات مفعمة بالشجن لرايات تطوى،
وحضارة تتطفئ وتغيب في ضباب الأيام.

انتهت الأندلس كأسطورة من الأساطير، لكن
أطرافها لا تزال تهم بين الحين والحين، وصدى
لحن قديم يسري فتهتز له النفوس، وأسماء ومعالم
لا تزول ما بقي الدهر: الحمراء، مائلة كزنبقة لا
ينطفئ منها العبير أبداً، أزجال ابن قرمان بكل ما
تنبض به حيوية وعذوبة، والموشحات: نهر جياش،
يتدفق بالشذى والرؤى.

وقد شغلت الموشحات أجيالاً من العلماء في
الشرق والغرب، ولا تزال تغري بالبحث، وتكشف
من حين لآخر جوانب وضاء من هذا الفن الذي
اجتمعت له عناصر الأصالة والجدة، وتمثلت فيه
عبقرية الشاعر الأندلسي، بكل ما فيها من غنائية
وأخيلة وإحساس بالحياة.

وقد بدأنا- في القسم الأول من هذا الكتاب-
بالحديث عن مصادر دراسة الموشحات، ثم سعينا
إلى تحديد ملامح نشأتها وتطورها وأقسامها،
ونظام الأوزان والقوافي التي سارت عليها.

أما القسم الثاني فيدور حول الموضوعات التي

تناولها أدباء التوشيح، وهي في واقع الأمر-عين الأغراض التي شاعت في الشعر العربي «الكلاسيكي»، وان كان الوشاحون قد استطاعوا إضافة لون من الجودة في النسيج الفني للموشحة، ومرد هذا إلى اللمسة الشعبية التي تمثلت هنا وهناك، وإلى تركيز العناية حول الوصف والغزل وما إلى ذلك من أغراض، ومن البيهبي-والأمر كذلك-أن تزخر الموشحات بالصور النابضة عن البيئة الأندلسية، وأن تأتي-في مجموعها-بعيدة عن الكلف «تشق على سماعها مصونات الجيوب، بل القلوب»، على حد تعبير ابن بسام صاحب الذخيرة.

ونصل للقسم الثالث، ويجد القارئ فيه لمحات عن أكثر من مائة وشاح أندلسي-لا نظن أنهم ذكروا جميعاً من قبل في كتاب واحد-وقد تلتقنا أخبارهم من مصادر شتى، منها-على سبيل المثال كتاب الذخيرة و«المغرب في حلي المغرب» و«المقتطف من أزاهر الطرف» و«دار الطراز في عمل الموشحات» و«توشيح التوشيح» و«الوافي بالوفيات» و«فوات الوفيات» و«عنوان الدراية» و«الكتيبة الكامنة» و«نفح الطيب» و«أزهار الرياض»، وعدد جم من الكتب المطبوعة والمخطوطة.

وأضفنا-في نهاية المطاف-ملحقاً يضم منتخبات تمثل الموشحات في عصورها وألوانها المختلفة، كما قدمنا عدداً من النصوص الهامة حول الموشحات، انتخبناها من المصادر المعتمدة، وعلقنا عليها بما يناسب المقام. وغني عن القول أن هناك زوايا عديدة لم نشأ أن نتطرق إليها هنا (منها على سبيل المثال، علاقة الموشحات بأغاني الترو بادور)، وجوانب عالجنها في إيجاز شديد، وقد تعمدنا أن يكون الحديث كله مركزاً حول الموشحات الأندلسية، وحدانا إلى هذا أن معظم ما هنالك من كتب عن الموشحات يفرق في الاستطرادات أو يركز على زوايا الموسيقى والغناء والأوزان، حتى لا يكاد يجد القارئ فيها ما يروي الغلة عن الموشحات نفسها.

وحرصنا كذلك على أن يكون الكتاب ميسوراً للقارئ العام، ومن ثم نحينا جانباً القضايا الدقيقة التي لا تعني إلا المتخصصين، واكتفينا برسم الخطوط العامة للموضوع، تاركين التفاصيل لدراسات أكثر رحابة.

وننبه هنا إلى أننا لم نعرض في هذا الكتاب للوشاحين المشاركة (وسبق أن قدمنا عنهم وعن النصوص المشرقية دراسة-بالفرنسية-في زهاء ألف

تمهيد

صفحة) على أمل أن نقدم عنهم كتاباً مستقلاً في أمد قريب بإذن الله .
وأرجو-في الختام-أن يجد القارئ الكريم في هذه الصفحات ما يغريه
بالمزيد من القراءة في الأدب العربي، وأن تدفعه للعودة إلى كنوز التراث
الإسلامي في كافة مجالاته ومختلف عصوره، وهو تراث غني-والحمد لله-
بكل ما يضيء الأذهان، ويمتغ النفوس.

د. محمد زكريا عناني

مكة المكرمة - يناير 1979 م

القسم الأول
النشأة والتطور

نشأة الموشحات الأندلسية تطورها وأقسامها ولغتها

١ - مصادر دراسة الموشحات (*):

ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى مجموعتين: مغربية ومشرقية، أما المصادر المغربية (وتتضمن الأندلسية بطبيعة الحال) فإنها تمدنا أساساً بقدر وفير من النصوص، ولكنها لا تتضمن إلا معلومات ضئيلة عن البناء الفني للموشحات، ولنسجل في الوقت ذاته أن عدداً من المؤلفات الأدبية التاريخية الأندلسية تجاهل هذا الفن تماماً، أو اكتفى بتقديم إشارة عابرة عنه.

ويعجب الإنسان أشد العجب حين يتبين أن كتاب العقد الفريد على ضخامة حجمه، لا يشير البتة للموشحات، في الوقت الذي تزعم فيه بعض المصادر أن مؤلفه ابن عبد ربه كان من أوائل الذين وضعوا الموشحات.

وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة^(١) لا يذكر عن هذا الفن إلا عبارات متناثرة، وقد نص مؤلفه ابن بسام على أنه لن يتعرض لها في كتابه لأن «أوزانها خارجة عن غرض الديوان، إذ أكثرها على غير أعاريض شعر العرب» ولا يشير الفتح

ابن خاقان، صاحب قلائد العقيان في محاسن الأعيان ومطمح الأنفس للموشحات بالمرّة، وأما عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب فإنه يعتذر عن عدم ذكر الموشحات لأن «العادة لم تجر بإيرادها في الكتب المخدلة».

ومن الذين ذكروا الموشحات من مؤرخي الأندلس والمغرب ابن دحية صاحب المطرب من أشعار أهل المغرب ولكن هذا الفن لا يحتل إلا منزلة ثانوية في كتابه. (2)

وأما ابن سعيد المغربي، وعلى الرغم من أنه اهتم بالموشحات في المغرب في حلي المغرب، كما تعرض لها في كتاب آخر له (لم يطبع بعد) هو المقتطف من أزهار الطرف (3) فإنه لم يتناول الجوانب الفنية، أو يسعى لإبراز صورة جليلة عن الموشحات.

والمقري في كتابيه: نوح الطيب و أزهار الرياض يكتفي بتقديم طائفة من النصوص المختارة من موشحات أهل الأندلس والمغرب ومن نسج على منوالهم من الشعراء المشاركة.

وأما كتاب جيش التوشيح لسان الدين بن الخطيب فلا يضم سوى مختارات من الموشحات، واكتفى مؤلفه بأن وضع له مقدمة في صفحة واحدة.

وهناك أيضاً لابن بشرى الغرناطي كتاب عنوانه عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس (4) اشتمل على أكثر من ثلاثمائة موشحة، ولكنه لم يتضمن مقدمة ذات شأن عن هذا الفن.

ولا يفوتنا أن نشير إلى كتاب ابن سعد الخير البلسي عنوانه «نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس» لكن هذا الأثر مفقود في الوقت الحاضر.

وينطبق هذا القول على عبد العزيز القشتالي مدد الجيش، وهو ذيل على كتاب جيش التوشيح لابن الخطيب (5)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصفحات القليلة التي يجدها القارئ عن الموشحات في مقدمة ابن خلدون نقلت بنصها من كتاب «المقتطف» لابن سعيد، ولم يضيف ابن خلدون إليها إلا أشياء ثانوية.

هذا عن المصادر المغربية (6)، أما المصادر المشرقية فأهمها كتاب دار

نشأة الموشحات الأندلسية

الطراز-وسنعود إليه بعد قليل-، وهناك ملحوظات عن هذا الفن في العاقل الحالي والمرخص الغالي للصفى الحلى وفي المستطرف من كل فن مستطرف للأبشيىه و سفينة ابن مباركشاه والدر المكنون في السبع فنون لابن إياس، وفي «خلاصة الأثر» للمحبى.. الخ، وما نجده في كتب التراجم مثل معجم الأدباء لياقوت الحموى و الوافى بالوفيات للصفدى و فوات الوفيات لابن شاكرا، و المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى... الخ، والملاحظ-مع ذلك-إن ابن خلكان-فى كتابه الضخم وفيات الأعيان-لم يذكر حرفاً واحداً عن الموشحات، وقد أرخ لابن بقى فاكتفى بأن قال عنه: «صاحب الموشحات البديعة» ولم يشر للموشحات البتة وهو يتحدث عن غير ابن بقى من شعراء الأندلس، والأكثر من ذلك ترجم لابن عبد ربه-الذى جاء فى بعض الكتب عنه أنه كان من أوائل الذين نظموا الموشحات-إلا أن ابن خلكان صمت تماماً عن تناول هذه القضية.

لكن هناك-على كل حال-كتاباً للصفدى عنوانه توشيح التوشيح يتضمن عدداً من موشحات المغاربة وأهل الأندلس، وموشحات شعراء مشاركة، وفيه قدر وفير من موشحات الصفدى نفسه. ولهذا الكتاب مقدمة ضافية، لكن جل ما جاء فيها مستمد من مقدمة كتاب دار الطراز⁽⁷⁾ وهناك كتاب مفقود فى الوقت الحاضر، لصدر الدين بن الوكيل عنوانه طراز الدار وهو عنوان قد ينم عن أن مؤلفه سار فيه على نهج ابن سناء فى دار الطراز. ومن الكتب التى لا تزال مخطوطة كتاب عقود اللآلى فى الموشحات والأزجال⁽⁸⁾ لشمس الدين النواجى وكتاب سجع الورق المنتخبة فى جمع الموشحات المنتخبة.

ونشير فى ختام المطاف إلى مجموعة تحمل عنوان العذارى فى الأزجال والموشحات⁽⁹⁾ وطبعت فى أوائل هذا القرن، وهذه المجموعة اختارها أديب لبنانى (فيليب قعدان الخازن) من مخطوطة عثر عليها فى بعض مكاتب إيطاليا.

هذه إلمامة بأهم مصادر دراسة الموشحات فى المغرب والمشرق⁽¹⁰⁾، وأما دار الطراز-الذى نوهنا من قبل بأهميته-فكتاب صغير طبع منذ حين فى نحو مائة وخمسين صفحة، ويضم أربعاً وثلاثين موشحة أندلسية ومغربية أردافها ابن سناء الملك بخمس وثلاثين موشحة من نظمه هو (وأضاف إليها

المحقق موشحتين آخرين عشر عليهما في مخطوطة فصوص الفصول و عقود العقول لابن سناء الملك)، أما أهم ما جاء في الكتاب فهو المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لمجموعته تلك، وتقع في النسخة المطبوعة-في نحو عشرين صفحة، تحدث فيها عن الموشحات وأقسامها وأوزانها الخ.. وسنعود مرات عديدة لهذه المقدمة حين نتناول أقسام الموشحة وأوزانها.

2- نشأة الموشحات بين المشرق والمغرب:

علينا بادئ ذي بدء-أن نحدد موقفنا بإزاء تلك المشكلة التي طالما تناولتها- ولا تزال تتناولها-الأقلام. كلما عرضوا لبدء ظهور الموشحات، و يثور الجدل في الغالب حول النص الشهير:

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي

قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

فهذه الموشحة نسبت في بعض الأحيان لعبد الله بن المعتز (توفى سنة 295هـ) وهو-كما نعرف جميعاً-شاعر عباسي مشرقي، لا علاقة له بالأندلس لا من قريب ولا من بعيد.

لكن هذا النص نفسه (الذي يجئ في بعض المراجع: أيها الشاكي) ينسب في العديد من المصادر للوشاح الأندلسي أبي بكر بن زهر، المعروف بالحفيد (توفى سنة 595 هـ)⁽¹⁾، وقد ذكر كامل كيلاني في كتابه نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي:

«لو لم يخترع الأندلسيون الفن المسمى بالموشحات لآخترعه الشرقيون فقد كان حتماً أن يؤدي الغناء ومجالسه في الشرق إلى نفس هذه النتيجة التي انتهى إليها في الأندلس.»

وفي موشحة ابن المعتز الرائعة.. أكبر دليل على صحة ما نقول، فقد أنشأ ابن المعتز تلك الموشحة الفذة في القرن الثالث، أي في نفس القرن الذي اخترع فيه مقدم بن معاصر موشحاته في الأندلس وأضاف:

«ولعل أغرب ما نذكره بهذه المناسبة إغفال مؤرخي الأدب جميعاً ذكر هذه الموشحة التي قالها ابن المعز، كأن هذا الحدث الجلل الذي ترك أوضح الأثر في البلاغة العربية أقل خطراً لفت اهتمام ابن المعتز بالمحسنات البديعية⁽²⁾.

نشأة الموشحات الأندلسية

والحقيقة التي لم يتبها لها كامل كيلاني ومن تابعه في رأيه هذا أن كل الاعتبارات تقود إلى رفض نسبة هذه الموشحة لابن المعتز، وإلى القول بأنها أندلسية التأليف، على النحو الذي تؤكدُه مصادر عديدة مثار: دار الطراز⁽³⁾ و المغرب في حلي المغرب⁽⁴⁾ و معجم الأدباء⁽⁵⁾ والوافي بالوفيات⁽⁶⁾ و عقود اللآل في الموشحات والأزجال⁽⁷⁾ وأهم من هذا كله المطرب⁽⁸⁾ لابن دحية تلميذ ابن زهر.

وهناك نص نسبة الدميري لأبي نواس أوله:

ما روض ربحانكم الزاهر

وما شذئى نشاركم العاطر

وتتحدث بعض المراجع عنه على اعتبار أنه من الموشحات، وواقع الأمر أن هذه القطعة مخمسة لا موشحة، وهي-كما مر بنا في التمهيد-«مكذوبة النسبة»، وقد عرضنا كذلك للنص الذي نسب إلى ديك الجن الحمصي، وما يداخلنا بإزائه من الشكوك.

وعلى كل، فإن هذين النصين الأخيرين لا يثيران جدلاً يستحق الذكر، أما النص الذي نسب إلى ابن المعتز، فلا يزال يغري فريقاً من الدارسين، فيدفعهم إلى الجزم بأن الموشحات إنما ولدت بالمشرق وعلى يد ابن المعتز، ومن هؤلاء د. صفاء خلوصي الذي يذكر في كتابه: فن التقطيع الشعري والقافية:

«ونحن ممن يعتقدون بأنه (أي الموشح) فن نشأ في المشرق، ولكنه تطور في المغرب، وبلغ ذروته في القرنين السابع والثامن للهجرة (كذا) وباعتقادنا أنه ظهر أول ما ظهر في العراق، وأن أول موشحة في تاريخ الأدب العربي هي موشحة «أيها الساقى...» وفيها-كما يرى الفاحص المدقق-نفس أمير وإبداع رجل متفنن...»⁽⁹⁾.

وفي هذا الرأي رفض-بلا دليل بيّن-لما ذكرته المصادر المعتمدة في تاريخ الموشحات، وليس صحيحاً أن هذا الفن بلغ ذروته في القرنين السابع والثامن وبحسبنا أن نذكر هنا ما قاله له لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة 711 هـ أي أنه عاش في النصف الثاني من القرن السابع وأوائل القرن الثامن): «ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها...»⁽¹⁰⁾.

هذا رأي يقول إن بدء ظهور الموشحات كان بالعراق، يصدر عن باحث عراقي، وهناك رأي آخر لباحث يمني، يزعم فيه أن الموشحات ظهرت أول ما ظهرت باليمن، ففي كتاب أحمد حسين شرف الدين:

الطرائق المختارة من شعر الخفنجي والقارة:

«لا يوجد بين ظهرانينا أي مصدر يثبت لنا الزمن الذي نشأ فيه الموشح في المحن، إلا أننا نستطيع أن نحدد القرن الثالث الهجري تاريخاً له بدليل ظهوره بعد ذلك في القرن الرابع بالتحديد في الأندلس، على يد رجل ضرير يدعى محمد حمود أو محمود القييري، نسبة إلى قبرة.. والذي أراه أن القبري كان تصحيفاً من القييري. وآل القييري مشهورون بخولات الطبال، شرقي صنعاء».

ويمضي المؤلف مفترضاً بعد ذلك-استناداً إلى هذا الضرب من الاستنتاجات-أن الموشح «اليمني» تطور شيئاً فشيئاً على يد زرياب وغيره من الموسيقيين، ويفضل ابن القزاز وابن ماء السماء وغيرهما من شعراء الأندلس، ثم يضيف أن الموشح «انتقل في غضون القرن السابع الهجري إلى رحاب ابن سناء الملك المصري»

ومما لا ريب فيه أن مثل هذه «الاستنتاجات لا تصمد أمام أقوال الثقات من المؤرخين، ممن اتفقوا. على أن الموشحات «مما ترك الأول للأخر، وسبق بها المتأخر المتقدم، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق»⁽¹¹⁾ وهناك غير ما رأينا ما هو أمعن في الغرابة، يأتي في كتاب لمحمد عبد المنعم خفاجي بعنوان: البناء الفني للقصيد العربية⁽¹²⁾ وفيه أنه ورد في كتاب عن الموشحات، لعلام خليل (مخطوط بكلية اللغات) نقلاً عن كتاب بعنوان: القصيدة الدرويشية في تحرير السبع فنون الأدبية⁽¹³⁾ ما يقال من أن أول التواشيع غنى به أولاد النجار عند هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، إذ استقبلوه والجواري ينشدون:

أشـرقت أنوار محمد

واختلفت منه البـدور

يا محمد يا محمد

أنت نور فوق نور

وليس في النص ولا في المرجع الذي يذكره ما يحمل على الاعتداد به،

نشأة الموشحات الأندلسية

لكن الأعجب من هذا أن د. مصطفى الشكعة في كتاب له عن: الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه يأخذ به ويحور فيه و يضيف إليه؟ فهو يقول، في معرض الحديث عن الخرجات في الموشحات:

«ولا زالت ترن في أسماعنا في مطلع كل عام هجري الأنشودة الطريفة التي استقبل بها أهل المدينة محمداً صلى الله عليه وسلم:

طالِعَ البَدْرُ عَلَيْنَا
مِن ثَنِيَّاتِ الوُدَاغِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا
مَادَعَا لِهَدَاغِ
أَيُّهَا المَبْعُوثُ فِينَا
جِئْتِ بِالأَمْرِ المَطَاغِ

وفيهما يمعن أهل يثرب في إبداء ابتهاجهم بالرسول اسماً وصفة في قولهم:

أشـرقت أنوار أحمد
واختضت منها البُـدورُ
يا محمد يا مُحمد
أنت نورٌ فوق نور

وجدت إذن في بواكير الشعر العربي أنماط من الأوزان تتساقط فيها القوافي في كل مصراع لكي تساعد المنشد أو المغني-محترفاً كان أو هاوياً- على أن يجد إيقاعاً يعتمد عليه... (14).

و د. الشكعة لم يذكر أن هذا النص (وهو في حقيقة الأمر نصان لا علاقة للثاني منهما بالأول) من الموشحات، وإن كان ذكره في ثنايا الحديث عنها، والصلة بينه وبين ما جاء في كتاب خفاجي الذي ذكرناه لا تخفى.

3 - ظهور الموشحات الأندلسية:

اشتقت كلمة الموشح، على أرجح الظن، من المعنى العام للتزيين، سواء كان ذلك وشاحاً أم قلادة مرصعة، أم غير ذلك (1).

واستعملت الكلمة في أحايين كثيرة للتعبير عن بعض المعاني البلاغية... (2) لكن الذي يعيننا هنا منها دلالتها على قالب من قوالب الشعر العربي،

عرف على مدى الأيام باسم الموشحات أو التوشيح أو الموشح، وعرف الناظم فيه باسم الوشاح، وان لم يؤثر عن واحد ممن برعوا في الموشحات أنه اقتصر على النظم فيها وحدها، بل المعروف أن شعراء الأندلس كانوا يقرضون الشعر وينظمون الموشحات، وإذا كانت شهرة عدد منهم قد تمثلت في هذا الفن، فليس معنى هذا أنهم اقتصروا عليه.

وفي كتاب: الذخيرة أن «أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد بن محمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي أو العجمي-ويسميه المركز-، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان»⁽³⁾.

وفي مقدمة ابن خلدون:

«وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التتميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح.. وكان المخترع (له) مقدم بن معافر الفريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد»⁽⁴⁾.

ويتناول ابن شاعر الكتبي مؤلف فوات الوفيات الموضوع بدوره فيقول: «وقيل إن ابن عبد ربه صاحب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، ثم نشأ عبادة بن عبد الله، وهو ابن ماء السماء فأحدث التصغير (لعلها: التضمين، الذي جاء ذكره في «الذخيرة» وإن يظل المعنى غامضاً)، وذلك أنه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز»⁽⁵⁾.

والآراء حول النشأة الأندلسية للموشحات أكثر من أن تحصى، ولكن ليس معنى هذا أن الموشحات. ظاهرة مستقلة لا علاقة لها بالشعر العربي، فمؤلفو الموشحات هم أولاً وأخيراً شعراء عرب، وهذه حقيقة لم ينكرها حتى المستشرقون المنادون بأن في الموشحات عناصر إسبانية محلية.

وقد تطرق كثيرون لهذه القضية في الماضي وفي الحاضر، وهناك نص هام حولها أورده الصلاح الصفدي، نقلاً عن أبي الحسن علي بن سعد الخير:

نشأة الموشحات الأندلسية

«ووجدنا بعض المتأخرين كمهيار الديلمي، وأبي محمد القاسم الحريري وغيرهما قد استتبطنوا من تلك الأعاريض أقساماً مؤلفة على فقر مختلفة وقواف مؤتلفة. قلت (أي الصفدي): يعني بذلك أشعار العرب في أبحر العروض-قال (أي أبي سعد الخير: وسموها ملاعب وهي قصيدة قائمة على قواف رباعية أو غير رباعية واستتبطن منها أيضاً أهل الأندلس ضرباً قسموه على أوزان مؤتلفة وألحان مختلفة، وسموها موشحات وجعلوا ترصيع الكلام، وتتميق الأقسام، وتوشيحاً وكانوا أول من سن هذا الطريق ونهجه، وأوضح رسمه ومنهجه» (6).

أما المستشرق الإسباني «إيميليو جارثيا جومث» فإنه يرى أن الموشحات تضمنت عناصر عربية أصيلة، وفي بنائها الفني تشابه كبير مع بناء المسمطات والمخمسات ولكنه يعتقد أن في الموشحات عناصر محلية إسبانية، تتمثل في الجزء الأخير من الموشحة أي في «الخرجات» وسنوضح ذلك بعد قليل (7).

4- تركيب الموشحة:

ونحن نتحدث عن الموشحات سنمر بعدد من المصطلحات، ومن الأفضل أن نتبين معالم هذه المصطلحات من خلال التطبيق على واحد من النصوص الشهيرة، وليكن هذا النص موشحة للأعمى التيطلي (1):

ضاحاكُ عن جُمان
سافرُ عن بادر
ضاق عنهُ الزمان
وحواهُ صادري

آه ممَّأ أجد
شمةً نني ما أجد
قيام بي وقعد
باطش مُنَّئد
كلَّما قلتُ قد
قال لي أيمن قد

وانثني خُوطُ بانُ
 ذامه زَنُ ضرر
 عابثُته يَدانُ
 لاصبا والقطر

ليُسن لي منك بُدُ
 خذ فؤادي عن يدُ
 لم تُدع لي جأدُ
 غير أنني أجهدُ
 مكرعُ من شُهُدُ
 واشتياقي يشهدُ

مالبينت الدنانُ
 ولذاك الثغر
 أين مَحْيَا الزمانُ
 من حُمَيَّا الخمر
 بي هوئُ مُضْمَرُ
 لبيت جَهْدِي وفقهُ
 كُأما يظهرُ
 ففؤادي أفقه
 ذلك المنظرُ
 لا يُداوي عشقه
 بأبي كيُف كان
 فالكافي دُري
 راق حنني استبانُ
 عُذْرهُ وعُذْري
 هل إليك سبيلُ
 أو إلى أن أياسا

ذُبْتُ إِلَّا قَائِيْلُ
عَبْرَةً أَوْ نَفْسًا
مَاعَسَىٰ أَنْ أَقْوَلُ
سَاءَ ظَنِّي بِعَاسَىٰ

وانقضى كُـلُّ شَأْنٍ
وَأَنَا أَسْتَشْرِي
خَالِعاً مِنْ عَنَانٍ
جَزَعِي وَصَبْرِي

مَاعَاسَىٰ مَنْ يَأْوِمُ
لَوُتِنَاهِي عَنِّي
هَلْ سَوَىٰ حَسْبَ رِيمٍ
دِينُهُ التَّجَنِّي
أَنَا فِيهِ أَهْيَمُ
وَهُوَ بِي يَغْنِي

قَدْ رَأَيْتُكَ عَيَانٍ
لَيْسَ عَلَيْكَ سَاتِدْرِي
سَايَطُ وُلُ الزَّمَانِ
وَسَتَنَسِي ذَكْرِي

وإذا طبقنا المصطلحات التي استعملها ابن سناء الملك في مقدمة دار الطراز⁽²⁾ قلنا إن هذه الموشحة مما يطلق عليه اسم «الموشح التام» ونص قوله: «الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات، ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أفعال وخمسة أبيات و يقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ بالأفعال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات.» ووفقاً لهذا الحكم يكون مطلع الموشحة:

ضاحكٌ عن جُـمَانٍ
سافـرٌ عن بـدر

ضاقَ عنهُ الزَّمَانُ
وَحَوَاهُ صَدْرِي
وهذا المطلع هو القفل الأول من أقفال الموشحة.

القفل:

وقد عرف ابن سناء الملك الأقفال بأنها «أجزاء مؤلفة، يلزم أن يكون كل قفل منها متفقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها».. والقفل، كما تقدم، يتردد في الموشح ست مرات في التام، وخمس مرات في الأقرع وأضاف:

«وأقل ما يتركب القفل من جزأين فصاعداً، إلى ثمانية أجزاء، وقد يكون في النادر ما قفله تسعة أجزاء وعشرة أجزاء»⁽³⁾ «والجزء من القفل لا يكون إلا مفرداً» والقفل في موشحة الأعمى التطيلي السابقة يتركب من أربعة أجزاء، بنيت على قافيتين «أ، ب، أ، ب»، وذكر من أمثلة الأقفال المركبة من جزأين:

شَمْسٌ قَارَنْتُ بِدِرَا
رَاحٌ وَنَدِيمٌ (4)

ومن أمثلة ما ركب من ثلاثة أجزاء:

حَلَّتْ يَدُ الْأَمْطَارِ
أَزْرَةَ النَّوَارِ فَيَاخُدْنِي

ومن أمثلة ما ركب من خمسة أبيات:

يَا مَنْ أَجُودُ وَيَبْخُلُ
عَلَى شُحِّي وَافْتِقَارِي
أَهْوَائِكُ وَعَنْ نَدِي زِيَادِهِ
مِنْهَا شَوْقِي وَادِّكَارِي

إلى آخر ما يمكن أن يكون عليه القفل من أجزاء.

البيت:

ومعنى البيت في الموشحة غير معناه في القصيدة التي يأتي فيها البيت مكوناً من شطرين:

والبيت الأول، في موشحة الأعمى التطيلي:

أه مَمَّأ جَدُّ
 شَمَّأ نَنِي مَأ جَدُّ
 قَام بِي وَقَّعَدُّ
 بَاطَش مَتَّئِدُّ
 كُأ مَأ قَاتُ قَدُّ
 قَال لِي أَيَّن قَدُّ

وعرف ابن سناء الملك الأبيات بقوله أنها «أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة، يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقاً مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزائها، لا في قوافيها بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر.

والبيت السابق يتركب من ثلاثة أجزاء مركبة، أي أن كل جزء يضم فقرتين.

ومن الأبيات ما قد تأتي مفردة كما في المثال التالي:

أرى لك مُهتدً

أحاط به الإثمدً

فجرّد ما جرّدً

وهناك أمثلة عديدة للأبيات ذات الأجزاء المفردة أو المركبة، ونضيف إلى ما ذكرناه المثال التالي، الذي يتضمن خمسة أجزاء، كل جزء منها تركب من فقرتين:

هَنَ الظُّبَاءُ الشَّمْسُ

قَنِي صُهُنَ الضُّيُغَمُ

مَا إِن لَهَا مِن كُنْسُ

إِلَّا أَلَةُ أَوْبِ الْهُيَّيْمُ

الْقَرْبُ مِنْهَا عُرْسُ

وَأَلْبُعْدُ عَنْهَا مَا تَمُ

تَأُكُ الشُّفَاهُ الْعُيْسُ

يَحْيَا بِهِنَ الْمُغْرَمُ

لَهَا لِحَاطُ نُعْسُ

تَرْنُو إِلَى مَنْ يَسْقَمُ

وقد لا يبدأ الموشح في بعض الأحيان بالقفل بل بالبيت مباشرة، وفي هذه الحالة يطلق على الموشح اسم الأقرع.

الخرجة:

وهي القفل الأخير في الموشحة، وسنعود إليها لنتناولها في شيء من التفصيل بعد قليل.

هذه أهم المصطلحات التي نجدها في مقدمة «دار الطراز» وهي التي ينبغي الاعتماد عليها أساساً حين يتحدث الإنسان عن الموشحات ومصطلحاتها⁽⁶⁾.

إلا أن هناك بعض مصطلحات تردت في بعض المصادر الأخرى الهامة، مثلما رأينا فيما قدمنا من مقتطفات عن الموشحات، نقلاً عن ابن بسام في «الذخيرة» وابن خلدون في «المقدمة»، ومن هذه المصطلحات «المركز» و«الأغصان» و«التضمين» في عبارة ابن بسام و«الأسماط» و«الأغصان» التي «يكثر الوشاحون منها ومن أعاريضها».

والنقاش قد يمتد بنا طويلاً إذا ما سعينا إلى قلب الدلالات والاحتمالات، ونكتفي هنا بأن نرجح أن المقصود بالمركز هو القفل، أما الأسماط، فليس ببعيد أن يكون المراد منها أجزاء الأقفال وأما الأغصان فيرجح في ظل هذا التفسير أن تؤدي معنى أجزاء الأبيات، وتبقى كلمة «التضمين» غامضة لا نعرف ما الذي أرادوه بها، وقد رأينا في «فوات الوفيات» كلمة أخرى هي «التضفير» وليس ببعيد أن تكون هذه اللفظة الأخيرة هي بعينها «التضمين» بعد أن أصابها شيء من التحوير.

ويرى القارئ في بعض المصادر الأخرى مثل «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي مصطلحاً آخر هو «الدور» و يأتي في مقابل «البيت» وقد انتشر استعمال لفظة «الأدوار» في العصور المتأخرة، في كثير من الأغاني والأزجال، بمعنى أن «الدور» أصبح وحدة فنية قائمة بذاتها.⁽⁷⁾ والدارسون المحدثون يختلفون فيما بينهم فيما يتصل بتلك التسميات فالدكتور مصطفى عوض الكريم، مؤلف كتاب هام عنوانه «فن التوشيح» يطلق⁽⁸⁾ على القفل الأول اسم «المطلع» أو «المذهب» ويستخدم كلمة «الدور» للدلالة على ما أسماه ابن سناء الملك بـ «البيت».

أما البيت فقال إنه «الدور مع القفل الذي يليه» وأطلق لفظة الغصن على «القسم الواحد من المطع أو القفلة أو الخرجة» و «الغصن» عنده مساو لـ «الجزء» عند ابن سناء الملك، كذلك استعمل كلمة «الأسماط»، جمع سمط، حين تحدث عن أجزاء البيت (بحسب اصطلاح ابن سناء الملك أو الدور بحسب اصطلاحه هو)، وعلق على هذا الاستعمال قائلاً:

وجدير بنا أن نذكر أن هذا التعريف للغصن والصمت هو الذي ارتضىناه بعد طول النظر في أجزاء الموشحات، فإننا لم نجد أحداً ممن سبقنا له تعريف واضح محدد لها، وقد يستعمل أحدهما أو كلاهما في معنى الدور أو القفل. ولم يرد اللفظان في كتاب دار الطراز، ويستعمل ابن سناء الملك بدلاً منهما معاً لفظة «جزء»، وقد وردت لفظة الأغصان في كلمة لابن بسام يصف فيها اختراع المرشحات وتطورها، ومعناها غير واضح ولا محدد ويخيل لي أنه يقصد بها الأدوار والقفلات، ما عدا الخرجة، التي يشير إليها إشارة واضحة بلفظة

المركز: (9)

أما د. جودت الركابي في كتابه في الأدب الأندلسي فيلتزم بمعظم المصطلحات التي جاءت في «دار الطراز»، ولكنه يضيف أن وشاحي الأندلس حاولوا أن يفتتوا في الأقفال والأبيات وعدد أجزائها، والتزام قوافيها، ليصلوا من ذلك، إلى أنواع جديدة تحمل أسماء جديدة، فمن ذلك أن يسموا القفل لازمة إذا كان القفل بيتين صدرهما قافية واحدة، وعجزهما كذلك، ثم يأتي بعد ذلك البيت ثلاثة أجزاء، وكل جزء فقرتان، متفقة صدرهما في القافية، قيا يأتي القفل، وبعده بيت، وهكذا إلى النهاية... وأضاف بعد ذلك:

«وكل قفل مع البيت الذي يليه يسمى السمط، ونرى أن الموشحة تتألف من عدة أسماط متشابهة في أفعالها، مختلفة في أبياتها، وهذا ما يكون نوعاً من الترصيع يقربه من وشاح المرأة الذي شبهت به الموشحات»⁽¹⁰⁾.
اختلف الناس فيما بينهم إذن، وحاول الدارسون على مدى العصور أن يجلوا ما يحيط بالمصطلحات القديمة من غموض، ولكنهم، قدماء ومحدثين، اتفقوا في التسمية الخاصة بآخر أجزاء الموشح، وهي الخرجة.

الخرجة:

ويعود بنا الحديث عن الخرجات إلى دار الطراز ومما فيه عن هذا القسم الهام من أقسام الموشحة:

«الخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح. والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن، حارة محرقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامة ولغات الخاصة، فإن كانت معربة الألفاظ، منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقوال، خرج الموشح من أن يكون موشحاً، اللهم إن كان موشح مدح وذكر اسم الممدوح في الخرجة، فإنه يحسن أن تكون الخرجة معربة كقول ابن بقي:

إنما يحيى: سليل الكرام: واحد الدنيا: ومعنى الأنام⁽¹¹⁾

وقد تكون الخرجة معربة وإن لم يكن فيها اسم الممدوح، ولكن بشرط أن تكون ألفاظها غزلة حادة، هزاة سحارة خلابة، بينها وبين الصبابة قرابة، وهذا معجز معوز..

والمشروع بل المفروض في الخرجة أن يجعل الخروج إليها وثباً واستطراداً وقولاً مستعاراً على بعض الألسنة، إما ألسنة الناطق أو الصامت.. وأكثر ما تجعل على ألسنة الصبيان والنسوان، والسكري والسكران، ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من: قال أو قلت أو قالت أو غنى أو غنيت أو غنت.

ونحن مضطرون إلى متابعة بقية حديث ابن سناء الملك عن الخرجات لأنه بمثابة حجر الزاوية في هذا الموضوع:

«.. وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ، بشرط أن يكون لفظها أيضاً في العجمي سفسافاً نفطياً⁽¹²⁾، ورمادياً زطياً. والخرجة هي إبراز الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقة لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها. ويعملها من ينظم الموشح في الأول وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية... فكيف ما جاء اللفظ والوزن خفيفاً على القلب أنيقاً عند السمع، مطبوعاً عند النفس حلواً عند الذوق تناوله وتوكله.. وبنى عليه الموشح، لأنه وجد الأساس وأمسك الذنب، ونصب عليه الرأس».

ويضيف ابن سناء الملك بعد ذلك أن من المتأخرين من يجد مشقة في تأليف خرجة تجتمع لها كل هذه الصفات، ومن ثم يبني موشحته على

نشأة الموشحات الأندلسية

خرجة غيره، وهو يرى أن هذا الصنيع من متأخري الوشاحين أفضل من الوقوع في الثقل أو التكلف الذي قد يتعرضون له، لو أنهم سعوا إلى تأليف خرجات من عندهم.

ولعل هذا النص في حاجة إلى شيء من الإيضاح، فما المراد بقوله إن الخرجة ينبغي أن تكون «حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن»؟ إن اللفظة الأولى تشير إلى شاعر بغدادي هو ابن الحجاج (توفى سنة 391 هـ) وفي شعره مجون وأحماض يربو على صنيع أي شاعر عربي آخر (والسخف الذي يشير إليه ابن سناء الملك يعني الميل للهزل ولا يدل على الثقل، كما قد يتوهم فريق من القراء) وفي لفظة «قزمانية» إشارة إلى ابن قزمان (توفى سنة 555 هـ) الزجال الأندلسي المشهور فكأن الشرط في الخرجة-وفقاً لما قرر ابن سناء الملك-أن تكون معبرة عن المجون، وأن تكتب باللهجة العامية، بل أن تأتي أقرب ما تكون إلى لغة الأفاقين واللصوص «الداصة» والرعاع.

ولكن ابن سناء الملك يلاحظ في الوقت نفسه أن هناك خرجات جاءت بالفصحى⁽¹³⁾. وذلك حين تكون الموشحة موشحة مديح وذكر اسم الممدوح في الخرجة وقد لا تكون كذلك، ولكن روعي فيها أن تكون نظمت في ألفاظ غاية في الرقة، مشحونة بالموسيقى والمعاني الآسرة والصور الموحية. ويلاحظ كذلك أن «البيت» الذي قبل الخرجة يتضمن كلمة «وقال» أو «قلت» أو «غنت»... الخ، أي يتضمن لفظة تدل على أن الخرجة هي الجملة التي تردت على لسان إنسان ما «العاشق أو العاشقة» أو على لسان الطير أو الشجر الخ...

والخرجة-في موشحة الأعمى التطيلي التي ذكرناها-جاءت على لسان المحبوب، ونصها، مع البيت الذي جاء قبلها:

مَاعَالِي مَن يَأْوُمُ
لَوَائِنَاهُ عَنِّي
هَلْ سَوَى حُبِّ رِيمٍ
دِينُهُ النَّجْمِي
أَنَا فِيهِ أَهْيَمُ
وَهُوَ بِي يُعْنِي

قد رأيتك عياناً: ليس عليك ساتدرى: سيطول الرّمان: وستنسى ذكرى
وهي خرجه عامية، ولكنها لا تمثل، مع ذلك، ما قرره ابن سناء الملك من
شروط المجون، وأداء المعنى في لهجة الرعاع.
ومن الموشحات التي جاءت في «دار الطراز» وفيها قدر وفير من الأحماض
الموشحة التي أولها:

مَنْ أودع الأَجْـفَانُ
صـوارمَ الهـنـدِ
وفي آخرها أن المحبوبة الفاتنة «باتت وهي تشدو:
حبيبي اعزمْ وقُمْ واهجمْ
وقبلُ قُمْ واجي وانضمْ
إلى صدري وقم بخلخالي
إلى أقراطي قد اشتغل رُوجي

وتضم مجموعة «جيش التوشيح» للسان الدين بن الخطيب موشحات
كثيرة لها خرجات عامية فيها قدر من الفحش والتعبير عن الرغبات الحسية.
وذكر ابن سناء الملك عدداً من الموشحات التي جاءت الخرجات فيها
بالفصحى، ولم تكن موشحات مديح ولكن لغة الخرجة بلغت الذروة في
السهولة والشاعرية، فن ذلك موشحة ابن بقى التي أولها:

مالي شَمُولُ إلا شُجُونُ
مزاجُها في الكأس دمعُ هتونُ
والخرجة هي:

ليل طويلاً ولا مُعَيْن
يا قلبَ بعض الناسَ أما تَلينُ؟
ومن الموشحات الأخرى التي من هذا الطراز الموشحة التي أولها:
يا شقيقَ الرّوح من جَسدي
أهوى بي منك أم لـلم
وهي تنتهي بالبيت والخرجة الآتيتين:

هل بشوقي رُدْعُ كُلِّ صبا
تجتليها آية عَجبا
حين أشدوها بكم طربا

يا نسيماً الروح من بلدي
خبّر الأحابيب كيف هم؟
ومن هذا الطراز نفسه موشحة ابن زهر (التي نسبت خطأ لابن المعتز):
أيها الساقى إليك المشتكى
قد دعوناك وإن لم تسمع
والخرجة فيها، مع البيت الذي يأتي قبلها:

كبد حرى ودمع يكف
يعرف الذنب ولا يعترف
أيها المعرض عما أصف
قد نما حُبك عندي وزكا
لا تقل في الحب إنني مُدغمي
وقد يلجأ الوشاح إلى الاتكاء في الخرجة على بيت لشاعر غيره، كما
فعل ابن بن في موشحته:

لست من أسرهوائك مُخلاً
إن يكن ذا ما طلبت سراحاً
والبيت الأخير فيها مع الخرجة:

لست أشكو غير هجر مواصل
قد منعت القلب عن عدل عاذل
وتغنيت لهم قول قائل:
علموني كيف أسلو والآن

فاحجبوا عن مقلتي الملاحا
فهذه الخرجة لا تعدو أن تكون بيتاً من قصيدة لابن المعتز أولها:
عرف الدار فحياً وناحاً
بعدهما كان صحاً واستراحاً
ظل يلحاه العذول ويأبى
في عنان العذول إلا جماحاً

علموني كيف أسلو... الخ (14)

الخرجة «الأعجمية»:

الخرجة «الأعجمية» أو «العجمية» جانب من أكثر جوانب الموشحات

تعقيداً وإثارة للجدل منذ زمن بعيد .
 ومن جوانب الصعوبة أن المصادر القديمة لم تذكر بصددتها إلا عبارات
 غامضة وجمالاً مقتضبة .
 فابن بسام اكتفى بأن قال إن الوشاح القديم كان «يأخذ اللفظ العامي
 أو العجمي و يسميه المركز، ويضع عليه الموشحة»
 وابن سناء الملك نفسه، في كتاب آخر له عنوانه فصوص الفصول وعقود
 العقول⁽¹⁵⁾، ولا يزال مخطوطاً، يقول في معرض حديثه عن مرشحة له:
 «وكنت لما أولعت بعمل الموشحات قد نكبت عما يعمله المصريون من
 استعاراتهم لخرجات موشحاتهم خرجات موشحات المغاربة، فكنت إذا عملت
 موشحاً لا أستعير خرجه غيري، بل ابتكرها واخترتها، ولا أرضى باستعارتها،
 وقد كنت نحوت فيها نحو المغاربة، وقصدت ما قصدوه، واخترت أوزاناً ما
 وقعوا عليها، ولم يبق شيء عملوه إلا عملته، إلا الخرجات الأعجمية فإنها
 كانت بربرية⁽¹⁶⁾، فلما اتفق لي أن تعلمت اللغة الفارسية عملت هذا الموشح
⁽¹⁷⁾ وغيره، وجعلت خرجته فارسية بدلاً من الخرجة البربرية» .
 وقد احتدم النقاش على أثر اكتشاف عدد من الموشحات العبرية
 الأندلسية⁽¹⁸⁾، ثم العثور على كتاب ابن بشرى الغرناطي «عدة الجليس»
 وبه نحو ثلاثمائة موشحة، وعلى مجموعة «جيش التوشيح» للسان الدين
 ابن الخطيب، وفي هذين الكتابين نصوص عديدة من الموشحات لها خرجات
 بهذه اللغة التي دعيت حيناً بـ «العجمية» وحيناً آخر بـ «البربرية» .
 ومن هذه الموشحات واحدة ألفها محمد بن عبادة القزاز والبيت الأخير
 فيها:

يَا وَيُحَ مَنْ يَتَّصِلُ
 بِحَبْلٍ مِّنْ لَا يَسْعَفُ
 لِمَا رَأَتْهُ بِطَل
 وَهِيَ غَرَامَاتُ كَأَفُ
 غَنَّنَتْ وَمَا لَأَمَلُ
 إِلَّا إِلَيْهِ الْمَصْرَفُ

ثم تجيء بعد ذلك الخرجة:
 ميو سيدي إبراهيم يانوا من دلج

فأنت ميب، دي نخت
أن نون شنون كارش، بيريم تيب
غرمي اوب، لقرت
ومعنى الخرجة:

يا سيدي إبراهيم، يا صاحب الاسم العذب، أقبل إليّ، في المساء فإن لم
ترد، جئت إليك، ولكن أين أجدك؟⁽¹⁹⁾.

وتميل جمهرة المستشرقين إلى الاعتقاد بأن هذه الخرجات تركز على
أغان إسبانية قديمة كتبت بلغة «الرومانت»، التي عرفنا أنها في جوهرها
لهجة انتثقت من اللغة اللاتينية، وأنها كانت شائعة على أرض الأندلس
لفترة طويلة من الزمن.

وهم يستمدون فكرتهم أو نظريتهم هذه مما وجدوه من ارتباط شديد
بين الموشح والموسيقى، وقالوا إن هذه الخرجات أغان شعبية إسبانية. اهتز
لها فريق من الشعراء العرب، وأرادوا النسج على منوالها وإبداع شعر قابل
للتغني بنفس أوزانها وألحانها، وأدت هذه المحاكاة إلى إحداث تركيب
معقد في بناء هذا النوع من الشعر، ليتوافق وما في هذه الأغاني من
إيقاع..

ويقول جونثالث بالنثيا في هذا الصدد:

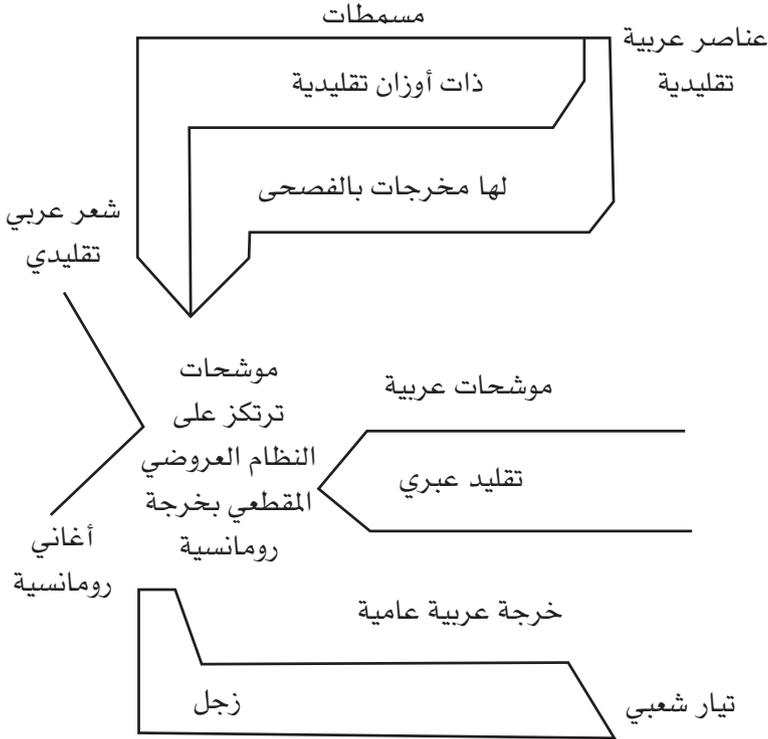
«ولم نوفق إلى الآن في التعرف على المصدر الذي استوحاه مقدم عندما
ابتكر فن التوشيح، فيذهب البعض إلى أن أصل الموشح أندلسي محلي
ويذهب البعض الآخر إلى أنه جليقي، ويذهب البعض إلى أنه أصله البعيد
روماني»⁽²⁰⁾ ويقول جومث:

«إن وجود نفس الخرجة في موشحة عربية وأخرى عبرية في قصيدتين
مختلفتين لشاعرين مختلفين، يؤيد أن هذه الخرجات عبارة عن أغان قصيرة
باللهجة الرومانثية كانت معروفة من قبل، وأنه على هذه الأغاني بنيت
الموشحات»⁽²¹⁾ ويلخص تطور الموشحات وفقاً للشكل الآتي:

وهناك فريق آخر من الدارسين العرب لا يؤمن بأن هذه الخرجات
الرومانثية أغان شعبية قديمة أو نحو ذلك، بل يظن أنها من تأليف الوشاحين
الأندلسيين أنفسهم.

والموضوع في واقع الأمر-أعمق من أن يتناول من زاوية ضيقة، أو تقدم

فيه آراء لا تتكئ على العلم والموضوعية.



وما يضير الأدب العربي في شئ أن تكون الموشحات قد تأثرت في الخرجات ببعض الأغاني المحلية الإسبانية، كما لا يضيره أن يكون الدوبيت- أو غيره- يتضمن عناصر أجنبية، فالبحث في ميادين الثقافة الإنسانية يقود إلى التسليم بأن هذه الثقافة ليست إلا ثمرة التزاوج بين حضارات شتى، على مدى الدهور.

وإذا كانت هناك نظرية تشير إلى وجود بعض خرجات رومانسية مستعارة من الغناء الإسباني القديم، فإننا نجد- في مقابلها- نظرية أقوى تأثيراً وأجل أهمية، تنادي بأن الموشحات والأزجال أثرت تأثيراً جوهرياً في نشأة الشعر الأوروبي كله، وتقول بأن أغاني ((الترو بادور)) ليست إلا «الصورة الأوروبية»

لهذين الفنين العربيين اللذين ظهرا على أرض الأندلس. ولهذه النظرية مؤيدون عديدون منهم-على سبيل المثال ريبيرا، ومنندث بيدال، وجونثالث بلنثيا، وجومث، وليفي بروفنسال، وشارل بلا، وهنري بيريس، وجب، ونيكل، وجرومباوم... الخ.

5- أوزان الموشحات:

قسم ابن سناء الملك في كتابه «دار الطراز» الموشحات إلى قسمين:
الأول: ما بنى على أشعار العرب.
الثاني: ما لا علاقة له بهذه الأوزان.
وأوضح أن «ما بنى على أشعار العرب من الموشحات ينقسم بدوره إلى قسمين:

الأول: وليس فيه من حيث الوزن أي اختلاف عن الشعر العادي. وقد هاجم ابن سناء الملك هذا النوع من الموشحات هجوماً شديداً، وقال إنه «بالمخمسات أشبه منه بالموشحات، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء»، ولكنه استثنى من الذم ما كانت قوافي القفل فيه مختلفة مثل موشحة:

يا شقيقَ الرُّوحِ من جسدي

أهوى بي منك أم لمم

فالجزء الأول من هذا القفل على قافية الدال، أما الثاني فعلى قافية الميم، والجزءان معاً من بحر المديد، بدون أي تغيير.

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع، فمن ذلك موشحة:

أيها الساقى إليك المشتكى

قد دعوناك وإن لم تسمع

وقد جاءت على بحر الرمل⁽¹⁾

ومثل موشحة ابن بقى:

لست من أسرهواك مُخلاً

إن يكن ذا ما طلبت السامحا

وهي بدورها على بحر المديد، وخرجتها بيت لابن المعتز.

هذا عن القسم الأول من أقسام الموشحات التي تتكى على أوزان الخليل بن أحمد، أما القسم الثاني من هذا النوع فهو «ما تخلت أفضاله وأبياته

كلمة أو حركة ملتزمة، كسرة كانت أم ضمة أو فتحة، تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقرضاً محضاً. وضرب ابن سناء الملك مثلاً لذلك قول أبن بقى:

صبرتُ والصبرُ شيمَةُ العاني
ولم أقلُّ للمطيل هجراني مُعذِّبي كفاني
فلولا الزيادة التي تتمثل في كلمتي «معذبي كفاني» لكننا أمام نص من بحر المنسرح.

وقد يحدث التغيير عن طريق إدخال قافية أخرى مثل:

يا ويح صبَّ إلى البرقِ
لله نُظْرُ
وفي البكاء مع الوُرقِ
لله وَطْرُ

فهذه الفقرة يمكن أن تعطينا بيتاً عادياً كما في الشعر التقليدي لو أنها جعلت:

يا ويح صبَّ إلى البرقِ له نُظْرُ
وفي البكاء مع الوُرقِ له وَطْرُ
وبذا تصبح من بحر البسيط.

وننتقل الآن للموشحات التي لم تجئ على أوزان أشعار العرب، وأمرها- ولا شك- أكثر تعقيداً، فضلاً عن أننا لا نجد عنها شيئاً ذا بال، باستثناء ما في «دار الطراز»، ويمكن أن يذكر في هذا الصدد كذلك قول أبن بسام إن «أوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان، (يقصد كتابه الذخيرة) إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب»⁽²⁾.

وابن سناء الملك يذكر أن هذا النوع يمثل الكثرة الغالبة، ويحدثنا أنه حاول أن يستخلص عروضاً لهذا النمط من الموشحات، ولكن محاولته لم يقدر لها النجاح، لأنه وجد أنها كثيرة العدد من ناحية، ورأى-من ناحية أخرى أنه لا يمكن ضبطها إلا بالتلحين: «وأكثرها مبنى على تأليف الأُرغن، والغناء بها على غير الأُرغن مستعار، وعلى سواه مجاز».

ويشير كذلك إلى لونين من الإيقاع، الأول واضح المعالم تدرکه الأذن، كما تدرک الأوزان التي تبنى عليها القصائد، والثاني خافت النغم، لا يكاد

- وهناك موشحات تأتي فيها الأوزان أقرب ما تكون للإيقاعات التي وضعها الخليل، لكن الموشح يقسم القفل (والبيت) إلى عدة أقسام، وبمعنى آخر أن صورة الوزن العروضي الخليلي يطرأ عليها تغيير جزئي.
- وقسم ثالث لا يخضع بمجموعه لوزن ثابت لأن المعول فيه يكون على أسلوب الأداء (intonation) وابن سناء الملك يقول إن هذا القسم منها هو الكثير، والجم الغفير».

6- الموشحات ونظام التقفية:

نظر كثير من الدارسين إلى الموشحات فلم يروا فيها-في نهاية الأمر-إلا لوناً من الشعر يعتمد أساساً على التنويم في القوافي، شأنه في ذلك شأن الخمسات والمسمطات وما شاكلها مما عرف في المشرق، وانظر على سبيل المثال ما يقوله د. شوقي ضيف في كتابه «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» من أنه: «لا يبقى للأندلسيين في موشحاتهم سوى التجديد في القافية، وهو ضرب من الحرية في صناعة المقطوعة، أو جدته ظروف إنشاد المغنين مع الجوقات للشعر، ونحن لا يمكن أن نعتد بهذا الجانب كمذهب جديد في الشعر، إلا إذا كنا ممن يؤمنون بالشكليات، ويتخذونها أصولاً للمذاهب الفنية»⁽¹⁾.

ويقول د. إبراهيم أنيس في كتابه «موسيقى الشعر»: «وليس الموشحات قبل تلحينها إلا نوعاً من الشعر المسمط، ففيها تتكرر قوافي الأفعال حتى نهاية الموشح»⁽²⁾.

وفي ظلنا أن هذه الأحكام أطلقت بتأثير من أنماط موشحات مثل موشحة ابن زهر:

أيها السّاقى إليك المشتكى

قد دعوناك وأن لم تسمع

وموشحة لسان الدين بن الخطيب:

جادك الغيثُ إذا الغيثُ همى

يا زمان الوصل بالأندلس

فهذا النوع من الموشحات يشبه من بعض الوجوه أشكال الخمسات والمسمطات التي عرفنا عنها لمحة في التمهيد.

نشأة الموشحات الأندلسية

وموشحة ابن زهر مما يطلق عليه ابن سناء الملك تسمية «الموشح الشعري» الذي يأتي الوزن فيه مطابقاً لأوزان الشعر التقليدي «ولا يتخلل أفضاله وأبياته كلمة تخرج به تلك الفقرة عن الوزن الشعري، وما كان من الموشحات على هذا النسج فهو المرذول المخذول، وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء... اللهم إلا إن كانت قوافي قفله مختلفة، فانه يخرج باختلاف قوافي الأفعال عن الخمسات..»

وابن سناء الملك يسوق في ذلك مطلع موشحة «أيها الساقى» والمطلع التالي:

يا شقيق الروح من جسدي

أهوى بي منك أم لمم

وكان الموشح الشعري يشبه الخمسات في قوافيه، وإن كان يختلف عنها في أن قافية الجزء الأول تأتي مغايرة لقافية الجزء الثاني.

والأشكال الأخرى-أي ما كان غير (الموشح الشعري) تأتي أكثر تعقيدا من حيث القافية، تبعاً لتعدد أجزاء كل من القفل والبيت فيها.

وقد لاحظ ابن سناء الملك أن الموشح «يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات» وهناك عدد من النصوص خرج على هذه القاعدة، ومن أشهر النماذج التي تذكر في هذا الصدد موشحة لسان الدين بن الخطيب.

جادك الغيث إذا الغيث همي

يا زمان الوصل بالأندلس

وتضم أحد عشر قفلاً (من ضمنها القفل الأول «المطلع» والقفل الأخير الذي يسمى بـ «الخرجة»).

7- لغة الموشحات:

رأينا في الصفحات السابقة، وفي ما أوردناه من نصوص كيف أن لغة الموشح تعد في مجموعها لغة صحيحة تتفق وقواعد اللغة العربية، ولاشك في أن القارئ قد لاحظ ما تتسم به الموشحات من رقة وعدوبة وصفاء، حتى ليتمكن قراءة مجموعة كاملة منها دون أن يصادف فيها لفظة تستعصي عليه، أو تركيباً فيه لون من ألوان التعقيد.

وغني عن القول أن صنيع الوشاحين الأندلسيين يأتي امتداداً لما سار عليه الشعراء المحدثون، من أمثال أبي نواس وأبي العتاهية وابن المعتز وإذا كان من الشعراء العباسيين من حرص في مدائحه على الديباجة القديمة والجزالة العربية، فإن الموشحات بحكم قالبها الجديد وموضوعاتها، وغنائيتها كانت في غنى عن الديباجة الفاخرة، والأساليب التي تتسم بطابع البداوة. ونستطيع أن نقول إن الموشحات الأندلسية جاءت بصورة عامة- بعيدة عن الإمعان في المحسنات البديعية والألغاب اللفظية.

ونحن لا نتعرض هنا بطبيعة الحال للخرجات وما فيها من استعمال للعامية أو لغة الرومانث، فقد سبق أن مررنا على هذه القضية، ولكن ما نريد أن نوضحه الآن هو أن دارسي الأدب متفقون على عدم جواز استعمال العامية في ثنايا الموشحة.

وقد أشار ابن سناء الملك إلى «الموشح المعروف بالعروس، وهو موشح ملحون واللحن لا يجوز استعماله في شئ من ألفاظ الموشح، إلا في الخرجة خاصة، فإن جاء اللحن في الموشحة اعتبرت «مزمنة».

وهناك وجهات نظر متضاربة حول لغة الموشحات، فباحث مثل د. جودت الركابي يحمل على الموشحات حملة شعواء في كتابه «في الأدب الأندلسي» ولا يرى في موشحة ذاتعة الصيت مثل موشحة ابن سهل:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى

قلب صب حلة عن مكنس

إلا المعاني التافهة، والمبالغة في الزينة، مع قدر من العذوبة في نغماتها وقوافيها، وينتهي إلى القطع بأن «لغة الموشحات يغلب عليها الضعف والركاكة، وهي في لينها وحريتها وانتلافها مع روح العامية قادت اللغة الشعرية إلى الركاكة وأسأت من هذه الناحية إلى اللغة العربية. (1).

وفي مواجهة هذا الرأي نجد د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» يعيب على عبادة بن ماء السماء وغيره أنهم في موشحاتهم مالوا لأن يثبتوا «براعتهم واقتدارهم وثورتهم اللغوية، ثم استوحوا الشعر القديم، واقتبسوا منه، وأخذوا أنفسهم بسننه ومعانيه و بأوزانه أحياناً...» (2).

وليس في الموشحات-فيما نظن-لا ضعف ولا ركاكة في اللغة بل إننا لنذهب إن القول بأن لغة الموشحات-في شفافيتها وتدققها وأسرها-ساعدت

نشأة الموشحات الأندلسية

على تدعيم مكانة الفصحى، لأنها أشاعت هذه اللغة الجميلة بين الناس، ومن ثم حالت دون سيطرة العامية، وجعلت للزجل مكانة ثانوية في الأدب، على الرغم من أن بيئة الأندلس كانت تغري بإضعاف مكانة الفصحى، لأنها تتركب-إلى جانب الجنس العربي-من عناصر بشرية أيبيرية وبربرية ويهودية... إلخ.

والذين يطلقون أحكاماً قاسية على لغة الموشحات، إنما ينظرون إلى أعمال المتأخرين، وفي أيامهم كان الضعف اللغوي قاسماً مشتركاً، فلم نحمل على الموشحات وحدها، ونضع على كاهلها أخطاء عصر بأسره؟

القسم الثاني
الأغراض

أغراض الموشحات الأندلسية

إن أقدم الموشحات المعروفة لنا تعود إلى القرن الخامس الهجري وإذن فهناك فترة طويلة ضاعت معالمها، ومن ثم فإن الآراء التي يمكن أن تقال عن أغراض الموشحات في فترة النشأة لا تعدو أن تكون ترجيحية، ومع ذلك فإن هناك شبه اتفاق على أن الموشحات ارتبطت منذ أطوارها الأولى بالموسيقى والغناء، ومن الطبيعي-والأمر كذلك-أن تكون الموضوعات الذائعة ذات صلة بالوصف والحنين والغزل والخمریات، وبيدأ الشعراء في طور لاحق في معالجة الفنون الأخرى التقليدية من مديح وهجاء ورتاء وشعر ديني، إلخ...

ولا نجد في «دار الطراز» عن أغراض الموشحات شيئاً ذا بال، فقد اكتفى ابن سناء الملك هنا بجملته قال فيها:

«والموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرتاء والهجر والمجون والزهد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفر، والرسم في المكفر خاصة أن لا يعمل إلا على وزن موشح معروف وقوافي أفضاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدل على أنه مكفره، ومستقيل ربه عن شاعره ومستغفره».

١ - الغزل:

ليس هناك شك في أن الغزل يحتل محل الصدارة في الموشحات الأندلسية وإذا صدقت رواية ابن شاعر الكتبي صاحب «فوات الوفيات»، فإن الموشحة التي مطلعها:

مــــن ولى
في أمة أمراً ولم يعدل
يُــــعــــزــــل

إلا لحاظ الرشا الأكل
تكون من أقدم النصوص التي وصلت إلينا، إذ أنه نسبة لعبادة بن ماء السماء، (المتوفى نحو سنة 419 هـ) ⁽¹⁾ وموشحة «من ولى» كلها في الغزل، وكذلك موشحة أخرى نسبت له كذلك في «الفوات» أولها:

حبّ المـــــهـــــاء عبادة
من كل بسام الســـــواري
ومن أجمل الموشحات الغزلية:

ضاحكٌ عن جـــــمان
سافـــــرٌ عن بـــــدر
للأعمى التطيلي، وقد ذكرناها بتمامها. وموشحة لأبي بكر بن زهر، يقول فيها:

حـــــي الـــــوـــــجـــــوة المـــــالـــــاحـــــا
وحي نُجـــــل العـــــيـــــون
هل في الـــــهـــــوى من جـــــنـــــاح
أو فـــــي نـــــديـــــم وراـــــح
رام الـــــنـــــصـــــيح صـــــالـــــاحـــــي

وكيف أرجو صـــــالـــــاحـــــاً
بـــــين الـــــهـــــوى والمـــــجـــــون
أبـــــكـــــي العـــــيـــــون البـــــواكـــــي
تـــــذكـــــار أخت الـــــســـــمـــــاك
حـــــتـــــى حـــــمـــــام الأراك

بكي شجونني وناحا
على فروع الغُصون⁽²⁾
ومن هذا الطراز «الموشح الشعري» الذي أورده ابن سناء الملك في «دار
الطراز:

يا شقة يقيق الروح
أهوى بي منك أم لمم
ضعت بين العذل والعذل
وأنا وحدي على خبل
ما أرى قلبي بمختبل

ما يريد البين من خلدي
وهو لا خصم ولا حكم

وموشحة الأعمى التطيلي:

دمع سفوح وضاع حرار
ماء ونزار
ما اجتمعا إلا لأمر كبار⁽³⁾

ويمكن أن نجمل ملحوظاتنا عن الموشحات الغزلية فيما يلي:
- تحتل الموشحات الغزلية المكانة الأولى من حيث الكثرة العددية.
- هناك في الوقت نفسه، موشحات عديدة يختلط فيها الغزل بموضوعات
أخرى وصفية أو خميرية أو مدحية.
- الجانب الأعظم من هذه الموشحات الغزلية لا يعكس لنا صدقاً عاطفياً،
ولا نحس فيه بلوعة المشاعر وعمق الأحاسيس، ولكن الوشاحين استطاعوا،
في أحيان كثيرة، التغلب على هذا الضعف عن طريق اصطناع الألفاظ
الرقيقة، والصور الشعرية الأسرة، والموسيقى المدفقة الموحية.
- وتتناول الموشحات الغزلية موضوع الحب من زوايا مختلفة، وهناك
تيار عذري قوي في هذه الموشحات، كما في موشحة «ميتات الدمن»، وهي
من الموشحات التي ترد في «دارا لطران» وفيها:

يــــا رــــم الــــذي
 أــــتــــاح حــــايــــيــــنــــي
 ظــــمــــتــــت فــــذي
 دــــمــــوعــــي فــــذي
 تــــهــــمــــي فــــا غــــتــــنــــي
 مــــنــــهــــا بــــعــــين
 بــــل يــــا مــــن ظــــعــــن
 عــــلــــيــــك ذــــنــــبي
 فــــقــــد أن لــــي
 أ ن
 أــــقــــضــــي نــــحــــبــــي
 فــــو يــــا تــــه
 و آ ه
 يــــا زــــنــــج الــــهــــوى
 هــــل أنــــت مــــودي
 فــــذا كــــالــــجــــوى
 إلــــى مــــزيد
 أــــتــــتــــك الــــنــــوى
 إــــثــــر الــــصــــود
 فــــيــــا مــــتــــحــــن
 بــــكــــل خــــطــــب
 كــــم تــــأســــى و تــــحــــزن
 و تــــشــــقى بــــحــــب
 ســــال هــــوا
 لا ه
 عــــنــــا الــــذي لا
 أروم ســــا
 أنــــا المــــبــــتــــأــــي
 بــــريم ذــــرّوة

ذَكَرَ رَأَى عَـلَى

حَشَائِ حُـلُـوَةٌ.. الخ (4)

وتتردد إلى جانب عبارات الشوق واللوعة-إشارات عن الواشي والعاذل والرقيب....

ويكثر في الموشحات-في الوقت ذاته-التغني بجمال المحبوبة أو المحبوب «وصيغة التذكير لا تعني بالضرورة أن الشاعر يتغزل بالمذكر» مثلما نرى في موشحة ابن سهل «هل درى ظبي الحمى...»:

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِأَلْتَوْدَهُ

بِأَبِي أَفْدِيهِ مِنْ جَافِ رَقِيقُ

مَا رَأَيْنَا مِثْلَ ثَغْرِ نَضْدَةٍ

أَقْحُونَا عَصِرَتْ مِنْهُ رَحِيقُ

أَخَذَتْ عَيْنَاهُ مِنْهُ الْعَرْبُودَةَ

وَفُؤَادِ سُكْرِهِ مَا إِنْ يَضِيقُ

فَاحِمِ الْجُمَّةِ مَعَسُولِ اللَّامِي

أَكْحَلُ اللَّحْظِ شَهْيَ اللَّعَسِ

وَجْهَهُ يَتَلَوُ الضَّحَى مَبْتَسِمًا

وَهُوَ فِي إِعْرَاضِهِ فِي عَبَسِ (5)

وقاد هذا الوصف لجمال المحبوبة إلى الغزل الصريح المكشوف في بعض الاحايين، كما أن الخرجات، وخاصة ما كان منها باللهجة العامية-احتوت على جانب كبير من الأحماض.

وهناك موشحات تضمنت غزلا في المذكر، كما في خرقة موشحة «من ولى» التي تتسب في العادة لعبادة بن ماء السماء (أو ابن عباد القزاز):

يِيَا عَـلَى

سَلَّطْتَ جَفْنِيكَ عَلَى مَقْتَلِي

فِي أَبْـبِقِ لِي

قَلْبِي وَجُدْ بِالْفَضْلِ يَا مَوْئَلِي

وكما في موشحة للأعمى التطيلي، أولها «حت الكؤوس روية» وفيها:

عَبْدَ الْمَلِيكَ أَحْبَبَكَ

وَلَا سَبَبِي لِي إِلَيْكَ

مولاي حسبي وحسبك
 قد ذبتُ وجداً عالياً
 حتى ما تُضنني محبّك
 وبرؤه في يديك (6)

وموشحة أخرى له مطلعها:
 قد دعوتك بالأشجان
 فكن من مجيب
 والبيت الثاني منها جاء فيه:
 سهام البين يا عمر
 أقعدن عبيدك
 فقل لي كيف اصطبر
 والقهلاب عندك
 أمالوساق القدر
 ما ساق بعبدك (7)

2- الخمریات:

وهي كثيرة الشيع في الموشحات، وبخاصة ما دار منها حول موضوعات الحب والوصف، وبعبارة أخرى إن الخمر لا تشغل في العادة الموشحة كلها، بل تأتي كعنصر مساعد، باستثناء نماذج قليلة بنيت أساساً على وصف الخمر ومجلسها، مثل موشحة أبي بقى:

أدر لنا أكواب
 يُنسَى بها الوجد
 واستحضر الجلاس
 كما اقتضى الوؤد (1)

وهذا النص استهل بوصف الخمر وختم بها، وإن تخلله مقطع في المديح. ولابن زهر موشحة استهلها بالحديث عن الخمر، ثم ما لبث أن عرج فيها على الوصف والغزل وأول النص:

أغراض الموشحات الأندلسية

شَمْسٌ قَارِنَتْ بِدِرَا
 رَاحٌ وَنَدِيمٌ
 أَدْرَكَؤُوسِ الْخَمْرِ
 عَنبَرِيَّةَ النَّشْرِ
 إِنَّ الرُّوْضَ ذُو بَشْرِ
 وَقَدْ دَرَعُ النَّهْرَا
 هَبُّوْبِ النَّسْرِ يَمُّ

ومن هذا النمط أيضا موشحة جاءت في «دار الطراز» (2) أولها:

بَاكِرٌ إِلَى الْخَمْرِ
 وَأَسْتَنْشِقُ الزَّهْرَا
 فَالْعَمْرُفِي خُسْرَا
 مَا لَمْ يَكُنْ سُكْرَا
 فَقَلْ مَا أَسْلُو
 عَنِ مَرَشَفِ الْأَكْوَا
 وَسَامِرِ الطَّرْفِ
 مَسَاعِدِ الْجُلَا
 فَسَقِينِي.. بِنْتِ الزَّرَا
 فَهَاتِيهَا صَرْفَا
 يَا ذَا الرُّشْشَا الْأَحْوُرَا
 رَاحٌ حَكَتْ وَصْفَا
 مَنِ خَدَّكَ الْأَقْمُرَا
 رِشَا هُوَ النَّبِيلُ وَالْعَدْلُ بَيْنَ النَّاسِ
 وَالْمَسْكُ فِي الْعُرْفِ مِنْ نَضْحَةِ الْأَنْفَاسِ

وقد يمزج الوشاح بين موضوعات الخمر والغزل، لينتهي بعد ذلك للمديح،

كما في النص التالي: (3)

رُحٌ لِلرَّاحِ وَيَاكِرُ
 بِالْمُعْلَمِ الْمَشُوفِ

غبوقاً وصبوحاً
 على الوتر الفصيح
 ليس اسم الخمر عندي
 مأخوذاً فاعاً م
 إلا ممن خاء الخد
 وميم الميسم
 وراء ريق الشهد
 المعاطرة الم
 فكن لهم هاجر
 وصل هذي الحروف
 كي تغدو وتروح
 بجسم له روح
 بالله سة نيهها
 في وداثق
 فإن منه فيها
 شبه الخلائق.. الخ

3- الوصف:

ويشكل الوصف، بصورة عامة، عنصراً أساسياً من عناصر الموشحة الأندلسية، والوصف يأتي في العادة ممتزجاً بالغزل والحديث عن الخمر، ولكن هناك في الوقت نفسه عدداً من الموشحات بنيت على الوصف، مثل موشحة أبي عبد الله البطليموس المعروف بالكميت (1).

لاح للروض على غر البيطاح
 زه زاه ز
 وثنا جيداً فنعم الأفاح
 نوره النناض
 زارني منه على وجه الصباح
 أرج عا ط

كَأَسْهُمَا مَبْسُومٌ طِفْلَةٌ رَدَاخُ
 نَاعِمٌ الْعَقْدُ
 تَمَزَجَ الرَّاحُ بِرِيْقِهَا الْقُرَاخُ
 شَيْبٌ بِالشَّهْدِ... الخ

ومن أجمل الموشحات في وصف الطبيعة موشحة أبي جعفر بن سعيد وأولها:

ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ
 فَضِيَّةُ النَّهْرِ
 أَيَّ نَهْرٍ كَالْمَدَامَةِ
 صَيَّرَ الظِّلَّ فِدَامَةً
 نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لَامَةً
 وَثَنَتْ لِلْغُصْنِ لَامَةً
 فَهُوَ كَالْعَضْبِ الصَّقِيلِ
 حُفَّ بِالشَّفْرِ (2)... الخ

ولابن بقی من موشحة وردت في «جيش التوشيح» ويحتل الوصف فيها مكان الصدارة:

سَاعِدُونَا مَصِيحِينَا
 نَرْتَشِفُهَا قَدْ ظَمِينَا (3)
 كَنَضَارِ فِي لُجَيْنِ
 نِعْمَ أَجْرَا الْعَامِلِينَا

وهو يمزج فيها الوصف بالحديث عن الخمر والتغزل في الساقى، كما يتضح من هذا المقطع:

يَوْمُنَا يَوْمٌ أَنْيِقُ
 يَوْمٌ شُرْبٍ وَالْتِمَادِ
 طَرَزْتُ فِيهِهَ الْبِرُوقُ
 لَا يَسَا أَوْابَ لِأَذِ

أغراض الموشحات الأندلسية

وسقى النعيمُ الرقيقُ
مساءً وردٍ بـ—————رذاذٍ

أظهر السحرَ المبيننا
حينَ رشَّ اليا سميننا
وبكى من دون عينين
فضحكنا فأكهيننا
أيها الساقى المحييا
برياحين التمني
سحر عينيك الحميا
فاصرف الصهباءَ عنّي
لا تسأطها علييا
فالهوى قد نالَ منّي

وهي من الموشحات التي صفت عباراتها، وبلغت الذروة في حيوية الأداء، ودقة الصور. وخرجة هذه الموشحة بالعامية، وقد مهد لها في البيت الذي سبقها قائلًا إنه سيقول، لمجرد إدخال الكمد على الحسود:

قد بُلينا وابتلينا
واش يقول الناسُ فينا
قم بنا يا نور عيني
نجعل الشك يقينا!

وهناك موشحات كثيرة بدئ فيها بالوصف كتمهيد لمقطع المديح، منها-
على سبيل المثال-الموشحة التي تستهل بـ:

جيشُ الظلام بالصبح مهزومٌ
فقم يا نديم⁽⁴⁾

وهي موشحة للأعمى التطيلي وموشحة:

روضةٌ وسيمهُ الأقحوان
تُجتنى بالأمانى⁽⁵⁾

لأبي بكر محمد بن الأبيض، وكذلك موشحة «روضة زيرجدية»⁽⁶⁾ وموشحة «شق النسيم كمامة» لأبي بكر يحيى الصيرفي⁽⁷⁾ وموشحة «كم بالكتيب من غصن نضر»⁽⁸⁾ لابن لبون، والموشحة التي مطلعها:
 حُتَّ كَأْسَ الْإِطْلَاقِ عَلَى الزَّهْرِ⁽⁹⁾
 وَأَدْرَهَا الْأَنْجَمَ الزَّهْرَ

لأبي بكر بن مالك السرقسطي... وهذه الموشحات جميعاً مما ورد في مجموعة «جيش التوشيح» للسان الدين بن الخطيب.

4- المديح:

عرفنا فيما مر بنا من ملاحظات أن الموشحة تحتوي في العادة، على أكثر من فن، وإن كانت معظم الموشحات جاءت في أغراض الغزل والوصف والخمريات، وهو ما يتناسب وما سارت عليه الموشحات من طابع غنائي. وقلنا في اللمحة السالفة عن فن الوصف-إن هذا الغرض الوصفي جاء في أحايين كثيرة بمثابة التمهيد لغرض آخر، مثله في ذلك مثل المقاطع الغزلية.

وكثير من الدارسين الثقات يميل إلى الاعتقاد بأن الموشحات في ظهورها الأول لم تكن تعالج الموضوعات التقليدية من مديح ورتاء وهجاء، ويقول د. مصطفى عوض الكريم في هذا الصدد:

«كانت الموشحات في أول الأمر وقفاً على الغناء، فكانت تعالج موضوعات الغزل والخمريات ووصف الطبيعة.

وما لبثت أن صارت مطية ذلولاً للأمداح، حينما استغلها الوشاحون للوصول إلى عطايا الملوك والأمراء وهباتهم...»⁽¹⁰⁾. و يقول د. عبد العزيز الأهواني إن الوشاح الأول:

«كان قريب العهد بالأصل المشترك-الأغنية الشعبية-فكان منه قريب الشبه بها، ولعله في أول الأمر لم يكن حريصاً على أن ينقي إنتاجه من اللغة العامية في جميع مقطوعاته.. كما كانت البساطة طابعاً مميزاً لهذا الطور. ثم انتقل الأمر على يد عبادة بن ماء السماء وغيره من المثقفين، أصحاب الشعر، وناظمي القصائد، ومداحي الأمراء، ومرترادي القصور، إلى مرحلة

أغراض الموشحات الأندلسية

جديدة، التزموا فيها اللغة الفصحى التزاماً صارماً، ولم يسمحوا للعامية أن تتجاوز حدود الخرجة، عربية أو أعجمية، وشغفوا بالتعقيد، والإكثار من القوافي..» (11) الخ، وهذا الرأي يقود بدوره إلى الاعتقاد بأن الموشحات القديمة كانت بعيدة عن طابع المديح وغيره من الموضوعات التقليدية. ونستطيع هنا الاطمئنان إلى صحة الرأي القائل بأن «أكثر الموشحات التي قيلت في المديح إن لم تكن جميعها قد مزجت بين الطبيعة والغزل (والخمر) قبل أن تدلف إلى صميم المديح» (12) ولكن هناك موشحة واحدة على الأقل جاءت كلها في موضوع المديح، وهي للوزير أبي عامر بن ينق، وذكرها لسان الدين بن الخطيب في «جيش التوشيح» وأولها:

سـراجُ عـدْلكَ يُـزهِـرُ
قـد عـمَّ كـلَّ العـبـاد
وـنـورُ وـجـهـكَ يـبـهـرُ
سـنـاهُ لـلـخـلـقِ بـاد (13)

ويستمر المديح بعد هذا المطلع (أو القفل الأول) في بقية أجزاء الموشحة:

أـنتِ العـزـيـزُ الأـبـي
والمـالكُ مـالكُ الأـنـامِ
أنتِ السـراجُ الوـضـي
والبـدرُ بـدرُ التـمـامِ
لـيـثُ إذا ما الكـمـي
قـد هـابَ روعَ الحـمـامِ

والخرجة في هذه الموشحة باللغة الفصحى، ونصها:

يا حَبِذا مِنْهُ مَنظَرُ
بـالـنـورِ بـاد و هـادي
كأنَّه الصـبـحُ أسـفـرُ
عـلى جـمـيعِ البـلـادِ

وليحيى بن الصيرفي الغرناطي المؤرخ المتوفي سنة 557 هـ (1179م)-

وتنسب كذلك لابن باجة المتوفى 533 هـ (1139م)-موشحة مدحية شهيرة
مطلعها:

جَرَّرَ الذِّيلَ أَيَّمَا جَرِّ
وَصَلَ السُّكَّرَ مِنْكَ بِالسُّكَّرِ

ويشغل المقطع الخمري هنا حيزاً كبيراً من الموشحة، ثم يفضي بنا هذا
المقطع إلى المديح الذي يستغرق بقية النص كله:

ذَاكَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ قَدْ لَاحَا
وَنَسِيمُ الرِّيَاضِ قَدْ فَاحَا
لَا تَقْدُ فِي الظَّلَامِ مَصْبَاحَا
خَلَّ عَنْهُ وَشَعُشَعُ الرَّاحَا

حِينَ تَنْهَلُ أَدْمُعَ القَطْرِ
وَتَرَى الرُّوْضَ بِاسْمِ الزَّهْرِ

نَظَمْتَ جَوْهَرَ العِلَاسِ لِكَا
كَفَ مَلِكَ يَزِينُ المُلُوكَا
مَا بَرَا اللّهُ مِثْلَهُ مَلِكَا
لَا حَ بَدْرًا وَفَاحَ لِي مَسْكَا

كَالحيا كالأمانِي كالذَّهْرِ
كَعَلِي فِي الحَرْبِ أَوْ عَمْرُو

أَيُّ بَحْرٍ وَأَيُّ ضَرْغَامِ
أَيُّ رَمْحٍ وَأَيُّ صَمِّ صَامِ
طَاعِنٌ فِي الصِّدْرِ ضَارِبُ الهِمَامِ
بَيْنَ كَرْوَيْبِينَ إِقْدَامِ
مُخْلِفاً البَيْضَ بِالحَلِيِّ الحُمْرِ
وَمُرْوِي القَنَاةَ فِي النَّحْرِ

حينما لاح وهو مبتسم
كهلال تحفه الـديم
خافقاً فوق رأسه عـالم
غنت العـربُ فيه والعـجم
عقد الله راية النـصر
لأمير العـلى أبي بكر (1)

وهناك في هذا الصدد موشحة لسان الدين بن الخطيب الشهيرة:
جارك الغيث إذا الغيث همي
يا زمان الوصل بالأندلسي

وتعد بدورها من مرشحات المديح، وإن كان الناس لا يذكرون في العادة-
إلا قسمها الأول الذي يدور حول الغزل ووصف الطبيعة.

5- الرثاء :

لم يؤثر عن الوشاحين الأندلسيين أنهم كرسوا للمراثي عناية تستحق
الذكر، ولم تشتمل المجموعات المعروفة مثل «دار الطراز» و«جيش التوشيح»
و«توشيح التوشيح» و«عقود اللال في الموشحات والأزجال» و«العذارى
المأسأت في الأزجال والموشحات»... الخ على موشحات ما في موضوع
الرثاء. ولكن كتاب «المغرب في حلى المغرب» يمدنا بموشحة لابن حزمون
ذكر ابن سعيد أنه قالها «في رثاء أبي الحملات قائد الأعنة ببلنسية وقد
قتله النصارى».

والنص الذي نتحدث عنه في بابيه، فيه حيوية وحرارة وصدق، وهذا كله
يتمثل للقارئ منذ الكلمات الأولى، وحتى الخرجة، وبمعنى آخر إن المرشحة
كلها ليس فيها إلا موضوع واحد هو الرثاء.

يا عين بكّي السراج الأزهـر النّيـرا اللامع
وكان نـعم الرتـاج فـكـسـرا
كي تُنـشـر مـدـامـع

مـن آل سـعد أغـر
 مـثل الشـهاب المـتقد
 بـكى جـميع البـشـر
 عـليه لما أن فـقد
 والمـشـرف في الدنـكر
 والسـم هـري المـطـرد
 شـق الصـفوف وكـر
 عـلى العـدم تـند

والبيت الأخير والخرجة:

مـاء المـدامع صـاب
 عـاليك أولـى أن يـجـود
 سـقى البـريـة صـاب
 رزء أحـاك الأـحـود
 فـكل خـلق أصـاب
 إلا النـصارى والـيـهـود
 ناديت قلباً مـصـاب
 يُجـرى عـلى المـيت العـهـود

يا قـلبي المـهـتـاج
 تصـبـرا زان الثـرى مـدافـع
 ابن أبي الحـجـاج فـهل تـرى
 لـما جـرى مـدافـع

ولابن جبير خمس موشحات في رثاء زوجته، ضمن «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح»، وهو مجموعة شعرية كلها في رثاء رفيقة حياته⁽²⁾، ولكن لم يصل إلينا شيء من هذه الموشحات.

الموشحات الدينية والصوفية:

لا نعرف متى بدأ النظم في هذا اللون من ألوان الموشحات وأقدم ما

أغراض الموشحات الأندلسية

هنالك منها ينسب لابن عربي (توفى سنة 638 هـ) وسنعود إلى موشحاته الصوفية، أما في غير ذلك من الأغراض، فهنالك، على سبيل المثال، ما أطلق عليه ابن سناء الملك اسم «لمكفر» ونص عبارته:

«والرسم في المكفر خاصة ألا يعمل إلا على وزن موشح معروف، وقوافي أقاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدل على أنه مكفرة⁽³⁾»، ولكنه لم يورد أمثلة عن المكفرات الأندلسية والمغربية، واكتفى بأن قدم نموذجاً من موشحاته هو⁽⁴⁾، ولكن هذه القاعدة-قاعدة أن يأتي المكفر ملتزماً بصورة الموشحة الأخرى المماثلة، منتهياً بنفس خرجتها-قد اهتزت خرجتها، بعد أن «تداوله العامة ومن لا أنس له بالقواعد، ومن عجز عن الإعراب، حتى صاروا ينظمونه ملحوناً وما لأحد منهم في وزنه وقافيته ما يستغفر منه، بل على طريق العبث وذلك خطأ» (وفقاً لتعليق الصفي الحلبي).

وهناك وشاح يدعى ابن الصباغ الجذامي خلف عددا من الموشحات مما يمكن اعتباره من نوع المكفر، وأن كانت الخرجات فيها ليست مما ألف هو، بل مما نظم غيره، مثال ذلك موشحته:

أه من فرط الوجيب
أورثت قلببي خبلا

فخرجتها مستلة من زجل زجال يدعى اليعيع:

يا لنبي إن ريت حبيبي
افتل اذنوب الرسيلا
لأنه أخذ عنق الغزيل
وسرق فم الحججـيلا⁽⁶⁾

ومن غرر موشحات ابن الصباغ في المديح النبوي:

لأحمد بهجة
كالقمر الزاهرفي
أبرج السعد
علاؤها يسبي
بنوره الباهر

كَلَّ سَنَا مَجْدٌ (7)

وموشحة زهدية أخرى مطلعها:

نَأَتْ بِي الأَوْطَانُ
عَنْ حَضْرَةِ الإِحْسَانِ وَلَا
مَمَعِينَ
فَمَنْ لَذِي إِحْسَانُ
لَطِيبَةٌ قَدْ كَانَ لَهُ
حَنَّانِينَ (8)

والمقري في «النفح» يقول، وقد وصل إلى الأراضى المقدسة:
«وكان حظي في هذه الحالة تذكر قول بعض الوشاحين من الأندلسيين،
الذين كان لهم ارتحال إلى تلك المعاهد الطاهرة، والمشاهد الزاهرة، والتي
تشد إليها الرحال:

يَا مَنْ لَعَبِدٌ بِهِ افْتِقَارُ
إِلَى أَيَادِيهِ جَسَامُ
فَضْلُكَ مُدُنٌ لَخَيْرٌ مُدُنُ
حَلَّ بِهَا سَيِّدُ الأَنْبَاءِ
لَمْ يَهْفُ قَلْبِي لِحُبِّ لَيْلَى
وَلَا سَمْعِي لِعَادِ وَلَا الرِّيَابِ
لَا قَى شَجْوَنًا وَنَالَ وَيْلًا
مَنْ هَامَ فِي ذَلِكَ الْجَنَابِ
بَلْ مَالٌ مَنَى الضَّوَادُ مَيْلًا
لَمَنْ لَهُ الحُبُّ لَا يَعَابُ

ومن مقاطعها الجميلة:

يَا طَيْبَةٌ حَزْتِ كُلَّ طَيْبِ
بِسَيِّدِ فَيْكَ ذِي حُلُولِ
نِدَاءٌ مَسْتَضَعْفٌ غَرِيبِ
فِي غَرَامِدَاحِهِ يَقُولُ

أغراض الموشحات الأندلسية

وهو من السامع المُجيبُ
لمدحه يسألُ القَبُولُ:
مستمسك منك حسن ظني
بعُرْوَة مالهـا انفضامٌ⁽⁹⁾

ومن الطراز العالي قول ابن زمرك:
لو ترجعُ الأيامُ بعدَ الذهابِ
لم تقدح الأيامُ ذكرى حبيبُ
وكل من نام بليل الشَّبابِ
يوقظُهُ الدهرُ بصبح المشيبِ

وفيها يتحدث عن ضعف الإنسان واغتراره بالدنيا، وهو لا يعلم أن
«العيش نوم والردى يقظة» ويتعamy عن رؤية الحقائق، منخدعاً بلمع السراب،
وهو يذكر الإنسان بألا ملاذ له سوى العلي القدير ولا مناص من الأوبة
إليه، مهما طال بنا المسرى في ركب الحياة، وينهي الموشحة بقوله:

يا مصطفى والخلقُ رهنُ العدمِ
والكون لم يفتق كما مَ الوجودِ
مَزيّة أعطيتها بالقدمِ
بها على كل نبيّ تسودُ
مولدك المرقوبُ ما نَجَمُ
أنجز للأمة وعد السَّعودِ
ناديتُ لويسمح لي بالجوابِ
شهر ربيع: يا ربيع القلوبِ
أطلعت للهدى بغير احتجابِ
شمساً ولكن مالهـا من عُروبِ⁽¹⁰⁾

وأما ابن عربي فإن ديوانه الأكبر يتضمن عدداً كبيراً من الموشحات
والأزجال والمزومات، وكلها تسبح في جو الرموز الصوفية من قبيل الموشحة
التي تبدأ ب:

تَدْرَجُ لَاهُوتِي بِنَاسُوتِي

وَحَصَلَ مُوسَى الْيَمَّ تَابُوتِي (11)

ومن هذه الموشحات واحدة جاءت على نسق موشحة ابن زهر «أيها

الساقى» أولها:

عِنْدَمَا لَاحَ لِعَيْنِي الْمُتَّكَا

ذَبْتُ شَوْقاً لِلَّذِي كَانَ مَعِي

أَيُّهَا الْبَيْتُ الْعَتِيقُ الْمُشْرِقُ

جَاءَكَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْمُسْرِفُ

عَيْنُهُ بِالْدمَعِ شَوْقاً تَذْرِفُ

غَرِيبَةٌ مِنْهُ وَسُكْرٌ فَالْبُكََا

لَيْسَ مَحْمُوداً إِذَا لَمْ يَنْفَعِ

وتنتهي الموشحة بـ:

أَيُّهَا السَّاقِي اسْقِنِي لَا تَأْتَلْ

فَلَقَدْ أَتَعَبَ فِكْرِي عُدَّتِي

وَلَقَدْ أَنْشِدُهُ مَا قِيلَ لِي:

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي

ضَاعَتِ الشُّكُوى إِذَا لَمْ تَنْفَعِ (12)

أما ديوان الششتري فإن الأجزاء تطغى فيه على الموشحات، هذا بالإضافة إلى قدر كبير مما تختلط فيه الفصحى بالعامية (المزجمات)، أو التي تبني على غير الأنماط التقليدية للموشحة. ومن الموشحات التقليدية قوله:

صَاحَ هَذِهِ الْأَسْرَارُ

قَدْ أَشْعَلَتْ فِي

الْحَشَامَتِي النَّارُ

مد لاح لي سرمن نهواه
 لم أستطع كتم ما ألقاه
 من شجو قلبي ومن شكواه
 ويح قلبي قد طار
 في ذا الهوى سابحاً
 ذا استهتار⁽¹³⁾

وكذلك موشحة أخرى لاحظ د. النشار-محقق الديوان-أن الششتري متأثر فيها بفكرة الكهف الأفلاطونية:

عَدَّ عن الوهم والخيال
 واستعمل الفكر والنظر
 ما الناس إلا كما الخيال
 فانظر إلى ماسك الصور
 من يُعتبر يجد اعتباره
 ويشهد الحق في الشهود
 مثل هديت الوجود ستاره
 وانظر لمن أطاع الوجود
 بدا له قبل أن أداره
 وأول السعد في الصعود
 من يرق من سافل لعال
 يُعاين العين في الأثر
 ما الناس إلا كما الخيال
 فانظر إلى ماسك الصور⁽¹⁴⁾

وهذه اللازمة الأخيرة تتردد في الأقفال جمعياً، وهذا مما استحدثه المتأخرون، أما الموشحات الأندلسية كما وصلت إلينا من مؤلفات مثل «دار الطراز» و«جيش التوشيح» و«توشيح التوشيح» و«المغرب» و«عقود اللال» ونحوها فلا تتضمن شيئاً من هذه الأجزاء المتكررة، وربما كانت هذه الظاهرة من سمات الإنشاد الجماعي بمعنى أن المنشد يترنم بالمقاطع الأخرى حتى

إذا ما وصل إلى هذا الجزء صاحبه المجموعة .
وكان لانتقال متصوفة المغرب-من أمثال ابن عربي والششتري-إلى المشرق
أثره البعيد في انتشار هذا اللون من الموشحات الصوفية في كل أنحاء
العالم الإسلامي، والى تغلغه في أوساط الشعب، حتى أصبحت كلمة
«التوشيح» مرتبطة في الأذهان بالأناشيد الدينية والصوفية .
وتتضمن مجموعة «الموشحات المغربية» للدكتور الجراري ومجموعة
«الأغاني التونسية» للصادق الرزقي العديد من هذه المنظومات، التي تقترب
حيناً من بنية الموشحة التقليدية، وتبتعد حيناً آخر عن ذلك، نتيجة لإقدام
غير العارفين بصناعة التوشيح على التأليف في هذا المضمار .
لقد تعددت موضوعات الموشحات-كما مر بنا-وعالج الشعراء في إطار
هذا الفن الجديد مختلف الأغراض (15) التي عولجت في إطار القصيدة
التقليدية لكن الشيء الثابت أن الموشحات تبقى-أولاً وأخيراً-قالباً شديد
الصلة بالموسيقى والإنشاد ومن ثم كانت أهم موضوعات الموشح ما اتصلت
بالغزل والخمریات والوصف، يضاف إليها-في فترة لاحقة-الموشحات
الصوفية .

القسم الثالث
وشاحو الاندلس والمغرب

وشاحو الأندلس

لا نسعى في هذا الفصل لأكثر من محاولة أولى تهدف إلى جمع أطراف الحديث-المتناثر هنا وهناك- عن وشاحي الأندلس والمغرب، ورصد لأعمالهم في هذا المضمار تاركين التفاصيل لدراسات أكثر رحابة، ولإمكانيات أكبر مما هو متاح لنا في الوقت الحاضر.

ولا نريد أن نخضع هذه المحاولة للترتيب التاريخي الصارم، فلا شك أن هذا الترتيب يعتريه الاضطراب، خاصة حين يتم فحص ما هنالك من مجموعات خطية، ومؤلفات أندلسية لم يزح النقاب عنها بعد-كذلك لن نلتزم بما التزم به مؤرخون مثل ابن بسام صاحب «الذخيرة» وابن سعيد في «المغرب» من تصنيف الشعراء وفقا للمدن والأنحاء، فهؤلاء الشعراء لم يكونوا أبنية لا تبرح الموضع الذي نشأت فيه، وما أكثر ما انتقل وشاحونا من مدن لأخرى، ومن قطر لغيره فضلا عن أن هذه التقسيمات المكانية لا تكاد تفصح عن شيء ذي بال، ولا تنتج إلا حشدا من التفريعات المعقدة.

بل إننا لم نر كبير فائدة في إخضاع ترتيب هؤلاء الوشاحين لتقسيمات العصور⁽¹⁾ التي كثيرا ما يلجؤون إليها في المؤلفات التاريخية والأدبية

العامّة عن الأندلس، لأن هذه المراحل-فضلا عن تداخلها-لا تعكس تحولات
فنية تستحق الذكر، وإن كنا لم نغفلها إغفالا كلياً، وحرصنا على أن نحدد
المرحلة الزمنية لكل وشاح، طالما كان ذلك متاحاً.

4 طور النشأة

لا شيء أصعب من الحديث عن نشأة فن من الفنون، فالمصادر عادة ما تكون شحيحة، والمعلومات متناقضة مبتورة، والصورة غائمة مطموسة، ولا يكون أمام الباحث إلا التزام الحذر وعدم الانسياق للاستنتاجات المتسرعة وإلا هوت به إلى الحضيض قدمه-شأنه في ذلك شأن الذين يغامرون في ساحة الشعر، وهم من غير سلاح.

وإذن فإننا في إطار هذه الدراسة العامة عن الموشحات، نؤثر ألا نخوض في خضم هذه القضية الشائكة، آخذين بوجهة النظر القائلة بأن الموشحات جاءت وليدة الأغنية الشعبية⁽¹⁾، ويمكن الارتكاز في هذا الصدد على عبارة تعد من أقدم الإشارات عن نشأة الموشحات، وقائلها هو

ابن بسام صاحب «الذخيرة»، ونص العبارة: «وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفئنا واخترع طريقتها، فيما بلغني، محمد بن حمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان..»⁽²⁾

وهذه العبارة من الإيجاز والغموض بمكان، خاصة فيما يتصل بالدلالات الاصطلاحية لكلمات مثل «التضمين» و «الأغصان» و«المركز»، فضلاً عن أنها تغامر بتحديد اسم «أول من صنع الموشحات»، وفي رأينا أن الموشحات مرت بطور مجهول إلى أن كانت أخريات القرن الثالث الهجري، حيث بدأ شعراء معروفون يؤلفون في هذا القالب.

* محمد بن محمود القبري (نسبة إلى قبرة، قرية من أعمال قرطبة):

* مقدم بن معافي القبري:

* ابن عبد ربه، صاحب «العقد»:

نسب ابن بسام-على ما رأينا-«اختراع» الموشح لمحمد بن حمود القبري أو بالأحرى لمحمد بن محمود القبري، كما جاء اسمه في معظم المصادر.. وفي «بغية الملتمس» للضبي: «محمد بن محمود المكفوف القبري، أديب شاعر، ذكره ابن حزم، وأنشد له في خيل السباق:

ترى مَنْ يرى المييدانَ يجهلُ أنه

لأهل التباري في الشطارة ميدانُ

كأنَّ الجيادَ الصافنات وقد عَدَّتْ

سطورُ كتابٍ والمقدِّمُ عنوانُ⁽³⁾

هذا كل ما ذكره عنه صاحب «البغية» والنص نفسه (وما خلا البيت

الأول) جاء في (المغرب)، ونقله ابن سعيد عن الحميدي صاحب

«جذوة المقتبس»⁽⁴⁾

ويذكر د. شوقي شيف أن الثعالبي ترجم له في «اليتيمة» ولا نعرف إلى

أي طبعة رجع (فقد ذكر طبعتين مختلفتين في قائمة المراجع) وقد عدنا

للطبعة القاهرية فوجدنا في الجزء الثاني منها:

«المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي، قال:

لا يُبعدُ اللهُ أياماً نَعَمْتُ بها

بين الغواني وشَمَلُ الحيِّ ملتئمُ

بكلِّ ناعمةِ الأطرافِ مشرقةِ

تكادُ تُسفرُ من إشراقِها الظلمُ⁽⁵⁾

الخ...

والمرجح أن «الغنوي» هذه ليست سوى «القبري» بعد أن اعترأها

التصحيف...

وأيا كان الأمر فإن هذه الجمل الموجزة لا تكشف عن شيء ذي قيمة، يبرز لنا صورة الرجل وشاعريته وموشحاته، بل لا تقدم تحديداً للحقبة التي عاش فيها وان كان المرجح أنه كان من شعراء أخريات القرن الثالث الهجري.

وإذا كانت المعلومات قليلة عن محمد بن محمود فإنها-على النقيض من ذلك مستقيضة عن ابن عبد ربه صاحب العقد، الذي يجيء عنه في «الذخيرة»:

«وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا» (وابن عبد ربه توفي سنة 328 هـ).

وأما ابن سعيد في «المقتطف من أزهري الطرف» فإنه يقول:
 (واستند إلى الحجاري صاحب «المسهب في غرائب المغرب»): «إن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري، من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد وهذه العبارة نفسها وردت في مقدمة ابن خلدون⁽⁸⁾ مع اختلاف يسير، ذلك أنه جعل كنية عبد ربه (أبو عبد الله) بدلا من الكنية المعروفة (أبو عمر)، ووردت العبارة نفسها بعد ذلك في كل من «نفع الطيب»⁽⁹⁾ و «أزهار الرياض»⁽¹⁰⁾ ولكن بغير كنية.

وعجيب أن يكون ابن عبد ربه من أوائل الذين ألفوا في الموشحات، لأن كتابه الموسوعي «العقد الفريد» لا يحتوي على شيء عن هذا الفن، ويتضمن في الوقت نفسه العديد من قصائده ومقطعاته (وكان ابن عبد ربه غزير الإنتاج في الشعر، وقد ذكر الحميد أنه رأى من شعرة نيفاً وعشرين جزءاً من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر)⁽¹¹⁾ ومن جانب آخر، فإن ابن عبد ربه هاجم في «العقد» جنوح الناس إلى الأساليب السوقية، وتخليهم عن الفصاحة، والموشحات-كما هو معروف-فيها، وبخاصة في الخرجات، عامية-بل أعجمية-في اللفظ والمعنى.

وقد قدم د. الكريم في كتابه «فن التوشيح» مجموعة من التساؤلات حول هذه النقطة، فقد شكك في أن يكون لابن عبد ربه صاحب العقد دور في نشأة الموشحات» وأضاف: «ويخيل لي في بعض الأحيان أن ابن عبد ربه

الذي كان علاقة بالتوشيح ليس هو هذا الرجل، بل ابن أخيه سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه، فقد ذكر (في المغرب): أن الناصر المرواني استحضره لينظر عليه في العلم القديم، فقابله من الكلام العامي الجلف بما كرهه من أجله وأبعده. فهذا الرجل، صاحب الكلام العامي الجاف، أدنى إلى أن يكون ممن نظم الموشحات-خارجاً بذلك على التقاليد القديمة- من صاحب العقد» ويضيف:

«هذا وقد ذكر بعض المؤرخين (عبد الواحد المراكشي: المعجب ص 299 المقرئ: نفع الطيب ج 1 ص 368) أبا عبد الله محمد بن عبد ربه من أحفاد ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد، وكانت له رحلة إلى مصر، لقي فيها ابن سناء الملك، وأخذ عنه من شعره. وهو أول من سمعه عبد الواحد المراكشي يذكر ابن سناء الملك بالأندلس ويروي شعره. فربما كان اتصال هذا الرجل المنتمي إلى صاحب كتاب العقد بابن سناء الملك الوشاح المشرقي العظيم سبباً في ذكر جده عند التعرض لبدء الموشحات، وربما يكون هو الذي خلق تلك الفرية، محاولاً رفع قدر جده، وهو من الموشحات براء»⁽¹²⁾.

وقضية نسبة اختراع الموشحات لابن عبد ربه صاحب العقد محيرة حقاً، ولكن من العسير دفعها بمثل التساؤلات التي أثارها د. الكريم في دراسته عن التوشيح لأنها تخطيء مصادر أساسية مثل «الذخيرة» و«المقتطف» على أساس ظنون لا تستند إلى برهان. لقد تحدثت بالفعل مصادر مختلفة عن أبي عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه-ابن أخ صاحب العقد على اعتبار أنه كان-على حد تعبير ابن أبي أصيبعة-«طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً»⁽¹³⁾ كما أن صاحب «اليتيمة»⁽¹⁴⁾ أورد له شعراً لا بأس به، ولكننا-على كل حال-لا نعرف مصدراً واحداً قرن اسمه بفن التوشيح.

وأما الحديث عن دور ما في هذا الأمر لحفيد ابن عبد ربه، فلا نجد له مبرراً على الإطلاق، لأن الإشارة إلى دور ابن عبد ربه (صاحب العقد) في الموشحات ترد في «الذخيرة» لابن بسام المتوفى سنة 542 هـ ونحن نعلم أن ابن سناء الملك ولد نحو سنة 550 هـ، وبمعنى آخر أن ابن بسام الذي روى الخبر توفي قبل أن يولد ابن سناء الملك، فكيف يفترض أن منشأ نسبة اختراع الموشحات لابن عبد ربه يعود إلى فرية قصها حفيد ابن عبد ربه على ابن سناء الملك؟

وهكذا يفضي بنا الحديث إلى «مقدم بن معافي القبري» الذي تحير في أمره مؤرخو الأدب الأندلسي، وإن كانت المعلومات عنه-على كل حال-أكثر وضوحاً مما وصل إلينا عن محمد بن محمود القبري.

وقد جاءت عنه في «المقتطف» لابن سعيد عبارة يتيمة تقول: «فأما الموشحات، فقد ذكر المجاري في كتاب «المسهب في غرائب المغرب» أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري من شعراء الأمير عبد الله المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد⁽¹⁵⁾، وهذه العبارة وردت عند ابن خلدون، وظهر اسم معافي في بعض طبقات المقدمة- وبخاصة طبعة كاترمير على النحو التالي:

«مقدم بن معافى الفريري»⁽¹⁶⁾ ففقد هذا التصحيف إلى حشد من سوء الاستنتاج⁽¹⁷⁾ كما أدى اشتراك معافي ومحمد بن محمود في النسبة (القبري) إلى الظن بأن الاسمين قد يكونان لشخص واحد، لكن المتفق عليه، الآن غير ذلك⁽¹⁸⁾.

والمعروف أن الأمير عبد الله المرواني توفى سنة 300 هـ، كل ألف مقدم موشحاته في ظل هذا الأمير أم بعده؟

لسنا نعلم شيئاً واضحاً عن هذا الأمر، والحميدي في «الجدوة»⁽¹⁹⁾ يقول إن مقداً هذا كان من شعراء بلاط عبد الرحمن الناصر (300-350 هـ)، وهذا كله لا يساعد في شيء إلا في إيضاح أن مقداً عاش حقبة من عمره في القرن الرابع الهجري.

وننتقل إلى الأمام نحو قرن من الزمان، لتتقابل مع «الجيل الثاني» من الوشاحين إذا صح التعبير.

5 الجيل الثاني

والمعلومات التي لدينا عن هذا الجيل أغزر بكثير مما كان عليه الحال مع محمد بن محمود القبري ومع مقدم بن معافي، هذا إذا استثنينا المكرم بن سعيد وابن أبي الحسن، وقد ذكرهم ابن بسام في كلمته عن أوائل الوشاحين، ولكن لا يعرف عنهم شيء في المصادر المعروفة.

وصاحب «الذخيرة»-بعد ذكر محمد بن محمود ومقدم وابن عبد ربه-يضيف:

«ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز، يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة، فاستمر على ذلك شعراء عصره كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن، ثم نشأ عبادة هذا (يعني ابن ماء السماء)»⁽¹⁾.

والملاحظ أن ابن سعيد في «المقتطف» (ومن أخذ عنه كابن خلدون والمقري) لا يشير إلى اسم الرمادي بين الوشاحين الذين ذكرهم، ولا يقدم عنه في «المغرب»⁽²⁾ شيئاً ذا بال، وكل ما هنالك مقتطفات تملأ صفحة وبعض صفحة، تنصدرها عبارة نقلها عن الحميدي في «الجدوة» نعرف منها أن شاعرنا هذا «قرطبي كثير الشعر سريع القول،

مشهور عند الخاصة والعامة هنالك، لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: «فتح الشعر بكندة، وختم بكندة، يعنون امرأ القيس، والمتنبى ويوسف بن هارون (3)- المتوفى سنة 403 هـ. وفي المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لمجموعته «دار الطراز» ترد عبارة تتعلق-فيما يبدو-بالرمادي، وهي:

«وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ بشرط أن يكون لفظها أيضاً في العجمي سفسافاً نطياً، ورمادياً زطياً» فما دلالة رمادياً هنا؟ لقد ظن الحميدي أن نسبة شاعرنا «الرمادي» جاءت من أن «أحد آبائه كان من أهالي الرمادة، وهي موضع بالمغرب» لكن د. أحمد هيكل ينفي هذا الظن، ويقول إن هذا اللقب «هو الصورة العربية للقب رومانثي كان يطلق على الشاعر، كأثر من آثار امتزاج العربية بالرومانثية في المجتمع الأندلسي. ومما يؤكد هذا أن بعض المصادر الأندلسية قد حفظت لنا هذا اللقب بصورته الرومانثية، ونهت كذلك إلى نقل هذا اللقب من صورته غير العربية إلى صورته العربية. فقال ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة، في ترجمته للشاعر يوسف بن هارون: كان يلقب بأبي جنيش، فنقل إلى الرمادي، فكلمة جنيش هي الكلمة الرومانثية التي صارت في الإسبانية (Cenisa) تيسا، ومعناها رماد. فأبو جنيش هي أبو رماد أو الرمادي»⁽⁴⁾.

وقد ضاع ديوان الرمادي ولم تصل منه إلا شذرات، وضاعت موشحاته التي أشار إليها ابن بسام. عبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز: وتحدث عنهما معاً لما بين أخبارهما من تداخل، لأنهما كانا معاصرين من جانب، وللتشابه بين الاسمين في لفظة «عبادة» من جانب آخر.

وإلى عبادة بن ماء السماء يشير ابن بسام قائلاً: «نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز.. ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التغيير وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمونها، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز» ويقول في بيان فضله:

«وكان أبو بكر في ذلك العمر شيخ الصناعة، وإمام الجماعة، سلك في الشعر مسلماً سهلاً، فقالت له غرائب مرحباً وأهلاً. وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقها، ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود، ولا منظمومة العقود، فأقام عبادة هذا منأداها، وقوم ميلها وسنادها، فكأنها لم

الجيل الثاني

تسمع بالأندلس إلا منه، ولا أخذت إلا عنه، واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته»⁽⁵⁾

ويقدم ابن بسام نبذة لا بأس بها عن عبادة القزاز، منها:
«من مشاهير الأدباء الشعراء، وأكثر ما ذكر اسمه وحفظ نظمه في أوزان الموشحات، التي كثر استعمالها عند أهل الأندلس.. وهو ممن نسج على منوال ذلك الطراز، ورقم ديباجه ورضع تاجه، وكلامه نازل في المديح، فأما ألفاظه في التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف»⁽⁶⁾
وفيما يبدو أن موشحات ابن عبادة (شأنها في ذلك شأن موشحات عبادة بن ماء السماء) كانت عزيزة الوجود منذ قرون وقرون، كما قد يستدل على ذلك من قول ابن فضل الله العمري عن ابن القزاز:

«.. صاحب الموشحات الموشعات، والكؤوس المشعشعات، والبدائع التي لم يحصرها وزن، والوشائع التي لم يلبس مثلها روض الحزن، والروائع التي لا عيب في درها إلا أنه لم يذخر بالحزن..»⁽⁷⁾

أما ابن سعيد، فإنه في «المغرب» لا يكاد يقدم شيئاً يستحق الذكر عن حياة ابن عبادة. (وإن أورد نماذج من شعره، وبعض موشحات-سنذكرها بعد قليل) ولم يجيء شيء عن عبادة بن ماء السماء في النسخة المطبوعة من الكتاب، كما لا يذكر اسم ابن ماء السماء في الفصل الذي عقده عن الموشحات والأزجال ضمن كتابه «المقتطف» ولكنه يورد عن ابن عبادة القزاز: «فأما الموشحات، فقد ذكر الحجاري في كتاب المسهب في غرائب المغرب أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبيري.. وأخذ عنه ابن عبد ربه.. ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما، وكان أول من برع في هذا الشأن يعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية. وقد ذكر الأعلام البطليوسي أنه سمع ابن زهر يقول: كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز في ما اتفق له من قوله:

بدرٌ تمَّ	شمسٌ ضُحى	غصنٌ نقا	مسكٌ شمَّ
ما أتمَّ	ما أوضَحَا	ما أروَقَا	ما أنمَّ
لا جرَّم	من لَمَحَا	قد عَشَقَا	قد حُرِّمَّ

وزعموا أنه لم يشق غباره وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف»⁽⁸⁾.

وقد توفى عبادة بن ماء السماء سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، أو سنة تسع عشرة وأربعمائة⁽⁹⁾ أما ابن عبادة القزاز، فإنه كان الشاعر المقدم في بلاط المعتصم بن صمادح صاحب المرية، وفي ذلك يسوق صاحب «النفح» أن ابن عبادة أنشد المعتصم شعراً يقول له فيه:

ولو لم أكن عبداً لآل صمادح
وفي أرضهم أصلي وعيشي وموئدي
لما كان لي إلا إليهم ترحُّلٌ
وفي ظلهم أمسي وأضحى وأغتدي

فارتاح وقال: يا ابن عبادة، ما أنصفناك، بل أنت الحر لا العبد، فاشرح لنا أملك. فقال:

أنا عبد جودكم كما قال ابن نباتة:
لم يبق جودك لي شيئاً أو مله
تركنتني أصحاب الدنيا بلا أمل

فالتفت إلى ابنه الواثق ولي عهده، وقال: إذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع، ضمه إليك، وافعل ما تقتضيه وصيتي به، ونبهني إليه كل وقت، فأقام نديماً لولي العهد المذكور. وله فيهما المرشحات المشهورة كقوله:

كم في قد ود البانِّ تحت اللَّمَمِ من أقمر عَوَاطِ
بأنمل وبنانِّ مثل العنَمِّ لم تَنبِرَ لِعَاطِ⁽¹⁰⁾
وفي «معجم السفر» للسلفي إثارة أخرى لإحدى موشحات ابن القزاز

في مدح المعتصم أولها:

هل يُتَاحُ للأرواحِ من ظُبَاكِ يا سَفَاحِ
أَنْ تُرَاحَ أو تَرَاحَ أو تَرَاحَ في مَرَّكَ⁽¹¹⁾

وهو نص نادر لا نجده في غير كتاب السلفي.

أما ابن سعيد في «المغرب» فإنه يذكر له قسماً كبيراً من موشحة أولها:

أَذَابَ الْخُـ أـ د
نـ هـ د م هـ نـ د

وَعَصَا نُونٍ تَأْوَدُ
 فِي دِعْصِ مَابِبْدُ
 عَنْ سَقْمٍ مُكَمَدٌ
 لَاءُ
 ففدع عَدَلِي
 يَا مَن يَأْوَدُ
 ففأومؤك لِي
 فِي الْحَبِّ لُبُومُ
 أَقْصَى أَمَلِي
 ظَبِي رُخِيْمٌ (12)

وقسماً من موشحة أخرى أولهما:

صِلْ يَا مُنَى الْمُتَيِّمِ مَن رَاخُ
 مَقْصُوصِ الْجَنَّاخِ
 صَاغَ الْجَمَالَ مَن كَلَّ لَأَلَاءِ
 خَدَّ أَدِيمُهُ مَن الصَّهْبَاءِ
 وَوَجَنَّةُ أَرْقُ مَن الْمَاءِ
 كَأَنَّهَا شَقِيقَةُ تُفَاخِ
 لَم تُلْمَسْ بَرَاخُ (13)

وهناك نصوص لا يعرف على وجه الدقة أهي لعبادة بن ماء السماء، أم لابن عبادة القزاز، ففي «فوات الوفيات»⁽¹⁴⁾ موشحتان لابن ماء السماء، الأولى تبدأ ب:

مَنْ وَأَلِي
 فِي أَمِهِ أَمْرًا وَلَمْ يَعْدِلِ
 يُعْرَلِ
 إِلَّا لِحَاظِ الرَّشَاءِ الْأَنْحَلِ

والثانية:

حُبِّ الْمَهَا عِبَادَهُ
 مَن كُلَّ بَسَّامِ السَّوَارِ
 لَكِن الصَّلَاحِ الصَّفْدِيِّ فِي «الوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ»⁽¹⁵⁾ يَجْعَلِ الْأَوْلَى لِمُحَمَّدِ

بن عبادة القزاز ويجعلها هو نفسه في كتابه «توشيح التوشيح»⁽¹⁶⁾ لعبادة بن ماء السماء! ويذكرها ابن المواعيني في «ريحان الألباب»⁽¹⁷⁾ مصدرية بـ «وغريب التوشيح ما أنشد به أبو عامر ابن ينق قال: أنشدني عبادة بن ماء السماء لنفسه من موشحة قليلة الأمثال..» النص
وإذن فلا يبقى لابن ماء السماء سوى موشحة واحدة لا خلاف عليها في المصادر وهي التي أولها:

حُبِّ الْمَهَامَا عِبَادَةَ

مَنْ كَلَّ بِسَّامِ السَّوَارِ

ولكن د. إحسان عباس يقول عنها إنها «شبيهة بموشحات القزاز، والخرجة فيها معربة. وإذا كان كذلك فقدنا آخر مثل من الموشحات المبكرة نسبياً»⁽¹⁸⁾، ونحن لا نطمئن كثيراً لمثل هذا الاستدلال، لأن ابن القزاز فيما وصل إلينا من موشحاته لا يسير على نمط ثابت، وهناك فروق فنية واضحة بين موشحاته التي تتعدد فيها الأجزاء في القفل، أو في البيت، مثل قوله في موشحة «بأبي. ظبي حمى»:

بَدْرٌ تَمَّ شَمْسٌ ضُحَى غَصْنٌ نَقَا مِسْكٌ شَمَّ

وبين قوله:

صِلْ يَا مُنَى الْمُتَيْمِ مَنْ رَاخَ

مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ

ومن جانب آخر، فإن الترجيح لا يمكن أن يقوم، إلا إذا كنا نملك قدراً من موشحات ابن ماء السماء، يسمح بأن نتبين من خلاله الخصائص الفنية عنده، ونقارنها بموشحات ابن القزاز، ثم نحكم بعدها على موشحة «حب المها عبادة».

والقضية تصبح أكثر تعقيداً عندما ينظر المرء في نصوص «دار الطراز»، وفي المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لكتابه، لأن صاحب «الدار» لا يذكر إلا «عبادة» من غير تحديد، مثال ذلك موشحة:

بِأَبِي عِرْقُ

بِالْبَيْتِ نَفْسِ عِرْقُ

وقد أوردها بتمامها⁽¹⁹⁾ وذكر في المقدمة: «هذا الموشح لعبادة» وقد يظن ظان أن الاكتفاء باسم «عبادة» يفرض على الباحث أن يرجح نسبة

الجيل الثاني

النص لعبادة بن ماء السماء لا لابن عبادة القزاز، لكن المشكلة أن هذا الأخير يذكر كذلك على أنه «عبادة القزاز» فضلاً عن أن بعض الموشحات التي اكتفى ابن سناء الملك بنسبتها إلى «عبادة» تأتي منسوبة لابن عبادة القزاز في عدد من المصادر، كما تنسب لابن ماء السماء في غيرها، مثل:

بأبي ظبي حمى تكفُّهُ أسدُّ غيلٍ
التي عرفنا أن ابن الموايني جعلها لابن ماء السماء⁽²¹⁾، أما ابن سعيد في «المقتطف من أزاهر الطرف» فنسبها إلى «عبادة القزاز»، وقد مر بنا قول ابن زهر إن «كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله:

بِدْرُ تَمَّ شَمَسُ ضَحَى غَصْنُ نَقَا : مَسْكُ شَمَّ.. الخ
وهذا المقطع لا يعدو أن يكون أو «البيت» الثاني من أبيات موشحة «بأبي: ظبي حمى». والموشحة نفسها ترد في «جيش التوشيح»⁽²²⁾ منسوبة هذه المرة لأبي بكر بن بقی!

وهناك موشحتان أخريان في «دار الطراز» تحويان في ثناياهما ما يؤكد نسبتهما لابن عبادة القزاز، الأولى هي موشحة:

دعني أشمُّ: برقاً جمداً: مرجانٌ: قد انتظم فيه البردُ: فازدان
فالخرجة فيها تقول:

قُلْ هل عَلمٌ: أو هل عَهدٌ: أو كانُ: كالمعتصم والمعتضدِ مَلِكَاً
والثانية أولها.

رُحٌ للراحِ وباكِرٌ بالمُعَلِّمِ المُشَوِّفِ غبوقاً وصُبوحٌ على الوترِ الفصيحِ
وخرجتها:

ما ألمح العساكرُ وترتيب الصفوفُ والأبطالُ تصيح الواثقُ يا مليحُ
ففي الخرجة الأولى إشارة إلى المعتصم والمعتضد (صاحب أشبيلية) وكان بينهما تحالف في فترة من الفترات، وأما الواثق المشار إليه في الخرجة الثانية فهو عز الدولة ابن المعتصم، وفي هذا ما يدل على أن الموشحتين من نظم ابن عبادة القزاز شاعر المعتصم وابنه.

على أن الاشكالات لا تنتهي عند هذا الحد مع عبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز، فهناك اسم ثالث يتردد في بعض المصادر الأندلسية هو اسم «عبادة بن محمد بن عبادة-القزاز» وهذا الاسم يرد في «الخريدة»-

على سبيل المثال-دون أي تحديد لعصره أو مكانته أو الفنون التي برع فيها،
ويأتي بعد الاسم مباشرة بيتان هما :

إِنَّمَا الْفَتْحُ هِلَالٌ طَالِعٌ
لَا حَ مِنْ أَزْرَارِهِ فِي قَائِكَ
خَدُّهُ شَمْسٌ وَوَيْلٌ شَعْرُهُ
مَنْ رَأَى الشَّمْسَ بَدَتْ فِي حَلَاكَ (24)

وعلق محققا هذا القسم الخاص بشعراء الأندلس وأدبائها على الاسم بأن المعنى هنا «أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة.. ويعرف بابن ماء السماء» وبذا حسما الأمر دون اعتبار لصفة «القزاز». وتوقف هذا المستشرق شترن أمام هذا الاسم فتساءل عما إذا كان «عبادة» هذا ابنا لمحمد بن عبادة القزاز أو ابن القزاز الذي نعرفه، ولم يستطع أن يحسم في المسألة. (25)

والحق أن المغامرة بتقديم حل حاسم لمثل هذه المشكلة قد تقود للشطط، خاصة حين تتدخل مصادر أخرى فتقدم إشارات عن «عبادة بن محمد بن عبادة الأقرع»، صاحب الموشحات، فهل هذا شخصية أخرى تشترك في تأليف الموشحات كما تشترك في نعت «عبادة»، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون هفوة من هفوات التأليف أو النسخ، وأن المقصود بهذا الاسم الثالث محمد بن عبادة القزاز؟ ولم لا نجد عن عبادة «الثالث» هذا إلا إشارات مقتضبة تتسم بالغموض؟

إن تكرار الحديث عن الشخص الواحد في كتاب مثل «الخريدة»-بما يوهم أحيانا انهما شخصيتان منفصلتان- (26) يجعلنا نشك في وجود وشاح ثالث يحمل اسم عبادة (27) غير ابن ماء السماء وابن «القزاز».

أم الكرم بنت المعتصم:

جاء عنها في «المسهب» ونقل صاحب «المغرب» (28) :

«كان المعتصم قد اعتنى بتأديبها، لما رآه من ذكائها حين نظمت الشعر والموشحات» لكن شيئا من هذه الموشحات لم يصل إلينا، ولم يبق من شعرها إلا أبيات متفرقة تدور حول موضوع الحب.

وأم الكرم هي أول شاعرة أندلسية يذكر أنه كان لها إسهام في تأليف

الجيل الثاني

الموشحات والمحموظ أن شاعرات الأندلس-إلا قلة قليلة-لم يُوثر عنهن أنهن
ألفن موشحات.

فترة النضج والازدهار

● ابن عمار (ذو الوزارتين، أبو بكر بن محمد، المهدي، الأندلسي، الشلبي) ⁽¹⁾ المتوفى سنة 477: لخص ابن سعيد في «المغرب»-استنادا إلى «القلائد» و«الذخيرة» و«المسهب» حياة ابن عمار العاصفة في سطور، فذكر أنه من قرية شنيوس، من المملكة الشلبيية وكان من أصحاب المعتمد في زمن الصبا، فلما آل الأمر للمعتمد، قرب ابن عمار وصار عنده كجعفر عند الرشيد، إلى أن داخل ابن عمار العجب،.. فوثب على مرسية لما أخذها للمعتمد، وانفرد فيها بنفسه، وهجا ابن عباد وزوجته الرميكية «وانتهى الأمر إلى الوقوع في الأسر وقتله المعتمد بيده».

ولا يذكر ابن عمار في أي من المصادر المعروفة على أنه من الوشاحين، وتفرد الصفدي في «توشيح التوشيح» ⁽²⁾ بعده من بين كبار وشاحي الأندلس.

● ابن زيدون (أحمد بن عبد الله): ⁽³⁾

الوزير الشاعر الكاتب، صاحب الرسالتين الهزلية والجديية، والقصائد الوجدانية ذات الشهرة المدوية، وبخاصة «النونية» التي طالما عارضها الشعراء عبر العصور:

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا ولم يذكر ابن زيدون في المصادر المعروفة على أنه من الوشاحين كما أن ديوانه لا يضم شيئاً في هذا المضمار، وفيه مسمطتان «سقى الغيث أطلال الأحبة بالحمى» و «تنشق من عرف الصبا ما تنشقا» ومن الدارسين المحدثين (4) من يعدهما-خطأ-من الموشحات.

● ابن ارفع رأسه (أبو بكر محمد) (5) :

جاء عنه في «المقتطف» في معرض الحديث عن أوائل الوشاحين الذين ظهروا بعد ابن عبادة القزاز:
«وجاء مصلياً خلفه منهم ابن ارفع رأسه، شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة. قالوا قد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له، حيث يقول:

الْعُودُ قَدْ تَرْتَمُ
بِأَبْدَعِ تَلْحِينِ
وَشَقَّةَ الْمَذَانِبِ
رِياضِ الْبَسَاتِينِ
وفي انتهائه حيث يقول:
تَخْطُرُ وَلَيْسَ تَسْأَلُ
عَسَاكَ الْمَأْمُونُ
مُرُوعَ الْكَتَائِبِ
يَحْيَى بِنَ ذِي النُّونِ

وذكره ابن سعيد في «المغرب» ولم يورد عنه شيئاً يذكر: «نبه الحجارى على بيته بطليطلة، وان المأمون بن ذي النون اشتمل عليه وشهر عنده ذكره.. وله موشحات مشهورة يغنى بها في بلاد المغرب، منها في مدح المأمون بن ذي النون» ولم يذكر إلا ثلاثة أبيات قالها في مدح ابن ذي النون يجيء في مصادر أخرى أنها قيلت على البديهة، وفي حسابنا أن عبارة «المغرب» توحى بأنه سيسوق شيئاً من هذه الموشحات، لكن الأمر وقف عند هذا الحد (6).

ومن موشحة «العود قد ترنم» قطعة ترد في «مجموع الأغاني والألحان

فترة النسخ والزهارة

من كلام الأندلس» منها:

وَعَنَاءُ الطَّيْزِ
عَلَى غُصُونِ البَانِ (7)
وَضَحَاكُ السَّرُورِ
وَأَسْـلُ لَأَمِيدَانِ
وَكَلَانَا أَمِيرِ
بِالرَّاحِ وَالسَّاطَانِ.. الخ

ومن حسن الحظ أن مجموعة «جيش التوشيح» تضمنت عشر موشحات لابن ارفع رأسه، وقد صدرها لسان الدين بن الخطيب بعبارة مسجوعة فيها:

«رفع في التوشيح رايته، وبلغ منه غايته، واستوفى أمره ونهايته، فجلا برائق مبانیه أنوار معانيه، فجاءت ألفاظه يرف رونقها، و يشف تأنقها، إن مدح جاءت المدائح إليه تترى، أو تغزل رأيت جميلا بوادي القرى، جدد بني ماء السماء المتقدمين في التمييز، وانضوى به إلى الملوك والتحييز...»
والموشحات التي بين أيدينا تدور حول الغزل والمديح، وفي بعضها ما يمكن أن يعد من «التزنييم» أي الخروج على الفصحى- إلا إذا كان مرد ذلك إلى سوء النسخ، وانظر موشحته:

قَد كُنْتُ فِي عَدَنٍ فَاخْتَلْتُ وَالْهَفَى كَأَنَّ ابْلِيسَا قَدْ وَشَى إِلَى الْفِي
وَاصَلَّ إِيشِ
مَنْ عَهْدَهُ انسى...
بِدَرْبِدا مَاشِ
كِي يَكْسِفُ الشَّمْسِ (8)

ومن أفعالها:

حاشاك ياخذني أن تُدينَ بِالْحَلْفِ فَبُوسِنِي يَوْمًا وَحَدَهُ مِنَ الْأَلْفِ
وغيره:

أجل من الحُسن قبلَ رجعة الطَّرْفِ مَنْ عَرِشٌ بَلْقِيسَا مُنَعَّتْ بِالنَّصْفِ
وهناك فضلا عن ذلك جمل لا نحسب أنها كانت تغنى على النحو الذي تنطق به بالفصحى مثل:

الخُـلُـفُ الوُعْدُ

نَاقِضُ عُرَى الوُدِّ

ففي اعتقادنا أنه كان يوقف بالسكون في «ناقض». ومن أشهر الموشحات المنسوبة لابن ارفع رأسه قوله:

مَنْ عَلَّقَ القُرْطَا فِي أذن الشَّعْرَى وَأَكْفَفَ المَرْطَا العُصْنَ النَّضْرَا⁽⁹⁾
وبعض خرجات موشحاته تمتزج فيها العامية بالرومانث كقوله في

موشحته «الراح والرضا:

يَا مَمَّ شنت لاب ذا الوعدْ ذا الحججْ دَعَّ هَجْرَ مَم قطعْ فالقطع في سمج
أو قوله في خرجة موشحته «للهوى في القلب أسرار:

بَعْنَايشْ لمحتْ إنْ لمحتْ

كَم هَلْشْ مِنْ يَدِي

بِوَن بِلَاشْ امْتَارْ

أو لمحت عم من عن ك فرى

* ابن اللبانة (محمد بن عيسى بن محمد، أبو بكر اللخمي):

الداني (نسبة إلى مدينة دانة، بالأندلس) وكان شاعر المعتمدين عباد،

وتوفى في سنة 507⁽¹⁰⁾

أورد له ابن سناء الملك في «دار الطراز» ثلاث مرشحات الأولى (وتجئ

بدورها في مجموعة «جيش التوشيح»):

عَلَى عيون العينِ رعى الدرارى مَنْ شَعَفَ بالحَبِّ

الثانية (وترد كاملة في المغرب):

كَم ذا يُوْرُقُنِي ذو حدقْ مَرَضَى صحاحْ لا يُلِينَ بالأرقْ

والثالثة: (ومنها قطعة في «المغرب» وتجيء كاملة في «جيش التوشيح»):

كذا بقتادْ سنا الكوكب الوقادْ إلى الجلاسْ مشعشة الأكواسْ

ومن أشهر موشحاته-وعارضها كثيرون-موشحة:

فِي نَرجس الأحقادْ

وسَّوْسُون الأجيادْ

نَبُتْ الهوى مغرُوسْ

بين القنا الميادْ⁽¹¹⁾

ويستغرق الغزل جل الموشحة، ولكنه يختمها بمديح بني عباد.

وأشهر من الموشحة السابقة قوله:

هلا عُدُولِي قد خلعتَ العُدَارَ لا اعتدَارَ عن ظُبا الإنس وشُرْب العُقَارِ
وخرجتها بلغة الرومانث:

وغادة تشكو بعباد الخليل
عُدُوها تبكي ويوم الرحيل
بضفة البحر وظلت تقول:
... امار الفرار وليس دمار

ومن الموشحات المنسوبة لابن اللبانة، وترد في «توشيح التوشيح»⁽¹²⁾
وفي «عقود اللال في الموشحات والأزجال»⁽¹³⁾ وفي غيرها⁽¹⁴⁾

شاهدي في الحُب من حُرقي
أدمع كالجمر تندر ف
تعجز الأوصاف عن قمر
خده يدمى من النظر
بشري سمو على البشـر
قد براه الله من علق
ما عسى في حسنه أصف

ويعد نموذجاً للموشح «الشعري» بل لعله-إذا صحت نسبته لابن اللبانة-
أقدم ما وصل إلينا من هذا النوع.
* ابن لبون (أبو عيسى، لبون):⁽¹⁴⁾

أمير مريبطر Murviedro

له في «جيش التوشيح» عشر موشحات من أجملها موشحته:
ما بدا منّ حالي قد كفى عُدّالي عاذلي لا تكثر في الهوى تعدّالي
عذلكم يُغريني
فانت هوا عن عذلي
كأضي بالعين
زاد في فضالي

وموشحة:

من أطلع البدر في كمال
غصن أعتدال

بمُهَجَّتِي شَادِنُ غَرِيرُ
يَجُورُ حَكْمًا وَلَا يُجِيرُ
وَمَا سَوَى أَدْمَعِي نَصِيرُ
تَفْعَلْ عَيْنَاهُ بِالرَّجَالِ

فَعَلَّ الْعَمَلُ

وتنتهي وكلها حول موضوع الحب-بالحبيب وقد لان بعد طول تدلل:

لِلَّهِ يَوْمًا بِهِ نَعْمَانَا
رَاقٍ أَصِيلًا فَرَّاقَ حُسْنِنَا
عَاتِبَتْهُ مَازِحًا فَغْنَى:

إِيَّاكَ يَغْرَبُكَ صَرَفَ مَالِ

يَا مَن بَدَأَ لِي (15)

وهذه الخرجة معربة، وفي موشحات ابن لبون ما تكون فيه الخرجات بالعامية مثل موشحة «كم ذا يعذل» وينتهي بالحديث عن هذه الحسناء التي:

تَشْدُو خَالَهَا

تَدْعُوهُ لِوَصْلِ وَالْعِنَاقِ:

سَمَّارَكَ حَامُوا

انده من شار بالعدد

كما أن لابن لبون موشحة ذات خرجة اختلطت فيها العربية بلغة الرومانث، وهي موشحة «شكا جسمي» وفيها تشدو المحبوبة حزنا لما علمت بما حل به:

عزيمي كمد سيد يا قوم تُرى بالله سم الاسم ند رلو
* ابن الزقاق (أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عطية) (16) المتوفي نحو

سنة 530 هـ (17): جاء عنه في «المسهب»:

«من فتیان عصرنا الذين اشتهر ذكرهم وطار شعرهم، وهو جدير بذلك، فلشعره تعشق بالقلوب، وتعلق بالسمع، وأعانه على ذلك مع الطبع القابل كونه استمد من خاله أبي إسحاق بن خفاجة ونزع منزعه».

ولسنا نملك شيئاً ذا بال عن موشحات ابن الزقاق، باستثناء ما يجيء في «توشيع التوشيح» (18)، فقد عده الصفدي «ممن سبق إلى التوشيح،

فترة النضج والازدهار

وسبق إلى الغاية من أهل المغرب»، ونسب إليه موشحة (تجيء بدورها في مخطوطة «عقود اللال»⁽¹⁹⁾ منسوبة كذلك لابن الزقاق) يقول فيها:

خُذْ حَديثَ الشُّوقِ عَن نَفْسِي

وَعَن الدَّمْعِ الَّذِي هَمَّ عَا

مَا تَرَى شَوْقِي قَد اتَّقَدَا

وَهَمِّي بِالدَّمْعِ وَاطَّرَدَا

وَاعْتَدَى قَلْبِي عَلَيْهِ سُدَى

آه من ماء ومن قَبَس بين طرفي والحشأ جُمعًا

وهي موشحة رفيعة المستوى، من نوع «الموشح الشعري» فألفاظها غاية في الرقة ومعانيها تلفها غلالة من البساطة، والصور الخلابة، والنغم الحار والمشكلة أن المصادر الأخرى لا يذكر فيها شيء عن موشحات ابن الزقاق، ولا يوجد إلا نص واحد منسوب له، وهذا النص نفسه يرد في «نفع الطيب» على أنه من موشحات ابن بقي⁽²⁰⁾.

وسواء كانت هذه الموشحة من شعر ابن الزقاق أو ابن بقي، فإنها تعد من عيون الموشحات الأندلسية، وخرجتها معربة، ينشد فيها العاشق:

أَيْن ظَبْيُ القَفْرِ وَالكُنْسُ

مِن عِزَالٍ فِي الحَشَأ رَتَعَا

* ابن جاح (الصبغ البطليوسي):

وصفه المقرئ بأنه «من أعاجيب الدنيا، لا يقرأ ولا يكتب»⁽²¹⁾ وروي عنه أخبارا مع الوزير ابن عمار، تدل على سرعة بديهته، وحسن ارتجاله، كما أورد خبر قدومه إلى بلاط المعتضد بن عباد، وازدراء الشعراء به وسخرتهم منه، حتى جاءت ساعة الإنشاد، فإذا به يقول مدحة من عيون الشعر (ذكر المقرئ منها ثلاثة عشر بيتا) عندئذ قال له المعتضد: «اجلس، فقد وليتك رئاسة الشعراء، وأحسن إليه ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لأحد بعده».

وقد ترجمت بعض المصادر لابن جاح، ولكن أيا منها لم يذكر شيئاً عن موشحاته، وعده الصفدي في «توشيح التوشيح» من المبرزين في هذا الفن الأندلسي⁽²²⁾.

* ابن الأرقم (أبو الاصبغ عبد العزيز بن محمد، النميري):

قال ابن الأبار في «التكملة» إنه كان:

«كاتباً بليغاً شاعراً، أقام بدانية، عند إقبال الدولة على ابن مجاهد، ثم صار إلى المعتصم بن صمادح، فكان من وجوه رجاله، ونبهاء صحابه. وله رسائل وتأليف في الأدب. وتوفى في عهد المعتمد بن عباد» (23) ووصفه المقري بأنه «كان آية الله تعالى في الوفاء»، وذكر خبر إعجاب المعتمد بن عباد به، وسعيه لضمه إلى دولته، ورفض ابن الأرقم وفاء منه لابن صمادح. وفي معرض الحديث عن موضحة الأعمى التطيلي «ضاحك عن جمان» يضيف المقري:

«وممن عارض هذه الموشحة ابن أرقم، إذ قال>:

مَبَسُّمُ الْبِهْرَمَانِ
فِي الْمُحَايَا الدَّرِيِّ
صَادَقَ أَبِي وَبَانَ
وَأَنَّا لَمُؤْمِرٌ أَدْرُ (24)

وهذا كل ما يعرف من أمر موشحات ابن الأرقم. ولا يستبعد شترن (25) أن يكون المقري قد أخطأ عندما ذكر أن ابن الأرقم هو الذي عارض التطيلي، وأن يكون العكس هو الصحيح، على اعتبار أن ابن الأرقم أقدم عهداً من التطيلي، إذ كان الأول في أخريات عمره، عندما كان الثاني في سن الشباب. * ابن الفرج (ذو الوزارتين أبو عامر): (26)

وزير المأمون بن ذي النون، ملك طليطلة ثم وزير ابنه عبد القادر. ذكر ابن سعيد-نقلاً عن «المسهب» أن بني الفرج كانوا من أعيان بلنسية «الذين توارثوا الحسب، وجلوا عن أن يحيط بهم نظم من الشعر أو نثر من الخطب، وما منهم إلا من تهادته الملوك..» ثم ذكر خبر تفرقهم على حواضر ملوك الطوائف، واستقرار أبي عامر بن الفرج في بلاط بني ذي النون، وأضاف:

«قال (يعني الحجاري، صاحب «المسهب»>) وله في التوشيح طريقة

حسنة»، ولا نملك من هذه الموشحات شيئاً.

* والحصري (أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الضري): (27)

وصفه صاحب الخريدة «بأنه» حب تصنيفات وتأليفات وإحسان في النظم» (28) (ولا ينبغي الخلط بينه وبين ابن خالته أو خاله أبي إسحاق

فترة النضج والازدهار

إبراهيم الحصري، صاحب «زهر الآداب»، وأشهر ما عرف له قصيدته «يا ليل الصب» التي عارضها كثيرون في الماضي والحاضر. والحصري ينتمي إلى مدينة القيروان، وتركها بعد المحن التي حلت بها واستقر فترة من الزمن في سبته، وانتجع بلاط المعتمد بن عباد في اشبيلية، كما قصد غيره من ملوك الطوائف. وأقام في أخريات حياته بطنجة، وفيها توفي سنة 488 هـ.

وقد عدّه الصفدي في «توشيح التوشيح» «ممن سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغرب» (ولا يذكر غيره شيئاً عن صلة الحصري بفرن التوشيح) ونسب له موشحة هي:

مَنْ عَلَّقَ الْقُرْطَا فِي أذُنِ الشَّعْرَى وَأَلْحَفَ الْمَرْطَا الْعُصْنَ النَّضْرَا⁽²⁹⁾
وهي من غرر الموشحات الأندلسية، على الرغم من ثقل قافية الطاء التي تتخلل كل أفعالها. والمشكلة أن هذه الموشحة وردت بدورها في «جيش التوشيح» منسوبة لابن ارفع رأسه⁽³⁰⁾ وهي بموشحات هذا الأخير ألصق منها بالحصري، الذي لا يعرف له أي إسهام في مجال الموشحات.

● ابن نزار (أبو الحسن):

أحد الشعراء الأمراء، ذكر المقري في «النفح»⁽³¹⁾ شيئاً من أخباره، وقال انه «لما انتثر سلك نظام ملك لتونة- (من البربر المرابطين) تفرق ملك الأندلس رؤساء البلاد، وكان من جملةهم الأمير أبو الحسن بن نزار، لما له من أصالة في وادي آش، فحسده أهل بلده، وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة، فخطبوا في بلدهم لملك شرق الأندلس «محمد بن مردنيش»، وانتهى الأمر بأن جيء به وهو في الأغلال إلى مرسية، وأودع السجن ويضيف المقري أنه: «لم يزل على حاله في السجن إلى أن تحيل في جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التي أولها:

نَازَعَكَ الْبِدْرُ الْيَاخُ
بِنُنْتِ الْبِدْتَانِ
فَلَمْ يَدْعُ لَكَ اقْتِرَاخُ
عَالِي الزَّمَانِ

وفيهما يقول:

يَا هَلْ أَقُولُ لِحَسْبُودِ
وَالْعَيْسُ نَحْدَى:
يَا لَأَتَمِي عَلَى السَّرَاحِ
كَانَتِ أَمَانِي
أَخْرَجَهَا ذَاكَ السَّمَّاحِ
إِلَى الْعَيْسَانِ

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها وأحكمت الغناء بها، وأهداها إلى ابن مردنيش بعدما أوصاها أنها متى استدعاها إلى الغناء غنته بهذه الموشحة...، واتفق أن ظفر بما أوصاها به، وأحسنت غناء الموشحة، فطرب ابن مردنيش... وفي بقية الحكاية أنه لما عرف أن الموشحة لابن نزار أمر على الفور بفك قيوده، وقال له: «يا أبا الحسن، قد أمرنا لك بالسراح على رغم الحسود، فارجع إلى بلدك، مباحاً لك أن تطلب الملك بها وبغيرها إن قدرت، فأنت أهل لأن تملك جميع الأندلس لا وادي آش» وقدر لابن نزار أن يتولى الرئاسة من جديد في وادي آش، والياً عن ابن مردنيش.

ويخلو المغرب من ترجمة لابن نزار ولكن ابن سعيد ذكر موشحة جميلة أولها:

اشربْ على نغمة المثاني ثاني

قال إنها «لابن نزار، وتروى لابن حزمون»، وخرجتها:

يا لَيْلَةَ الوَصْلِ والسَّوْدِ عُوْدِي⁽³²⁾

* الأعمى التطليلي⁽³³⁾: (أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي):

نشأ بأشبيلية، وفيها عظم شأنه في الموشحات، ويقول ابن سعيد عنه

في «المقتطف»-بعد أن ذكر ابن عبادة القزاز وابن رافع رأسه:

«ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة الملتمين، فظهرت لهم البدائع،

وفرسا رهان حلبتهم الأعمى التطليلي ويحيى بن بقي. سمعت غير واحد

من أشياخ هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا

في مجلس بأشبيلية، فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها،

فقدموا الأعمى للإنشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضاحاكُ عن جُمان

سافرٌ عن بادر

ضاقَ عنهُ الزَّمانُ

وَحِوَاهُ صَـ _____ دُرِي

خرق ابن بقي وتبعه الباكون. (34)

والحق أن الأعمى التطيلي وصل إلى درجة لا نظن أن واحداً من الوشاحين بلغها من قبله أو من بعده، وربما احتاج الأمر إلى طول تحليل لكي يبرهن على صحة هذه النظرة، ولكن بحسبنا الآن الإشارة إلى أن لسان الدين بن الخطيب اختار له تسعة عشرة نصاً بينما لم يختار لأي من الآخرين أكثر من عشر موشحات (هذا إذا افترضنا أن جيش التوشيح وصل إلينا كاملاً) وقدم لموشحات التطيلي بقوله:

«أي آية أعجاز، وتطويل في البراعة وإيجاز، وألفاظ أرق من الهواء، مقسم البدائع بالسواء، من اختراع في الطرائق، والسبك البديع والمعنى الرائق، حتى صار توشيحه مثلاً في سائر الناس. وهاك من توشيحه ما يرف نسيمه ويروكك»

وقد سلم للتطيلي عدد كبير من الموشحات، يجدها القارئ في ديوانه، (اثنا عشر موشحاً) (35)، وترد مبعثرة في مصادر مختلفة، أهمها إلى جانب «جيش التوشيح» مجموعة دار الطراز وبها ست موشحات يرجح أنها للتطيلي (وابن سناء الملك لا ينسب الموشحات التي يوردها ولكن هناك قرائن تدل على أنها من موشحات التطيلي) كما يذكر ابن سعيد بعضاً منه في «المغرب»، ويتفرد «توشيح التوشيح» بإيراد موشحة، «يا نازح الدار سل خيالك».

وأجمل موشحات التطيلي هي «ضاحك عن جمان» التي مر مطلعها، وقد وصفها ابن سعيد بأنها «موشحة مشهورة». وهي أول نص يسوقه ابن سناء الملك، وما أكثر ما عارضها الوشاحون على مر العصور. والنص- وموضوعه الغزل- يتدفق في سلاسة وعذوبة ألفاظ وبساطة لا يقدر عليها إلا القليلون. ومنها بعد المطلع:

أه مَمَّأ أ ج م د

ش ف ن ي م ا ج د

ق م ب ي و ق ع د

ب ا ط ش م ت ن د

كَلَمَّا قَاتَتْ قَدُ .
 قَالِ لِي أَيَّنَ قَدُ ؟
 وَاثْنَى غُصْنِ بَانَ
 ذَا فَنَنْ نُضْر
 لَاعَبِيَّتَهُ يَدَانُ
 لَلصَّبَا وَالْقَطْر

ولها خرجة بالعامية. وهناك موشحات لها خرجات بالفصحى، أما موشحة:

دَمْعُ سَفُوحٍ حَرَارٍ مَاءٌ وَنَارٍ مَا اجْتَمَعَا إِلَّا لِأَمْرٍ كِبَارٍ
 فَانْ خَرَجْتَهَا بَلْغَةَ الرُّومَانِث، وَتَرَدَّ فِي «جَيْشِ التُّوشِيحِ» عَلَى هَذَا النُّحُو:
 مَا وَالْحَبِيبِ دَمُ صَارٍ فَادَّرَ شَنَارٌ بِنَفْسِ آسْتِ كَسَادَمُو عَارٍ
 وَوَرَدَتْ فِي «عِدَّةِ الْجَلِيسِ»:
 مَوَالِحِيبِ أَنْضَرْدِ ذِي مَوَأْمُرٍ
 كَنْ دَشْتَرِنْفِيسِ أَمِيي كَسْدِ نُولِيغِرِ

وترجمها غومث على النحو التالي:
 حبيبي مريض بسبب الحب-وكيف لا يكون ذلك؟ ألا ترى أنه لن يرجع
 إلي أبداً؟

Mev'1 habib enfermo de meu amar

Que no d'estar ?

Non yes a mib que se ha de no llegar

* الأبيض⁽³⁶⁾ (أبو بكر محمد بن أحمد، الأنصاري، الاشبيلي):

جاء عنه في «المغرب»-نقلا عن «المسهب»:- أصله من قرية همدان،
 وتأدب باشبيلية وقرطبة، وهو شاعر مشهور.. «قتل على يد أمير قرطبة
 سنة 525 هـ»، أو نحو ذلك.⁽³⁷⁾ قال لسان الدين بن الخطيب عن موشحاته:
 «.. صقل ألفاظه وجلاء، وهو في التوشيح ابن جلا، فقلد الزمان حليه،
 وأمطر بروض الإحسان وسميه ووليه، فاخترع وولده، واشتمل بالسحر
 وتقلد، ونظم شعره وتوشيحه في قالب الأعجاز»⁽³⁸⁾

أما ابن سعيد في «المقتطف» فيسوق هذا الخبر:
 «وأخبرني أبو الخصيب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهر

لأبي بكر الأبيض الوشاح المتقدم الذكر فغض منه أحد الحاضرين فقال:
كيف تغض ممن يقول:

مَا لِنَدِّي شُرْبُ رَاحٍ
عَالِي رِيَاضِ الْأَقْصَاحِ
لَوْلَا هَضِيمُ الْوَشَاحِ
إِذَا انْتَنَى فِي الصَّبَاحِ (39) .. الخ

ولعل هذه الموشحة كانت النص الوحيد المعروف من موشحات الأبيض،
قبل أن يزاح النقباب عن مجموعة «جيش التوشيح»، التي تضم عشر موشحات
من نظمه، من أجملها موشحة:

مَنْ سَقَى عَيْنِيكَ كَأْسَ الْمُدَامِ
يَا مَنَى الْمُسْتَهَامِ
رَشَاءُ أَسْهَرْنِي وَهُوَ نَائِمٌ
رَق لِي وَالْمَوْتُ بَيْنَ الْحَيَاظِمِ
عَجِباً مَنْ دَمَعَهُ وَهُوَ بِاسْمِ
خَنْثٌ يَمْزُجُ تَحْتَ اللَّثَامِ
عَبْرَةٌ بِأَبْتَسَامِ

وفيهما مقطع في مدح وزير صاحب قرطبة، والخرجة تأتي هنا-لا على
لسان العاشق أو المحبوبة أو الحمام، بل على لسان مدينة غرناطة:

شَرُفَ الْمَلِكِ بِهِ حَاظُهُ
فَشَدَّتْ وَجَدًا بِهِ غَرْنَاطُهُ
إِذْ تَوَخَّى بِسَوَاهَا ارْتِبَاطُهُ:

كَلَّ يَوْمَ أَقْرِيكَ يَا حَبِيبَ سَلَامِ
وَنَسِيَّتْ أَنْتَ ذَمَامِ (40)

* ابن رحيم (ذو الوزارتين، المشرف، أبو بكر محمد بن أحمد) (41)
المتوفى نحو سنة 530 هـ:

جاء عنه في «قلائد العقيان»-ونقل عنه ابن سعيد في «المغرب»-
«رجل الشرف سؤددا وعلاء، وواحد اشتمالا على الفضل واستيلاء.
استقل بالنقض والابرام، وأوضح رسم المجاملة والإكرام» ولا يعرف على
وجه التحديد، تاريخ مولده، أو وفاته، لكن ابن سعيد ذكر له مطلع قصيدة

قالها في مدح تميم بن يوسف بن تاشفين:

على المرهفات البيض والسمر الملد

تدور رحي الملك المتوج بالمحد

وذكر له الفتح في «القلائد» ونقل عنه العماد الأصفهاني في «الخريدة»-
قصيدة مدح بها الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين سنة
خمس عشرة وخمسمائة وفي «الخريدة» كذلك: «ذكره لي الفقيه أليسع
بمصر، قال: أدركته سنة عشرين وخمسمائة»⁽⁴²⁾

وقد عدده الصفدي في «توشيح التوشيح» من كبار وشاحي أهل المغرب
والأندلس، ولدنا له في «جيش التوشيح» عشرة نصوص تعد من عيون
الموشحات من ذلك:

مَنْ صَبَا كَمَا أَصْبُو فَهُوَ لِلصَّبَا نَهْبٌ وَاعْلَمْ أَيُّهَا القَلْبُ
لَوْ أَذَابَكَ الحَزْنَ مَا حَيَّيْتُ لَأَسْلُو اقضِ فِي الهَوَى عَزْمَكَ
لَا يَضُرُّكَ العَـنْدَلُ

كتمك الهوى حرق هكذا حكك فرق أنهم متى علقوا
وسباهم الحسنى برحوا به قبل إنني أرى كتمك للهوى هو الدل
وخرجتها عامية. وهناك موشحتان أخريان تختمان بخرجتين بلغة
الرومانث، وقد مهد لأحدهما (موشحة: من لقلبي بإدراك الوصال) بقوله:

وفتاة ذات حُسْنٍ بَهِيٍّ
أعريت عن منطلق أعجمي
تنقي منع الجمال السني

لمرني اوكدش دبيب

حسب سم بغا درد مسيد

ومعظم خرجات ابن رجم تأتي على لسان المحبوبات كما في المثال
السابق وكذلك موشحة «نسيم الصبا» وفي خاتمتها يأتي له المحبوب ليغنيه:

لأي قصة تبيت وحدك وأنا وحدي

كما بت عندك حتما تبيت عندي⁽⁴³⁾

ابن باجة (أبو بكر محمد بن الحسين، و يسميه الأورويون Avenpace
المتوفى في سنة 533 هـ)⁽⁴⁴⁾

قال عنه ابن سعيد في المغرب: «فيلسوف الأندلس وأمامها في الألحان..

فترة النضج والازدهار

أطنب في الثناء عليه صاحب المسهب والسمط، وكان جليل المقدار، وقد استوزره أبو بكر بن تيفلويت ملك سرقسطة، وأكثر ابن باجة من رثائه وغنى بها في ألحان مبكية».

وليس في «المغرب» إشارة لعلاقة ما بين ابن باجة والموشحات، وقد جاء في «المقتطف» ونقل عنه ابن خلدون والمقري:-

«وكان في عصره (يعني عصر ابن بقي) من الوشاحين المطبوعين، وكان في عصرهم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المشهورة. ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحة فيها:

جَرَّرَ النَّدِيْلَ أَيْمًا جَرَّ
وَصَلَ السُّكْرَ مِنْكَ بِالسُّكْرِ

طرب الممدوح. ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين:

عَقَدَ اللّٰهُ رَايَةَ النُّصْرِ

لأُمَيْرِ العُلَى أَبَى بَكْرٍ

صاح: واطرباه، وشق ثيابه، ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلّفه بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذهب، خاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه»⁽⁴⁵⁾

والمشكلة أن هذه الموشحة ترد في «جيش التوشيح»⁽⁴⁶⁾ منسوبة لأبي بكر يحيى الصيرفي، وزير صاحب غرناطة، وربما قيل أن كلام ابن سعيد أرجح، على اعتبار انه اسبق زمناً من لسان الدين بن الخطيب، وأن ابن باجة توفي سنة 533 هـ بينما توفي ابن الصيرفي بعد هذا التاريخ بربع قرن تقريباً، ومع ذلك فانه ليس من اليسير الجزم بشيء في هذا الصدد، لأننا لا نجد لابن باجة موشحات غير هذا النص، ولأن عبارة ابن سعيد نفسها فيها قدر من الإبهام، إذ لا تتحدث عن ابن باجة كمؤلف للموشحة، بل تقول إنه علّم قينات ابن تيفلويت إنشادها، فكأن ما يثبت من العبارة أن ابن باجة وضع لهذه الموشحة لحنا، ويبقى التساؤل قائماً-بلا جواب-عن واضع الموشحة نفسها.

ونضيف في النهاية أن ابن باجة ينعت في بعض المصادر بابن الصايغ⁽⁴⁷⁾ فهل للتشابه بين (ابن الصيرفي) و (ابن الصايغ) أثر في الخلط بينهما؟ خاصة وأن اسم الأول (أبو بكر يحيى بن محمد) والثاني (أبو بكر محمد بن

يحيى؟

* الكميت (48) (أبو عبد الله⁽⁴⁹⁾ محمد بن الحسن البطليوسي): له في
«جيش التوشيح» عشر موشحات، من أشهرها:

سَـرَى طَيِّفُ الْخَيْـالِ
مـنْ أَمِّ جُـنْدُبِ
وقد جاء منها في «المغرب» قسم لا بأس به.

وجل موشحات الكميت تدور حول موضوعات الحب والمديح، وإن كان
الوصف يستغرق معظم موشحاته:

لَاخَ لَلرَّوْضِ عَلَى غِرِّ الْبِطَاحِ
زَهَّـرُ زَاهِ
وثنَا جِيداً مَنَعَمَ الْأَقَاخِ
نَوْرُهُ الْبِنَانِضِرُ
زَارَنِي مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ
أَرْجُ عَاطِرُ

ولكنه ينثني بعد الوصف إلى الدعوة للشراب من سلافة دنان:

كَأَنَّهَا مَبَسْمُ طِفْلَةٍ رِدَاخِ
نَاعَمُ الْقَدِّ
تَمزُجُ الرَّاحَ بِرِيْقِهَا الْقُرَاخِ
شَيْبَابُ الشَّهْدِ
وَفَتَاةٌ فَنَنْتُ بِحُسْنِهَا
وَتَنَنْيَاهَا
تَشْتَكِي طَوْلَ جِضَاءِ خَدْنِهَا
حَايِنُ يُؤْذِيهَا
وَتُغْنِي بِرَفِيْعِ لِحْنِهَا
وَمَغَانِيهَا
ذَبْتَ وَاللَّهِ اسَى (50) نَطْلِقُ صِيَاخِ
قَدِ كَسْرِنَهْدِي
وَعَمَلُ لِي شَفِيْفَاتِي جِرَاخِ
وَنَثْرَعْدِي

فترة النضج والازدهار

وتأتي الخرجة في بعض الأحيان بلغة الرومانث، مثل قوله في موشحة
«لواحظ الغيد:»

لا كان في بون أسى مرور

بم

الوذ سم نون مومر زير

يا ام

وموشحات الكميت مفعمة بالحيوية والرشاقة، و بخاصة في خرجاته التي تذكر من بعض الوجوه بحيوية أزجال ابن قرمان، وقدرته على التقاط الأشياء الصغيرة الموحية.

● ابن بقى (51) (أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن):

وتختلف المصادر في تحديد بقية اسمه، كما تختلف في ذكر البلد الذي ينتسب إليه، ففي «المطمح» و «الذخيرة» و «الوفيات» و «معجم الأدباء» انه قرطبي، ونسبه الحافظ السلفي إلى سرقوسة، وفي «المغرب» و «التكملة» أنه من طليطلة، أما ابن الزبير صاحب «صلة الصلة» فينسبه إلى «وادي آش» (Gaudix). وتعليل ذلك أن ابن بقى ما كان يستقر في مكان. وقد وصفه صاحب «القلائد» بأنه «ضفا عليه حرمانه، وما صفا له زمانه، فصار قعيد سهوات، وقاطع فلوات، مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب دهر كواهي الجمال» (52). وتوفى ابن بقى سنة 540 هـ أو نحو ذلك (53).

ولدينا من شعر ابن بقى قدر لا بأس به، يصلح أن يجمع في ديوان، أما موشحاته فكانت كثيرة للغاية، وفي «الخريدة»-نقلا عن ابن بشرون صاحب «المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر»-وهو مفقود-أن «جل شعره من التوشيح، وله ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة، ومثلها قصائد ومقطعات منقحة» (54) ويقول لسان الدين بن الخطيب عن موشحات ابن بقى: «رب الصنعة ومالكها وناهج الطريقة المثلى وسالكها. أكثر فأجاد، وتقلد ذلك الصارم المحلى والنجاد، بما اخترع فيه من الشعر وابتدع.. وكثرة توشيعه وإحسانه في تميم الكلام وتوشيعه».

وقد تحدثنا من قبل عن مكانة الأعمى التطيلي في الترشيح، و ينبغي أن نقول هنا إن منزلة ابن بقى لا تقل عن منزلة التطيلي، وقد بلغا معا (ومن

بعدهما ابن زهر، وسيأتي) درجة عالية من السلاسة والرفقة والموسيقية والصفاء.

ولم يصل إلينا من موشحات أبي بكر بن بقی إلا شيء يسير وضاع-إذن- الجانب الأكبر من آثاره (وإن كنا لا نكاد نصدق قول ابن بشرون، فما نظن أن شاعراً بعيته يمكن أن يؤلف ثلاثة آلاف موشحة) وترد معظم الموشحات في «دار الطراز» (عشر موشحات) و «جيش التوشيح» (عشر موشحات، عدد منها مما جاء في الدار)، ولم يجيء له في «المغرب» إلا قسم من موشحه «ما الشوق إلا زناد» وعلق د. شوقي ضيف بهامشها: «يبدو من نهاية هذه الموشحة أن خرما تلاها، سقطت فيه بعض الموشحات لابن بقی»⁽⁵⁵⁾ وهو افتراض نأخذ به، لأننا لا نتصور أن ابن سعيد يكتفي بأن يورد قسماً واحداً من موشحة لابن بقی وهو من هو شهرة وأصالة.

ومن موشحات ابن بقی التي تجيء في «دار الطراز» واحدة أولها:

أعجب الأشياء رعيي ذمامٍ من أبي الرعياء وشاء حمامي
 تمّ ما قد تمّ
 من حُب الملاح
 ليس من تبيّم
 كم من هوصاخ
 ما ترى أسألم
 من مرضى صحاح
 فوقت أسههم
 لا حيين المتاح

والخرجة معربة:

إنما يحيى سليل الكرام واحد الدنيا ومعنى الأنام⁽⁵⁶⁾
 ومن موشحاته الأخرى الشهيرة: «مالي شمول» وموشحة:

لست من أسرهوائك مَحَلّاً
 إن يكُنْ ذا ما طابت سراحاً⁽⁵⁷⁾

وجعل خرجتها بيتا لابن المعتز:

علموني كيف أسألو وإلا
 فاحجّبوا عن مقالتي الملاحاً

فترة النضج والازدهار

وقد عارضها كثيرون. ومن أجمل موشحاته مما يرد في «جيش التوشيح»: >
ساعدونا مصبحينا نرتشفها قد ظمينا كضار في لجين نغم أجر العالمينا
وأجمل ما فيها خرجتها، وهي غير معربة، يقول فيها العاشق لمجرد
إقلاق الحسود:

قد بُلينا وابتلينا واش يقول الناسُ فينا قم بنا يا نور عيني نجعل الشك يقينا
وهناك موشحة مشهورة مطلعها:

أعيا على العود زهين بلبال مؤزق.. الخ
وخرجتها:

أما ترى أحمد في مجده العالي لا يلحق
أطلع العرب فأرنا مثله يا مشرق

وقد جعلها صاحب «جيش التوشيح» ضمن موشحات الأعمى التطيلي،
أما ابن سعيد فيجعلها لأبي بقى. (58)

● المرسي الخباز (أبو الوليد يونس بن عيسى):

شاعر وشاح، لا يكاد يعرف عنه شيء، قال عنه محقق جيش التوشيح:
«لا توجد له ترجمة في أي مرجع مطبوع-على ما نعلم-ويستنتج من الترجمة
الفريدة التي أثبتها ابن الخطيب في جيش التوشيح هذا أن أبا الوليد لم
يتلمذ على أحد، ولا اختلف إلى مدرسة..»

وقد ورد ذكر هذا الشاح في كتاب المطرب عرضا، إذ ذكره ابن دحية
ضمن من قرأ عليهم الوزير الشاعر محمد أبي العافية الأزدي القنتندي
الغرناطي» (59) و«في» زاد المسافر «بعض مقتطفات من شعره. والنبذة التي
جاءت في «جيش التوشيح» لا تقدم شيئا ذا بال، سوى أن المرسي الخباز
أديب من عامة الشعب علم نفسه بنفسه، حتى «عذب سبكه وراق ترصيعه
وحبكه مع طبع في نظم الكلام سيال... والذي حداه الاختراع والتوليد...
ذكاء أرهف فؤاده، وأقام في البديهة مناده».

وذكر لسان الدين بن الخطيب له عشر موشحات لعل أجملها موشحته:

من لي بظبي ريب يسطو بأسد الغياض لوى بديني لما أملت للتناضي
وترد بدورها في مجموعة ابن بشرى «عدة الجليس» (60) وتدور كلها

حول موضوع الغزل وتختتم بـ:

لَأَمَّهُ ظَبْيِيَّةُ
 قَد رُوَعَتْ بِالْفَرَقِ
 بَنَنْتُ ثَلَاثَ وَعَشْرَ
 تُسَيْلُ دَمْعِ الْمَاقِي
 تَقْوَلُ فِي حَالِ سُكْرِ
 لِأَمِّهَا فِي اشْتِيَاقِ (61)

يامم مو الحبيب تيبش أن نرتباض غار كفري يامما أن يجنال للشاض (62)
 وموشحات المرسي الخباز مفعمة بروح التدفق والعدوبة، وهي لا تقل
 في انسجامها عن أعمال مشاهير الوشاحين.

● ابن ينق (أبو عامر، محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة، الطبيب،
 الوزير) (63):

أحد الشعراء العلماء من أهالي شاطبة جاء عنه في «التكملة» أنه تلقى
 العلم في قرطبة، ومال إلى الأدب، والعربية، والعروض، فمهر في ذلك، و
 بلغ الغاية من البلاغة في الكتابة والشعر، ولقي أبا العلاء ابن زهر، فلأزمه
 مدة، وأخذ عنه علم الطب. وفي «الخريدة:

«قال أليسع: طبيب كاتب شاعر، وأنا اروى عنه شعره كله وأجازني،
 ومصنف «القلائد» وصفه بالذكاء الباهر، والذهن الزاهر، والفهم الحاضر
 وحدة القريحة والخاطر»، وتوفي ابن ينق سنة 547 هـ.

أما في مجال الموشحات فإن الصفدي عده ممن «سبق إلى التوشيح،
 وسبق إلى الغاية من أهل المغرب» (64) ولكن أعماله في هذا المجال ضاعت
 ولم تحفظ منها إلا عشرة نصوص ضمتها مجموعة «جيش التوشيح» ومن
 غريب الأمر أن ابن الخطيب صدرها بقوله:

«وشعره رائق المحيا والأقسام، مسفر عن المعاني والوجوه الوسام، إلا
 أنه قليل المادة في التوشيح، يسير السبك له والتوشيح» والذي نظنه أن
 موشحات ابن ينق فيها الطواعية والتناسق والعدوبة، فن ذلك:

يا حادي العيس بالرجال عَجَّ بالطلولِ وسلَّ بها بالأربعِ البوالي أين الخليلُ
 حُثت به البُزْلُ والعِشَارُ
 يَوْمَ النَّوَى

يا هَلْ لهُ العَـقَـيِقُ دارُ
 أم بِبِـالِـالِـأُـوى
 أمِنَّه بِالوَابِلِ العَـطَـارِ
 حـيـثُ تَـوى
 وجادُهُ العَيْثُ بانهمالِ كُلِّ أُصَيْلٍ يَحْدُوهُ من نَفْحةِ الشَّمالِ رِيحُ أُصَيْلٍ
 والموشحة من مستهلها إلى نهايتها-يسيطر عليها جو عذري بدوي شفيف.
 والملاحظ أن خرجة موشحة «شم ذائب العسجد»
 أما ترى السَيِّدَ في المُرْتَقَى العالِي لا يُلْحَقُ
 كان له العَرَبُ إِذْ حازَهُ كُلُّهُ والمُشْرِقُ
 تتشابه وخرجة موشحة «أعياد على العود» التي تنسب في العادة لابن
 بقى (56) وجعلها صاحب «جيش التوشيح» للأعمى التطيلي.

* ابن سعيد (أبو جعفر أحمد بن عبد الملك) المتوفى سنة 550 هـ (66):
 هو عم علي بن موسى بن سعيد مؤلف «المغرب» وكان أديباً شاعراً، ولاء
 عثمان ابن عبد المؤمن الوزارة، ثم قتله لما كان من اشتراكهما في حب
 حفصة الشاعرة، وانتهز ابن عبد المؤمن فرصة فرار عبد الرحمن (شقيق
 أبي جعفر بن سعيد) إلى ابن مردنيش ملك شرق الأندلس، فضرب عنقه.
 وله في «المغرب» مرشحة وصف فيها حور مؤمل، وهو من متنزهات
 غرناطة، وأول الموشحة:

ذَهَبَتْ شَمْسُ الأَصِيلِ
 فَضْضَةُ النِّهْرِ
 أَيَّ نَهْرٍ كالأَمَامِ
 صَيَّرَ الظِّلَّ فِدَامِ
 نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لأمَ
 وَثَنَتْ لالِغُصْنِ لأمَ
 فهو كالعَضْبِ الصَّقِيلِ
 حُفَّ بِالسَّـمْرِ

وقد مزج فيها المؤلف الوصف بالحديث عن الشراب ثم انتهى إلى ذكر
 المحبوب:

وَعدَّ الحَبَّ فَاخْأَفُ

واشتهى المَطْلَ فسوف
ورسولي قد تعرف
منه ما أدري فحرف:
بإله قُلْ يا رسولي
لش يغيب بدري؟

● ابن هانئ الأصغر (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مفضل الأزدي الأندلسي): ذكره الصفدي في «التوشيح»⁽⁶⁷⁾ من بين مشاهير وشاحي الأندلس، أما العماد الأصفهاني فإنه تحدث عنه في القسم المصري من «الخريدة» وقال إنه «معروف بالإنظم المهذب وتوفى في آخر أيام الصالح بن رزيك، قبل سنة ستين على ما سمعته من المصريين، وطالعت ديوانه بمصر⁽⁶⁸⁾، ولم يورخ له الصفدي في «الوافي» كما لم يذكره القفطي في «المحمدون من الشعراء»، ولعله ممن هاجر من أهل الأندلس إلى مصر.

ورجح الزركلي⁽⁶⁹⁾ أنه توفى نحو سنة 555 هـ، وهو ترجيح مقبول.
* ابن قزمان (أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى الأصغر) المتوفى سنة 555 هـ⁽⁷⁰⁾:

أحد مشاهير الأدب الأندلسي وفيه يقول ابن سعيد في «المغرب»: «إمام الزجالين بالأندلس. وذكر الحجاري أنه كان في أول شأنه مشتغلاً بالإنظم المغرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره كابن خفاجة وغيره، فعمد إلى طريقة لا يمازجه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس».

ووصفه المقري بـ «صاحب الموشحات»⁽⁷¹⁾ ولعله كان يعني «الأزجال» لأنها الفن الذي اشتهر به ابن قزمان، ومن جانب آخر فإن مفهوم الموشح سيختلط في بعض الأحيان بمفهوم الزجل في العصور المتأخرة وسنرى أن المقري يصف الزجال مدغليس قائلاً إنه «صاحب الموشحات» كما أن الحلبي في (العاطل الحالي) يقول إن أهل العراق لم يكونوا يميزون بين الموشحات والأزجال وفيه أن ابن قزمان:

«نظم موشحة معربة خمسة أبيات، وأثبتها في ديوانه، ولم يسلم له منها بيت من الترنيمة (أي وجود كلمات غير معربة في ثنايا الموشحة) والموشحة

المقصودة تبدأ بـ:

مَعَشَرَ الْعُدَلِ * بي من الأعمار * أغصنٌ مَيَّادَةٌ * مسننٌ في أكفال
 قَدْ جَنَّبَنِي مَن لَّامَا
 كُلَّ عَمَانٍ صَاصِبًا
 بِبُورِذَا مِ
 طَاعَتٌ فِي قُضُوبِ
 مَن قُدُودِهَا مِ
 فِي هَوَاهَا قَلْبِي

رَبَّةُ الْخَلْخَالِ قد براها الباري لعدابي غادةً هيَّجتْ بلبالي
 وهذه الموشحة ذات خرقة غير معربة، ويقول الحلي إن كل بيت فيها لم
 يخل من التزنيـم والألفاظ الزجلية، وهو غير معذور فيها، والبيت الذي
 أوردناه «فيه لفظة ذا ما يريد بها إذا ما، وهي زجلية لا تجوز في الموشح
 أبداً وربما لم يكن هذا بالعيب الخطير لو أن هذه الموشحة المنسوبة لابن
 قزمان قد حفلت بما في أزجاله من حيوية وعدوبة وظرف نفتقده في هذه
 الموشحة.

● مدغليس (عبد الله بن الحاج) المتوفى سنة 555 هـ (72):

نعتة المقرئ في «النفع» بـ «صاحب الموشحات» ولا يستبعد أبداً أن يكون
 صواب النعت «صاحب الأزجال» فهذا هو الفن الذي برز فيه مدغليس
 والمقرئ نفسه يقول:

«وكان مدغليس هذا مشهوراً بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة
 ابن قزمان في زمانه، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان في الزجالين
 بمنزلة المتبني في الشعراء، ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع
 والصنعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى، ومدغليس ملتفت إلى اللفظ.
 وكان أديباً معرباً لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه في الزجل
 أنجب اقتصر عليه» (73).

وكان لمدغليس أزجال رآه الصفي الحلي ونقل عنه عدداً من الشواهد
 أودعها «العاطل الحالي» كما جاء بعضها في سفينة ابن مباركشاه (74) وفي
 «المغرب».

فترة النضج والازدهار

أما لسان الدين بن الخطيب في «الجيش» فيلقبه بـ «الوزير» إذ كان من كبار رجال دولة الممطونين (المرابطين) وقال إن «له في الدولة اليوسفية مدائح لاخصاصه بأربابها وتعلقه بأسبابها»⁽⁷⁸⁾ وذكر له عشر موشحات، هناك اثنتان منهما محل خلاف، الأولى وأولهما:

جَزْرَ النِّذِيلِ أَيَّ مَاجِرٍ

وصل السُّكْرَ مِنْكَ بِالسُّكْرِ

فقد جعلها ابن سعيد في «المقتطف» (ومن نقل عنه كابن خلدون والمقري) للفيلسوف أبي بكر بن باجة⁽⁷⁹⁾ والثانية موشحة:

شَقَّ النَّسِيمُ كَمَا مَهْ

ونسبها الصفدي في «الوافي بالوفيات»⁽⁸⁰⁾ لابن اللبانة.

ومن موشحات ابن الصيرفي واحدة تتضمن مديحا في تاشفين وأولها:

رَوْضَةُ زَبْرَجْدِيَّةٍ وَسَيْمٌ يَبْحَثُ فِي غَلَائِلِ نَدِيَّةٍ أَشْرِبَتْ مَسْكَاً وَعَنْبَرٌ

سُحَّابٌ مِّنْ لَّزُورِدٍ

ويُورِقُ مِنْ نَضَارِ

كَلِمَاتٍ بُوْعِدِ

كُحَّالَتُ بِمَثَلِ نَارِ

فَبَكَتْ مِنْ مَاءِ وَرْدٍ

فِي خُدُودِ مَنْ بَهَارِ

ولا يكاد يمضي فيها قليلا في الوصف حتى ينفلت منه إلى المديح الذي يمتد إلى نهاية الموشحة:

فَانْبَرَى الْكُلَّ يَنَادِي

وَصَفَّ مَرَاةَ الْجَمِيلِ

يا حَمَى الْمَلِكِ عَشِيَّةٍ وَعَلَى الْجَوَادِ الْأَشْقَرِ غَرَّةَ الشَّمْسِ الْمُضِيَّةِ

تاشفين الله أكبر

ومن موشحاته الجميلة موشحة «طلعت من مباسم الزهر» وكلها تدور حول الغزل (في المذكر) وفي خاتمتها:

قَدْ دَعَانِي إِلَى الْهُوَى دَاعِي

فَأَجَبْتُ الْهُوَى

أَمَنْ أَلَا لَهْ كُـلُّ مَرْتَعِ
مَنْ حُـالِوَلِ النَّوَى
أنت يا مهجتي به همت فاجملي⁽⁸¹⁾ واصبري ثم يا عين أنت أبصرت
فادمعي واسهري

● عصا الأعمى (أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيشي):
ينسب إلى قرية منيش، من كورة اشبيلية، ولقب بعصا الأعمى لأنه كان
يقود الأعمى التطيلي.

أرخ له كثيرون، منهم ابن دحية في «المطرب» وابن سعيد في «الرايات»
وفي «المغرب» والفتح بن خاقان في «المطمح» وقال عنه إنه «لم يزل يعيش
لكل ضوء، وينتجع مصاب كل نوء، فيوما يخصب ويوما يجذب، وآونة يفرح
أخرى ينتدب.. وما تصوف إلا في أنزل الأعمال ولا تعرف إلا بأخون العمال..»
له أدب ولسن ومذهب فيهما يستحسن، لكنه نكب عن المقطع الجزل، وذهب
مذهب الهزل... وليس من شرط كتابي هذا إثبات بذائه، ولا أن أقف
حذاء..»

وقد قرأ د. الكريم صاحب «فن التوشيح» هذه الجملة فرأى أن الفتح
ابن خاقان لمح فيها «للموشحات تلميحا خفيفا فيه كثير من الاستهانة
والتحقير»⁽⁸²⁾ وما نظن أن للعبارة صلة بالموشحات، بل جاءت تبرما بما في
شعره من فحش ومجون وتصريح ولو أن الأمر على ما ظن د. الكريم
لوجدنا في «المطمح» و«القلائد» عبارات من هذا القبيل عن الوشاحين
الآخرين، ولكن ابن خاقان يتحدث في كتابيه عن كبار الوشاحين فيذكرهم
بالتقدير (وإن لم يورد شيئا من موشحاتهم) وقد ذكر في «القلائد» ابن بقى
فقال فيه «رافع راية القريض، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض»⁽⁸³⁾،
وذكر عن الأعمى التطيلي شيئا يشبه ما قال عن ابن بقى.⁽⁸⁴⁾

وتحدث لسان الدين بن الخطيب في «الغيش» عن موشحات المنيشي
حديثا يفيض بالإعجاب، أوضح فيه أنه اقتضى آثار أستاذه الأعمى التطيلي،
حتى «كاد يدرك شأوه» وذكر له عشر موشحات (ولعله المصدر الوحيد
المعروف، الذي يحتفظ بموشحات له) وما نظن إلا أن ابن الخطيب بالغ في
تقدير مكانة موشحات المنيشي هذا، وهناك فارق كبير بينها وبين موشحات

الأعمى. ومن أحسن ما وقع له قوله:

يا قَمَرًا للعاشقين وهو نَمَّ يُعْصَى النَّصِيحَ ويُذَمُّ
لـ ا هـ م ا أ بـ د ي
وأعـ ي د
مـ ن لـ و عة تُعـ د ي
و تُـ ز ي د
فـ في ر شـ أ ي روى
مـ ن ي ر ي د

● ابن غرلة (٩):

شاعر مجهول لا يعرف عنه إلا ما جاء في «العاقل الحالي:

«كان ابن غرلة الشاعر المغربي، وهو من أكابر أشياخهم، ينظم الموشح والزجل والمزمن، فيلحن في الموشح ويعرب في الزجل، تقصداً منه واستهتاراً ويقول إن القصد من الجميع عذوبة اللفظ وسهولة السبك، وكان الوزير (١) ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك، ولهذا لم يثبت شيئاً من موشحاته في «دار الطراز»، فمن موشحاته المزممة الموشحة الطنانة المشتهرة الموسومة بالعروس، التي نظمها عند عشقه رميلة أخت عبد المؤمن الأموي (١) (يقصد عبد المؤمن الكومي خليفة الموحدين) ملك الأندلس، وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه اجتماعه بها، والواقعة مشهورة، وكان حسن الصورة جميل القدر، ذا عشيرة، وكانت هي أيضاً جليلة القدر، جميلة الخلق، فصيحة اللسان، تنظم فيه الأزجال الرائقة الفاتحة» (85)

وذكر قسماً من موشحة أولها:

مَنْ يَصِيدُ صَيْدًا فليَكُنْ كما صَيِّدِي صَيْدِي الغزالة من مراتع الأسد
ويضيف الحلبي «أنه لما أخرجته الملك ليقته، نظر إلى الناس وارتجل بيتاً في الوزن، يستجد به عشيرته لأخذ ثأره:

خـ د هـ ا أ سـ ي ل
بـ د ت م ن ن ه أنـ و ا و
ط ر ف هـ ا الكـ حـ ي ل
سـ ل م ن ن ه ب ت ا ر

هـ ا ن ا الق ت ي ل
 ف ه ل ي و خ ذ ا ث ا ر
 قد أسرتُ عبداً ولم أكُ بالعبْدِ متُّ لا محالة فاطلبوا ذمي بَعدي

وواضح من عبارة الحلبي أنه يشير إلى قول ابن سناء الملك في «دار الطراز» عند حديثه عن القفل المركب من سبعة أجزاء: «الموشح المعروف بالعروس، وهو موشح ملحون، واللحن لا يجوز استعماله في شيء من ألفاظ الموشح إلا الخرجة خاصة، فلهذا لم نورد مثاله»
 وقد لوحظ أن القفل في الموشحة التي أوردها الحلبي يتألف من أربعة أجزاء لا سبعة، واستنتج د. الأهواني أن حديث الحلبي عن الزجل الأندلسي «يفتقر إلى كثير من الدقة وينبغي أن يؤخذ بكثير من الحذر»⁽⁸⁶⁾ أما د. الكريم فيرى أن حديث الحلبي عن ابن غرلة يدل على أنه يتحدث عن شيء يعرفه حق المعرفة⁽⁸⁷⁾ لكن المحير أن المصادر لا تذكر شيئاً عن ابن غرلة هذا، ولا يخفى أن حكاية إخراجة لقتله، وارتجاله بيتاً على نفس الوزن، واستنجاهه بعشيرته للأخذ بثأره، مما يغري بالشك في صحة ما جاء بكتاب «العاطل الحالي» عن ابن غرلة هذا.

● اليكي (أبو بكر يحيى بن سهل):⁽⁸⁸⁾

يوصف بـ «هَجَاءَ المغرب»، وقال عنه صاحب «المسهب»: «ابن رومي عصرنا وخطيئة دهرنا، لا تجيد قريحته إلا في الهجاء».
 وجاء في «الخريدة» أنه توفي سنة ستين وخمسمائة.

ولسنا نملك من موشحات اليكي شيئاً، وفي «المغرب» موشحة أولها:

م ا ل ب ن ا ت ا ه د ي ل
 م ن ف و ق ا غ ص ا ن
 ه ي ج ن ع ن د ا ص ب ا ح
 ش و ق ي و ا ح ز ا ن ي

ذكر أنها «موشحة لابن المريني، وتروى لليكي».

● ابن مهلهل (أبو الحسن علي الجلياني):⁽⁸⁹⁾

في «المغرب» قطعة من قصيدة له مدح بها أبا بكر بن سعيد، صاحب

فترة النضج والازدهار

أعمال غرناطة في مدة المثلثين، وذكر جزءاً من موشحة له يقول فيها:

النَّهْرُ سَلَّ حُسَامَا
عَلَى قُدُودِ الْغُصُونِ
وَالنَّسِيمِ مَجَالٍ
وَالرُّوضِ فِيهِ اخْتِيَالٌ
مُدَّتْ عَلَيْهِ الظَّلَالُ
وَالزَّهْرُ شَقَّ كَمَامَا
وَجَدَّ بِتِلْكَ اللَّحُونِ

وبقيتها في الوصف، وهي تمضي على هذا النسق المفعم بالنغم والبساطة،
والصور الفنية الرقراقة.

● الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس) المتوفى سنة 560 هـ الجغرافي الشهير صاحب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» انظر ما بعده:

● اليبثري (محمد بن محمد، القرطبي)⁽⁹⁰⁾

جاء عنه في «الخريدة» أن معظم ما يذكره ابن بشرون في «المختار» من أخبار متعلقة بالأندلسيين يرويه عنه، ويذكر أنه لقيه في صقلية «لمتلكها رجار الإفرنجي (وَألف له) في مسالك الأرض وممالكها كتاباً كبيراً أسماه نزهة المشتاق في مخترق الآفاق.. ووصفه ابن بشرون بتوليد المعاني في الشعر.. لاسيما في توشية التوشيح، وتوسيع نظمه المليح، فإنه حاذق زمانه، وسابق ميدانه»

وقد قرأ شترن⁽⁹¹⁾ الفقرة السابقة فاستدل منها على أن المقصود هو الشريف الإدريسي صاحب «نزهة المشتاق» وأما محققا «الخريدة» فإنهما يشيران إلى أن ترجمة هذا الشاعر (محمد بن محمد، القرطبي اليبثري) مضطربة في الأصل، و يبدو من ثناياها أنها للشريف الإدريسي، وان كانت المصادر لا تسميه باليبثري والقرطبي.

والمحوظ أن المخطوطة التي اعتمدا عليها في التحقيق يتخللها نقص بعد عبارة (لمتلكها رجار الإفرنجي) مما يرجح احتمال أن يكون «اليبثري»

غير الشريف الإدريسي.

● ابن الزيتوني (علي): (92)

نقل العماد عن ابن بشرون إنه «صاحب توشيع وتوشيح، وتقصيد وتطليح».

● ابن الهازي (إبراهيم): (93)

جاء في «الخريدة» نقلاً عن ابن بشرون أنه «صاحب توشيح مليح، وربما قصر إذا قصد»

● المرسي (أبو بكر): (94)

نقل العماد عن ابن بشرون أنه «من اشبيلية، وأقام بمرسية فنسب إليها، وله يد في التوشيح قوية».

● ابن حمديس (95) (عبد الجبار، أبو محمد، الصقلي) المتوفي سنة

:527

شاعر صقلية الشهير، وله ديوان طبع أكثر من مرة، ولا يضم كل شعره، وليست فيه موشحات كما إن المصادر لا تعده من بين أصحاب التوشيح، لكن الصفدي في «التوشيح» عدّه من المبرزين فيه.

● ابن شرف (أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل):

سليل أسرة أسهمت أيما إسهام في الأدب، فجدّه (أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني) كان أحد أعلام المغرب هو وابن رشيق، وكانا متعاصرين، فلما خربت القيروان اتجه إلى الأندلس، وبها توفى سنة 460 هـ، ووالده (أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله بن شرف) كان من الشعراء المجودين في بلاط المعتصم بن صمّاح، وقد ترجم له كثيرون منهم ابن سعيد في «المغرب» والفتح في «القلائد» وابن دحية في «المطرب» الخ... وتوفى سنة 534 هـ (96) وأما أديبنا هذا فتأتي عنه نبذة في المغرب هي: «أخبرني والدي: أنه كان فيلسوفاً أديباً، ومن «السمط»: ذو السلف والشرف، والنخب والطرف. وذكر أنه اعتبط شاباً، وأنشد له (97) ثم أورد نماذج من شعره، وموشحة

كاملة له، هي التي مطلعها:

يَا رِبِيَّةَ الْعُقَدِ
مَتَى تَأْتِي أَدُنِي
بِالْأَنْجَمِ الْزَهْرِ
ذَاكَ الْمَمَقَةَ أَدُنِي

وما تعرضنا له بهذا القدر من التفصيل إلا لأن بعض المراجع اضطرب في شأنه، فن ذلك ما يقوله هلال ناجي في التعليق على ابن شرف (أبي عبد الله بن الوزير أبي الفضل بن شرف):

«بالنسبة لهذا الوشاح توجد عدة ملابس في ترجمته، فالذي اختار له ابن الخطيب في جيش التوشيح هو أبو عبد الله ابن الوزير أبي الفضل بن شرف، وقد ذكره بكنيته ولم يذكر اسمه. واسمه-فيما توصلنا إليه محمد... فوشاحنا إذن هو حفيد ابن شرف، ومن بيت علم وشعر. والمشكل بالنسبة له أن المصادر التي بين أيدينا تترجم لأبيه وجده ولا تأتي على ذكره إلا لماما... أما موشحاته فقد ضاعت ولم يبق منها سوى قطعة من توشيح أوله:

عُقَدِ أَرْبِ الْأَصْدَاغِ
فِي سَوْسَنِ غَضِضِ

ذكرها المقرئ في نفع الطيب ولم ينسبها له...»⁽⁹⁸⁾

وفي حسابنا أن الأمر لا يحتمل ملابس ولا مشكلات، فكلام لسان الدين ابن الخطيب في أنه يعني ابن شرف (الحفيد)، وقد صدر ما اختار من موشحاته ب: «الوزير الكاتب أبو عبد الله، ابن الوزير الحكيم ذي المعارف أبي الفضل ابن شرف رحمه الله»⁽⁹⁹⁾ وفيما يبدو أن هلال ناجي غاب عنه ما جاء في «المغرب» عن وشاحنا، بدليل أنه لم يشر إلى كتاب ابن سعيد هذا وهو يتحدث عن ابن شرف، وبدليل عدم التفاته إلى أن موشحة «ياربية العقد» تجيء كاملة في «المغرب» واشهر موشحات ابن شرف تبدأ ب:

عقارب الأصداغ في سوسن غرض تسبى تقى من لاذ بالفقه والوعظ

وقد عارضها بعض الوشاحين، وتردد ذكرها في مؤلفات مختلفة مثل «نفع الطيب»⁽¹⁰⁰⁾ و «العذارى المائسات» (101) ولا تعد-في نظرنا-أفضل موشحات ابن شرف، وربما ذكرها لصعوبة قوافي أفعالها، وقدرة الشاعر-

مع ذلك-على إضفاء شيء هن الحيوية عليها:
 ظبي له حَدُّ مُفَضَّضٌ مُدْهَبٌ وَأَعْيَدٌ وَرَدٌّ في صُدْغِه عَقْرَب
 رقه زهر الياعُ في جسمه البضُّ وقسوةُ الفولاذُ في قلبه الفَطُّ

وفي «المقتطف» لابن سعيد، بعد ذكر أسماء عدد من كبار الوشاحين،
 مثل الأبيض وابن باجة:

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين-أعزهم الله-محمد ابن أبي
 الفضل بن شرف. قال الحسن بن دور يده، رأيت حاتم بن سعيد يقبل رأسه
 على هذه البدأة:

شَمْسٌ قَارَأَتْ بَدْرًا

رَاحٌ وَوَأَدِيمٌ

والمشكل أن هذه الموشحة-التي ترد في «دار الطراز» بدون ذكر لاسم
 قائلها-جاءت في مصادر أخرى منسوبة لابن زهر، فن ذلك الصفي في
 «الوافي بالوفيات» وابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»⁽¹⁰²⁾

● السرقسطي الجزار (أبو بكر يحيى):⁽¹⁰³⁾

جاء عنه في «المغرب:

كان في دكان يبيع اللحم، فتعلقت نفسه بقول الشعر، فبرع فيه، وصدر
 له أشعار مدح بها الملوك من بني هود ووزرائهم...» وقد وصلت بعض نماذج
 من شعره تفصح عن مقدرة فنية عالية، وصفها لسان الدين بن الخطيب
 بقوله:

«وُلِدَ واخترع، وفي كلتا الحالتين برع، ... حداه إلى

ذلك، وعرفه بما هنالك، طبع وذكاء وقاد...»⁽¹⁰⁴⁾

واشتهر السرقسطي الجزار في فن التوشيح شهرة جعلت الصفي
 يعده من بين «من سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغرب»⁽¹⁰⁵⁾
 لكن موشحاته ضاعت، ولم يبق منها إلا ما حفظ في «جيش التوشيح» ويضم
 عشرة نصوص.

وموشحات ابن الجزار من النمط العالي، الذي يجمع بين ثراء الموسيقى،
 وبساطة التعبير، وحيوية الصور، كقوله في موشحة «ويح المستهلك»:

فَتَاءُ كَعَابٍ نَعِيمِ الشَّبَابِ عَلَيْهَا مُذَابٌ
 كروضِ العَمَامِ لها المسكُ رِيًّا والدُّرُّ ابتسَامٌ
 فكيف السبيلُ أن يُشْفِي الغليلُ إذ ظَلَّتْ تقولُ
 مما شو الغلامُ لا بد كلو ليا حلال أو حرام (106)
 أو قوله في أخرى:

أما والهَوَى إِنْنِي مُدَنَّفٌ
 بحُبِّ رَشَأٍ قَلَمًا يَنْصَفُ
 أطاوعه وهو لي مُخْلَفٌ
 فَعَمَّا قَلِيلٍ بِهِ أَثْلَفُ
 وواعدني السَّقَمَ حتى انتَهكُ
 فُوَادِي، فيأويحُتًا قد هَلَكَ

وتبدو بعض خرجات موشحاته وكأنها أغان فلكلورية مفعمة بروح
 السذاجة والحيوية:

أحمد محبوبي بالبيبي تيجي حبيبي بالله جيني حين جي

● ابن مالك السرقسطي (أبو بكر أحمد، الأنصاري): (107) شاعر وشاح،
 عمل كاتباً لدى محمد بن سعد بن مردنيش (المتوفى سنة 567 هـ) ملك شرق
 الأندلس (108) ومن هنا يلقبه لسان الدين بن الخطيب بـ «الوزير الكاتب»
 ويقول عنه:

«أي منصب علاء، وإشراف على المعارف واستيلاء... كلفت به الملوك
 استتجاجاً وتيمناً وعلماً.. قرط في التوشيح وشنف، ونور في الإعجاز فيه
 وشنف، وأخذ نفسه في توشيعه، بتوليد الكلام وتثقيحه.. رحل إلى مصر
 فانجلت هناك أنواره.. وله نظر في العلم الفلسفي...» وذكر له ثمانين
 موشحات، أولها:

حُثَّ كَأْسُ الطَّلَا عَلَى الزَّهْرِ
 وَأَدْرَهَا كَالْأَنْجَمِ الزَّهْرُ
 أَنَسِيمٌ يَفْزُوحُ أُمَّ عَطْرُ
 وَغُصُونُ أَمَالِهَا الْقَطْرُ
 تَتَثَنَّى وَمَا بِهَا سُكْرُ

وطيورُ نطقن بالسحر

حين هب النسيمُ في السحر

وهذا النص مما سماه ابن سناء الملك بـ «الموشح الشعري» وقال إن «ما كان من الموشحات على هذا النسخ فهو المرذول المخذول وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات.. اللهم إلا إن كانت قوافي قفلة مختلفة، فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المخمسات» والمشكلة أن أقفال هذه الموشحة جاءت متحدة القافية، كما القافية، كما أن الحرجة جاءت معربة، وكل ما في الأمر أنه جعلها على لسان المحبوبة:

رُبَّ هَيْفَاءٍ شَفَّهَا بُعْدًا

عَفَا عَنْهَا فَلَمْ تَجِدْ بُدَا

مَنْ هَوَاهُ فَأَنْشَدَتْ وَجُدَا

رَبَّ قَوْفِي الْهَوَى صَبْرِي

إن هجرَ الحبيب كالصَّبر

أما بقية موشحات ابن مالك فإنها لا تخرج على قواعد التوشيح في شيء.

● نزهون (بنت الوزير القليعي):

هكذا جاء اسمها في مجموعة ابن بشرى⁽¹⁰⁹⁾، أما ابن سعيد فيسميها «نزهون بنت القلاعي»⁽¹¹⁰⁾ وقال إنها كانت «شاعرة ماجنة كثيرة النوادر»، وذكر لها بعض مواقف سخرت فيها من ابن قزمان الزجال، ومن الأعمى المخزومي الشاعر الهجاء والملاحظ أن المقري في «النفح»⁽¹¹¹⁾ يروي بصدد نزهون هذه أخباراً قال إنه نقلها عن «المغرب» ولكنها تختلف عما في النسخة التي حققها د. شوقي ضيف، وفيه أن الحجاري صاحب «المسهب» قال عنها إنها كانت موصوفة «بخفة الروح، والانطباع الزائد، والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وحسن رائع»، وذكر أن الوزير أبا بكر بن سعيد كان مولعاً بها..

وتعرض لها ابن سعيد كذلك في ترجمته للأعمى المخزومي، وقال إنه «أكثر الإقامة في غرناطة، وتعرض لشاعرتها نزهون، وهجاها»⁽¹¹²⁾

وقد وصل إلينا من موشحة لها مطلعها:

فترة النضج والازدهار

بأبي مَنْ هَدَّ مِنْ جَسْمِي الْقَوَى طرفه الأحرورُ
وصفه د. الأهواني بأنه موشح جميل، وردت في أثنائه مقطوعات فيها
حياة ورقة مثل قولها:

مَرَّبِي فِي رَبِّبٍ مِنْ سَرِيهِ
يَقَطُّ فَا لَزْهُرَا
وهو يتلو آية من حزيه
يَبْتَغِي الْأَجْرَا
بَعْدَ مَا ذَكَرْنِي مِنْ حُبِّهِ
أَيُّةَ أَخْرَى
والذي لو شاء ما ذكرني
بَعْدَ نَسْيَانِي
قَلْبَ الْقَلْبِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا
فَهُوَ فَي شَان

وتنتهي الموشحة بالبيت والخرجة التاليتين
لَمْ تَزَلْ تُظْهِرُ فِيهِ الْكَأْفَا
عِنْدَمَا غَنَّتْ
غَادَةٌ لَوْرَامٍ مِنْهَا التَّنْصِفَا
غَيْرَةٌ ضُنَّتْ
فهو يهواها ويُبْدي الصَّلَا
فَالَا غَنَّتْ:
يَتَمَنَّانِي إِذَا لَمْ يَكُنِّي
يَتَمَنَّانِي
فَإِذَا رَأْنِي تَوَلَّى مُعْرَضَا
كُنُّ مَا رَأْنِي (113)

● ابن مؤهل (114) (5):

وشاح مجهول، عده ابن سعيد في «المقتطف» من بين مشاهير هذا
الفن، واستشهد له بـ:

ما العيدُ في حلة وطاق
 وشمّ طيب
 وإنما العيدُ في التلاقي
 مع الحبيب

والنص نفسه يأتي في «مقدمة» ابن خلدون وفي «نوح الطيب» منسوب لابن مؤهل، ولا أثر لهذا الاسم في «المغرب» وان كنا نجد فيه «موشحة لابن موهّد الشاطبي، وسكن مرسية، ومدح بها ابن مردنيش ملك شرق الأندلس»، وهي موشحة محكمة النسخ، مفعمة بالنغم والرشاقة:

أما طيريت إلى الحميا
 ما بين ندمان وساق
 والبدرُ في عقب الثريا
 والليلُ ممدودُ الرواق
 خدها على رغم العذول
 خرقاء تلعب بالعتول
 والنهر كالسيف الصّقل
 على رياض فاح زيا
 ولاح مصقول التراقي
 تلك المنى يا صاحبيا
 لا مُلك مصر مع العراق

وينسل من المقطع الخمري إلى الحديث عن حبه لعزة الذي لا يبید، وان بلى الحديد، وفي البيت الأخير والخرجة يدعو محبوبه أن يحنو عليه ويستجيب له:

مَنْ لِي بِمَنْ أَهْوَى وَمَنْ لِي
 لَيْسَ الْهَوَى إِلَّا لِمَنْ لِي
 وَأَنْتِ يَا بَعْضِي وَكُلِّي:
 أَبَعْدْتَنِي بُعْدُ الثَّرِيَا
 وَأَنْتِ تَعَالِمُ مَا أَلَاقِي
 يَا مَنْ هَوَيْتَ أَبْقِي عَلِيَا
 كَمَا أَنْأَعَلِيكَ بَاق

وليس في النص كله إشارة لابن مردنيش ولا لأحد غيره، والموشحة-في

فترة النضج والازدهار

الوقت ذاته تأتي تامة، أي أنها تتركب من ستة أفعال، مما يرجح أن ابن سعيد لم يحذف منها المقطع المدحي، ولعلها أنشدت في بلاط ابن مردنيش، ومن ثم حملت على أنها في مدحه، وابن مردنيش هذا توفي سنة 567هـ. وغني عن القول أننا نعتقد أن ابن موهب هذا هو نفسه ابن مؤهل المذكور في «المقتطف».

● الزويلي (أبو إسحاق):

ذكره ابن سعيد في المقتطف من بين مشاهير الوشاحين في عهد دولة الموحدين، وفيه:

«سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه (أي الزويلي) دخل على ابن زهر وقد أسن وعليه زي البادية، إذ كان يسكن بحصن استبه، فلم يعرفه، فجلس حيث وجد وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها:

كُجِّلُ الدَّجَى يَجْرِي من مقلة الفجر على الصباح
ومعصمُ النَّهْرِ في حُللِ حُضْرٍ من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال: أنت تقول هذا؟ قال: اختبر. قال: ومن تكون؟ فعرفه فقال: ارتفع، فوالله ما عرفتك.» (115)

والنص نفسه يجيء في مقدمة «ابن خلدون» و«أزهار الرياض» و«نفح الطيب» (116) وفيها جميعاً أن اسمه الدويني بدلاً من الزيلي.

● ابن خلف الجزائري:

جاء في «المقتطف» (117):

«واشتهر ببر العدوة ابن خلف الجزائري، صاحب الموشحة المشهورة التي مطلعها:

يد الاصباح قدحت زناد الأنوار في مجامر الزهر

● ابن خزر البجائي (118):

قال ابن سعيد في «المقتطف» إنه «صاحب الموشحة المشهورة:

ثَغْرُ الزَّمَانِ المَوْافِقُ

حِيَاكُ مِنْهُ ابْتِسام

● ابن هردوس (أبو الحكم أحمد) المتوفى سنة 572 هـ (119)
 كاتب عثمان بن عبد المؤمن، ملك غرناطة، وعده ابن سعيد في «المقتطف»
 من بين مشاهير الوشاحين في عصر الموحيدين وذكر له مطلع موشحته:

يا ليلة الوصل والسَّعود
 بالـــــــه عُودي (120)

وغني عن القول أنه استعاره من خرقة موشحة «اشرب على نغمة
 المثاني» التي تتسب تارة لابن نزار، وتتسب تارة أخرى لابن حزمون.
 والموشحة تدور في قسمها الأول حول موضوع الغزل والإقبال على
 اللهو:

كم بتُّ في ليلة التَّمَنِّي
 لا أعرفُ الهَجْرَ والتَّجَنِّي
 ألثُّمُ ثَغْرَ المُنَى وأجْنِي
 من فوق رمانتِي نُهود
 زَهْرَ الخـــــــود
 يا لائمِي اطرحْ ملامِي
 فلا براحْ عن الغَرامِ
 إلا أنعكافي على مُدامِ
 بسمِ صوت ونقر عُود
 من كفافِ خُود

لكنه سرعان ما يتذكر أن «مدح الأمير الأجل أولى» وهكذا يترك الغزل
 والكأس ليخاطب الممدوح:

لله يومٌ أغرُّ زاهرُ
 قد حلَّ بالأندلس أمرُ
 قالوا وقد وافتُ البشائرُ
 بالملك السيد السَّعيدِ
 أبِي السُّعود

● ابن المريني (أبو الحسن علي) (121)
 قال عنه ابن سعيد في «المغرب»:

فترة النضج والازدهار

«شاعر وشاح مشهور ببلاد المغرب، صحبه والدي، ومات في مدة منصور بني عبد المؤمن، وكان كثير التجول» وأورد موشحة قال إنها لابن المريني، وتروى لابن اليكي»⁽¹²²⁾ أولها:

مَالِبِنَاتِ الْهَدِيدِ
مَنْ فَوْقَ أَغْصَانِ
هَيَّجْنَ عِنْدَ الصَّبَاحِ
شَوْقِي وَأَحْزَانِي

وهي من روائع التوشيح الأندلسي، وله موشحة أخرى لا تقل عنها جمالاً، مطلعها:

فِي نَغْمَةِ الْعُودِ وَالسَّلَافِ
وَالرُّوضِ وَالنَّهْرِ وَالنَّادِيمِ
أَطَالَ مَنْ لَامَنِي خِلَافَهُ
فَظَلَّ فِي نُصْحِهِ مُلِيمٌ⁽¹²³⁾

● ابن الفرس (عبد الرحيم، الغرناطي، المعروف بابن الفرس)⁽¹²⁴⁾ جاء عنه في «المغرب:

«قرأ مع والدي، وكان يصفه بالذكاء المفرط والتفنن والتقدم في الفلسفة، وهو الذي أعلن الثورة على دولة الموحدين، وزعم أنه «القحطاني» الذي سيدين البشر له بالطاعة، وبث دعوته في قبائل لمطة البربرية، ولكن دعوته لم تنجح، وقتل».

وذكر ابن سعيد في «المغرب» قسماً كبيراً من موشحة وصفها بأنها مشهورة، أولها:

يَا مَنْ أَغَالِبُهُ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ
وَأَرْتَجِي وَصَالَهُ وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ
سَدَدْتُ بَابَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ مَطْلَبُ
زُرْتُنِي وَلَوْ فِي الْمَنَامِ
وَجُودٌ وَلَوْ بِالسَّلَامِ
فَأَقْلُ الْقَلِيلُ
يُبْقِي ذِمَاءَ الْمُسْتَهَامِ

وجاء في الموشحة نفسها قفل أورده بعد موشحة ابن عتبة⁽¹²⁵⁾ وهو:

نُفُضُ مَسْئِكَ الْخُتَامِ
عَنْ عَسْجِدِي الْمُدَامِ
ورداء الأَصْـيـلُ
تَطْوِيهِ كَفَّ الظَّلامِ

وذكر أن ابن الفرس كان يزهى بهذا المعنى، وهذا الزهو سيتردد صداه بعد ذلك في «النفح» ففي معرض الإشادة بفضائل أهل الأندلس يقول المقرئ:

«وهل منكم من يقول في موشح فيما يجره هذا المعنى...»⁽¹²⁶⁾ وذكر شيئاً من القفل السابق وقال إن الموشحة لأبي القاسم بن الفرس. ومن هذه الموشحة قسم آخر في «المقتطف»⁽¹²⁷⁾ وفيه بعد أن ذكر ابن زهر وابن حيون:

«واشتهر معهما في العصر بفرناطة المهر بن الفرس، ومن المشهور أن ابن زهر لما سمع قوله:

لله ما كان من يوم بهيج
بنهر حمص على تلك المروج
ثم انعطفنا على الخليج
نُفُضُ مَسْئِكَ الْخُتَامِ
عَنْ عَسْجِدِي الْمُدَامِ
ورداء الأَصْـيـلُ
تَطْوِيهِ كَفَّ الظَّلامِ

قال: أين نحن من هذا الرداء!»

● ابن أبي حبيب (أبو الوليد):⁽¹²⁸⁾

ذكر ابن سعيد أن ابن أبي حبيب من أعيان شلب، ونقل من «السمط» أن أبا الوليد هذا كان «نكتة الزمان، ونخبة الأعيان، الذي ملك الحيا عنانه، وأيدت الحكمة لسانه» وذكر له شيئاً من موشحة أولها:

عَسَى لِيديك يا ربة القلب
زاد لراح ل

فودعي فديتُك هـيَمانا
لا يستطيعُ دونك سُوانا
إذا تذكَّرَ البين أوبانا
بكي وحَنَ إلى شأب
حينئذٍ ثااكلُ

● ابن حبيب (القصري الفليسوف): (129)

قال عنه ابن سعيد:

«برع في العلم القديم، واشتهر اشتهاه البدر في الليل البهيم، فلاحظته الأعين، وخاضت فيه الآلسن، وصادف اشتهاه إظهار مأمون بني عبد المؤمن طلب الزنادقة، وتطهير الأرض منهم، فكان فيمن ضرب عنقه..»
وذكر له بعض نماذج من شعره، وقال إن «له موشحات» منها موشحة تستهل بـ:

اشرباً على ضفة الغدير
ويهجة الروض في المطر
وانظر إلى الكوكب المنير
يسعى بكأس لها شررُ

ابن نغرلة (إسماعيل بن يوسف، اليهودي): (130)

قال عنه ابن سعيد «من بيت مشهور في اليهود بغرناطة، آل أمره إلى أن استوزره يا ديس بن حيوس ملك غرناطة، فاستهزأ بالمسلمين، وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغني بها قال أمره إلى أن قتله صنهاجة أصحاب الدولة..»

● ابن حزمون (أبو الحسن، علي): (131)

ذكره ابن سعيد في «المقتطف»، بعد الحديث عن ابن حيون ومطرف وابن الفرسي: «واشتهر بعد هؤلاء ابن حزمون بمرسية، أخبرني ابن الدارس أن يحيى الخزرج دخل عليه في مجلس، فأنشده موشحة لنفسه، فقال له ابن حزمون: ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً عن التكلف. قال: على مثال ماذا؟ قال على مثال قولي:

يا هاجري هلْ عن هواك سالي قلبي العليل؟» (132)

وفي «المغرب» أنه كان «صاعقة من صواعق الهجاء.. وأكثر قوله في طريقة التوشيح»، وهذا ما أوضحه صاحب «المعجب» حين قال:

«ولعلي بن حزمون هذا قدم في الآداب، واتساع في أنواع الشعر، ركب طريقة أبي عبد الله بن حجاج البغدادي.. فأربنى عليه، وذلك أنه لم يدع موشحة تجري على ألسنة الناس بتلك البلاد، إلا عمل في عروضها ورويتها موشحة على الطريقة المذكورة» (133)

واحتفظ «المغرب» ببعض هجائياته هذه، وكذلك مرثية:

يا عينُ بُكَّى السَّراجِ الأزهرًا الثَّيِّرا اللّامعَ
ولا نملك من موشحات ابن حزمون إلا واحدة فحسب، غير أنها مفصحة أيما إفصاح عن مهارته في أداء المعاني بأقصى درجة من البساطة والعمق:

مضى بنفس تُهاج مُصَبِّرا مصطبراً وطائع
وباعها في الهياج لقد ذرى ماذا اشتري ذا البائع

● المنتاني (أبو العباس أحمد) (134):

كان-كما أورد صاحب «المغرب»-كاتباً لدى أبي سعيد عثمان بن حفص صاحب أفريقية، أحد كبار قواد الموحدين، ذكر له ابن سعيد قسماً من موشحة أولها:

اشربْ على ميسم الزهر
حين رَقَّ الأصيل
والشمسُ تجنحُ للغرب
والنسيمُ عليلُ
وكلنا مثل وُرُق
لهالدينا هديلُ

● ابن زهر الحفيد (أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي الأشبيلي) (135) توفي سنة 595:

سليل أسرة شهيرة في العلم والأدب بالأندلس، ونهج هو على منوالهم، ذكره تلميذه ابن دحية صاحب «المطرب» فقال:

فترة النضج والازدهار

«كان شيخنا الوزير أبو بكر رحمه الله بمكان من اللغة مكين، ومورد من الطلب عذب معين، وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب، والمنزلة العليا عند أهل المغرب، مع سمو النسب، وكثرة الأموال والنسب» وقال قبلها: «والذي انفرد شيخنا به، وانقاد لتخيله طباعه، وأصارت النبهاء خوله وأتباعه المرشحات، وهي زبدة الشعر، وخلاصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيء المشرق». وقال عنه ابن سعيد في «المقتطف:

«وسابق الحلبة التي أدركت هؤلاء (يعني وشاحي عصر الموحدين مثل أبي الفضل بن شرف وابن هردوس وابن مؤهل..) أبو بكر بن زهر، وقد شرقت موشحاته وغربت. وسمعت أبا الحسن المذكور (أي: أبو الحسن بن مالك) يقول لابن زهر: لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول مما استحسنته من قولي، وأرتضيه من نظمي:

هل نُسْتَعَاذُ أَيَاْمُنَا بِالْخَلِيْجِ وِلْيَا لِيْنَا
إِذْ يَسْتَفَادُ مِنْ النِّسِيْمِ الْأَرِيْجِ مَسْكُ دَارِيْنَا الْخِ..

وابن زهر أحد أعلام الأندلس المبرزين في ميدان التوشيح، وفيما يبدو أن شهرته فيه أربت على شهرته في غيره من ميادين الأدب (شأنه في ذلك شأن عبادة بن ماء السماء وابن القزاز والأعمى التطيلي وابن بقى ومن حسن الحظ أن المصادر احتفظت لنا بقدر لا بأس به من موشحاته، فقد ضمت مجموعة «جيش التوشيح» عشر موشحات من نظمه، وجاء في «المغرب» نحو هذا العدد (وإن كان بعض منها غير كامل) واثنان وربما أكثر-في «دار الطراز» واثنان في «المطرب»، وخمس موشحات في «عيون الأنبياء»، وله موشحات في «نفع الطيب»، و «الوافي بالوفيات» و «توشيح التوشيح»، و «معجم الأدباء» و «العداري المآسات» و «عقود اللآل» الخ.. لكن عدداً منها يتكرر ذكره هنا وهناك، ومن ثم نجد أن ما وصل إلينا منها أقل من عشرين موشحة، لعل أشهرها جميعاً:

أَيَهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي

قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

وتذكر خرجتها-في الغالب الأعم-معربية، على نحو ما جاء في «دار

الطراز:

قد نما حبك عندي وزكا
لا تقُل في الحب أني مُدعي
وترد في «جيش التوشيح غير معربة»:

قد نما حبك بقلبي وزكا
وتقل إنني في حبك مدع

وموشحات ابن زهر من الطراز العالي، الذي يتضمن كل خصائص هذا الفن في صورتها الأصيلة: مزيج من الموسيقى، والصور الموحية، والتعبيرات البسيطة الشفيفة والاقتراب من أخيلة الشعب كقوله:

كل له هواك يطيبُ

أنا، وعاذلي والرقيبُ

وتدور حول الحب، وفي نهايتها:

لم يدر عاذلي ورقيبِي

أنَّ الهوى أخفَّ ذنوبي

وأنت يا عذاب القلوب

كم تشتهي إليك القلوبُ

وأنت معرضٌ لا تُجيبُ

قالت عليّ أنت مأولُ

فقلت: ودك المستحيلُ

فأنشد النَّصوحُ يقولُ:

من خان حبيبَه الله حسيب

الله يعاقبه ويثيبُ

وتبلغ الغنائية ذروتها في موشحة:

حتى الوجوه الملاحا

وحى نُجَل العيونُ

وأعمال ابن زهر تستحق في واقع الأمر وقفة خاصة، وتحليلاً مستفيضاً،

لا يتسع له المجال الآن.

وشاحو القرن السابع المجري

● ابن الياسمين (أبو محمد عبد الله بن حجاج الاشبيلي) ⁽¹⁾ المتوفى سنة 601 هـ:
وصفه ابن سعيد في «الغصون اليانعة» بـ
«الجليس المتفنن» وقال إن أول تعلقه كان «بالفقه
والتوثيق، حتى صار من أعلام العارفين بالوثيقة،
ثم اشتغل بالنظم والنثر وفنون الآداب، فصار من
أعلام الأدباء والكتاب.
وذكر أن «له موشحات يغني بها ⁽²⁾» لا نعلم
عنها شيئاً.

● السلمي (أبو حفص عمر بن عبد الله محمد
بن عبد الله بن عمر، ⁽³⁾ المتوفى سنة 603 هـ:
جاء عنه في «الغصون» أنه كان «فقيهاً علامة،
وفي النظم والأدب أندر علامة، جل بين قومه
بمدينة فاس مقداره، وقضيت بها في الجاه والمال
أوطاره، إلى أن كان هنالك من أهل الفتيا، ثم صار
من جلساء أصحاب الأمر وأرباب العليا، ثم ترقى
إلى الخطابة والقضاء.. وولاه المنصور قضاء
أشبيلية»
وأردف أن «له موشحات مشهورة يغني بها في
الأقطار، منها:

حَسَّانَةٌ رُخَيْمَةٌ
عَانَقَتْ مِنْهَا الْبَانَةَ
وَالنَّاقَةَ الرَّجْرَجَاجَ
وَاشْوَاقِي لِحَسَّانَتِهِ

● الجلياني (أبو الفضل، عبد المنعم بن مظفر الفساني) المتوفى سنة 603هـ⁽⁴⁾:
جاء في «النفح» أنه كان «أديباً فاضلاً، له شعر مليح المعاني، أكثره في
الحكم والإلهيات وآداب النفوس والرياضيات، وكان طبيباً حاذقاً.. وكان
يقال له حكيم الزمان».

ووقف ابن سعيد على ديوانه فقال إن أكثر شعره «مملوء من السخف
والمجون»

ونقل عنه العماد أن له كتاباً بعنوان «نهج الوضاعة لأولي الخلاعة»
أما ابن أبي أصيبعة⁽⁵⁾ فإنه يقول إن ديوان الجلياني كان يقع في عشرة
أجزاء، قصر الثامن منه على موضوعات «الغزل والتشبيب والموشحات
والدوبيتي..» وفيما يبدو أن الجلياني كان بارعاً في الموشحات، بدليل وصف
العماد له بأنه «صاحب البديع البعيد، والتوشيح والترشيح»

● ابن الفكون (أبو علي حسن) المتوفى في أوائل القرن السابع الهجري:
ذكره الغبريني في «عنوان الدراية» وقال إنه من الأدباء الذين تستظرف
أخبارهم، وتروق أشعارهم. غزير النظم والنثر، وكأنها أنوار الزهر. رحل
(من بجاية؟) إلى مراكش، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن، وكانت جائزته
عنده من أحسن الجوائز، وله «رحلة» نظمها في سفرته من قسنطينة إلى
مراكش.. وله ديوان شعر، وهو موجود بين أيدي الناس، ومحبوب عندهم،
وهو من الفضلاء النبهاء.. وكان الأدب له من باب الزينة والكمال، ولم يكن
يحترف به لإقامة أود أو إصلاح حال. وأصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها،
ومن كريم أرومتها. وتواشحه مستحسنة»⁽⁶⁾

● ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني) المتوفى سنة 614 هـ
مولده في بلنسية (سنة أربعين وخمسمائة، أو نحو ذلك) وتلقى العلم

وشاحو القرن السابع الهجري

بشاطبة، وبرع في الفقه والحديث والقراءات، كما برز في الأدب شعره ونثره، وفي ذلك يقول صاحب «الإحاطة:

«كان أديباً بارعاً شاعراً مجيداً، ونظمه فائق ونثره بديع، وكلامه المرسل سهل حسن، وأغراضه جلييلة، وذكره شهير، ورحلته نسيج وحدها، طارت كل مطار»⁽⁷⁾ وكان له ديوان سماه «نظم الجمان» وآخر بعنوان «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح» يتضمن المراثي التي ألفها في رفيقة حياته أم المجد، ختمه بخمس موشحات فيها. ولم يصل إلينا شيء منها.

● الأريسي الجزائري (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد) أواسط القرن السابع:

ذكر الغبريني أنه كان «حسن النظم والنثر،.. وكان سهل الشعر، وكان كثير التجنيس، يأتيه عفواً من غير تكلف.. وكان مليح التواشيح»⁽⁸⁾ وذكر أنه على رأس كتبة الديوان ببجاية.

● ابن ميمون القلعي (أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي)⁽⁹⁾ المتوفى سنة 673 هـ:

ينسب إلى قلعة بني حماد، ونشأ بالجزائر وأقام في بجاية، وكان من شيوخ الغبريني صاحب «عنوان الدراية»، وفيه أنه «كان في علم العربية مقدماً محكماً لفنونها الثلاثة، النحو، اللغة، والأدب.. وهو أفضل من لقيت في علم العربية.. وهو أكثر الناس شعراً، وتواشيعه حسنة جداً.»

● ابن حنون (أبو العباس أحمد، الأشبيلي)⁽¹⁰⁾:

قال عنه ابن سعيد في «المغرب:

«من بيوت أشبيلية وأغنيائها، آل أمره إلى أن اتهم بالقيام على السلطان (يوسف ابن عبد المؤمن الذي حكم من 558 إلى 580 هـ) وهو ممن ذكره صفوان في كتاب «زاد المسافر» وذكر نماذج من شعره، وقال إن «له موشحات مشهورة» ذكر واحدة منها هي التي أولها:

أبى أن يـجـودَ بالسَّلامِ

فكيف يـجـودُ بالوِصالِ

مَنْ كَانَتْ تَحْيِيَةُ الْوُدَاعِ
 مِنْهُ قَبْلَهُ عِنْدَ الزَّوَالِ
 عِنَاءُ الْمُتَيِّمِ الْمُعَانِي
 أَثَابَ إِلَيْهِ أَوْ تَجَنَّبِي
 يَرُوقُكَ مِنْظَرًا وَحُسْنًا
 وَالخُرْجَةُ تَأْتِي بِالْعَامِيَةِ عَلَى لِسَانِ الْمَحْبُوبَةِ الَّتِي تَتَشَدُّ:
 خَلَقْتَ مَا يَحِجُّ عِلْمَتِ رَامِ
 فَلَسْ نَخْلُهُ سَاعَةَ عَنِ قِتَالِ
 وَتَعْمَلُ بِذِي الْعَيْنَيْنِ مَتَاعِ
 مَا تَعْمَلُ أَرِيَابَ النَّبَالِ

● ابن غياث (أبو عمرو):

قال عنه ابن سعيد:

«شاعر مشهور من شعراء المائة السابعة، اجتمع به والدي في سبته»⁽¹¹⁾
 توفي سنة 620 هـ، ولا نعرف له إلا قطعة من موشحة، أولها:

طَالَ عَنْكُمْ مَغْيِبِي
 فَلَمْ تَرَأُوا وَذَادِي
 ذَاكَ شَأْنُ الْغَرِيبِ
 يُنْسَى بِطَوْلِ الْبِعَادِ

● ابن جعفر (عبد الله، الأشبيلي)⁽¹²⁾

قال عنه ابن سعيد:

«كان وشاحاً مطبوعاً: ظريفاً لطيفاً، ولم يذكر له موشحات، واكتفى
 ببيتين له. ولم نجد شيئاً عن موشحاته في المصادر الأخرى.

● ابن حريق (أبو الحسن علي) المتوفى سنة 622 هـ

جاء عنه في «المغرب:

«أخبرني والدي: أنه اجتمع به في سبته، في مدة مستنصر بني عبد
 المؤمن، وقد قصد صاحب أعمالها ابن عبد الصمد مادحاً، للذائع من

وشاحو القرن السابع الهجري

كرمه، فرأى خير من يجتمع به أدباً وشعراً وظرفاً وحسن زي. قال: وشهدت له بحفظ الآداب والتاريخ»

وأورد له موشحة يقول فيها:

سَلُّ حَارَسَي رَوْضَةِ الْجَمَالِ
وَصَوْلَجَي ذَلِكَ الْعِندَانِ
مَنْ تَوَجَّ الْغُصْنَ بِالْهَلَالِ
وَأَنْبَت الْوَرْدَ فِي الْبَهَارِ

ومنها:

وناصح قال يا غريب
أسرفت في البث والحزن
للمرء من دمه نصيب
والروح ما إن له ثمّن
ويحك لا عيشة تطيب
ولا نديم ولا سكن
فخلّ عيني في انهمال
يقرُّ لادمع من قرار
وابك معي رقة لحالي
بكاء غيلان في الديار
وهي من عيون الموشحات الأندلسية.

● الميورقي (ابن عبد الولي) (14):

جاء عنه في «المغرب:

«أخبرني من اجتمع به أنه كان شاعراً وشاحاً» ولسنا نعرف من موشحاته شيئاً

● المتيطي (أبو جعفر أحمد بن جعفر) (15)

في «المغرب:

«سكن سبتة، ولهذا البيت فيها مجد شامخ، وتصرف في ولايات، وكان

أبو جعفر مشهوراً بالتوشيح» ولم يذكر له شيئاً من موشحاته.

● يحيى الخزرج: (16)

وشاح، ذكره ابن سعيد في معرض الحديث عن موشحات ابن حزمون ويفهم من السياق أن موشحاته كانت تتسم بالتكلف.

● ابن الصابوني (أبو بكر محمد بن أحمد، الأشبيلي، الملقب بالحماني) (17).

جاء عنه في «المغرب»

«اجتمعت به في اشبيلية، والناس يجعلونه شاعرها المشار إليه، وكان قد تقدم عند مأمون بني عبد المؤمن، ثم رأى أن يقصد سلطان أفريقية، فلقبه في مليانه، ومدحه «ثم رحل إلى مصر، فلم يجد فيها من قدره، وعاجلته بها منيته فات بالإسكندرية، قبل سنة ثمان وثلاثين وستمائة» وفي «المقتطف» خبر يقول فيه ابن سعيد:

«وسمعت أبا بكر الصابوني ينشد للأستاذ أبي الحسن الدباج موشحات له غير مامرة، فما سمعته قال: لله درك، إلا في قوله:

قَسْمًا بِالْهَوَى لِنَذِي حَجْرٍ
مَا لَيْلِ الْمَشُوقِ مِنْ فَجْرِ
جَمَدِ الصَّبْحِ لِي يَطْرُدُ
مَا لَيْلِي فَمَا أَظَنَّ غَدُ
صَحَّ يَا لَيْلِ أَنْكَ الْأَبْدُ
أَوْ فَصَّصَتْ قَوَادِمَ النَّسْرِ
أَمْ نَجُومُ السَّمَاءِ لَا تَسْرِي

● مطرف

جاء في «المقتطف» بعد الحديث عن المهر بن الفرس: «وكان معه في بلده مطرف. أخبرني والدي أنه دخل على ابن الفرس المذكور فقام له وأكرمه، فأشار عليه بأن لا يفعل، فقال: كيف لا أقوم لمن يقول:

قَالَ وَبُتَّ صَابَتُ
بِأَلْحَاظِ تَصَيَّبُ

فقل كيف تبتقى
بلا وجد قلوباً⁽¹⁸⁾

ولعله «مطرف بن مطرف» المذكور في «المغرب»، وفيه:
«اجتمع به والدي، وأثنى عليه في طريقة الشر، وذكر أنه قتله النصراني
في الواقعة التي كانت سنة تسع وستمائة»⁽¹⁹⁾ وهي الواقعة المعروفة باسم
العقاب وذكر له نموذجاً من شعره.

● ابن الفضل (أبو الحسن علي)⁽²⁰⁾

جاء عنه في «المغرب»:

«هو ممن لقيته بحضرة أشبيلية، وكان بينه وبين والدي صداقة متمكنة،
وسكن أشبيلية، وساد فيها، وولى بها خطة الزكاة والموارث، وهي نبيهة
هنالك... و بنو الفضل أعيان أر يوله، وهو عينهم، وأنشد مأمون بني عبد
المؤمن-أول ما بويع في أشبيلية بالخلافة...قصيدة.. الخ» وأشاد به ابن
سعيد في «القدح المعلق» وقال إن موشحاته ذاعت بالمشرق والمغرب⁽²¹⁾،
كذلك يذكر في «المقتطف» نقلاً عن والده أن أبا الحسن بن مالك قال لابن
الفضل:

«يا ابن الفضل لك على الوشاحين بقولك الفضل:

واحسرتا لزمان مضى
عشية بان الهوى وانقضى
وأفردت بالرغم لا بالرضى
وبت على جمرات الغضا
أعانق بالوهم تلك الطلول
وألثم بالفكر تلك الرؤوم»⁽²²⁾

وهذه القطعة من موشحة جاءت بتمامها في «المغرب»، ومطلعها:

ألا هل إلى ما تقضى سبيل
فيشقى الغليل وتوسى الكاوم

وهناك موشحة أخرى أولها:

عرج بالحمى وأسأل بالكتيب عنهم أينما

ههـ الأريـع

مِنْهُمْ بِأَقْعُ
 أَيُّنَ الْأَدْمَعُ
 ضَرَّجَهَا دَمًا وَفُمَّ بِالنَّحِيبِ نَقِيمٌ مَأْتَمًا
 كَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ كِتَابُ «الْمَغْرِبِ» قِطْعَةً مِنْ مَوْشَحَةٍ هِيَ:
 فِي طَرْفٍ مِنْ أَهْوَاهِ
 سَيْفُ الْمُنُونِ
 وَالْقَابُ فِي بَاهْوَاهِ
 مَمَّنْ يُنْجُو
 يَأْقِدُ غُصْنَ الْبِيَانِ
 إِذَا أَنْتِ ثَنَيْتِ
 الرَّاحُ وَالرَّيْحَانُ
 بِلِ الْأُنْيِ
 فِي ذَلِكَ الْوَسْنَانِ
 إِذَا رَأَى
 يَا رَبِّ مَا أَقْسَاهُ
 نُورِي يَهْوُونِ
 وَالصَّبَّ مَا أَرْجَاهُ
 مَا لَا يَكُونُ

● ابن الهيثم (الأديب الهيثم بن أحمد بن أبي غالب) ⁽²³⁾، المتوفى سنة

:630

قال عنه ابن سعيد:

«حافظ اشبيلية، لم ألق بها أحفظ منه، وكان والدي يتعجب منه. ومن أعجب عجائبه أنه كان يملئ على شخص شعرا، وعلى ثمان موشحة، وعلى ثالث زجلا، وكل ذلك ارتجال دون توقف، وتنبه ذكره في مدة مأمون بن عبد المؤمن، وكتب له مدة». ولسنا نملك شيئا من موشحاته.

● ابن عتبة (الطبيب الوشاح، أبو يوسف) ⁽²⁴⁾ المتوفى سنة 636 هـ:

اجتمع به ابن سعيد في اشبيلية، وذكر أنه «كان طبيبا وشاحا مطبوعا،

وشاحو القرن السابع الهجري

ثم سافر إلى إفريقية، ثم إلى مصر، فمات في مرستان القاهرة». وذكر له بعد ذلك قصما كبيرا من موشحة جميلة للغاية أولها:

الرَّوْضُ فِي حُلِّ خَضِرِ عَرُوسُ
والليل قد أشرق فيه الكؤوسُ
وليس إلا حُمَيَّاهَا شُمُوسُ
نُجُومِي بِكَفِي غِلام
كالغصن لدن القوام
ريقتُه ساسبيلُ
يشضي لهيباً أوامي

ومنها:

فقمُ نباكرها لاصطباح
والشهبُ تُنثَرُ من خيط الصباح
والقضبُ ترقصُ في أيدي الرياح
على غناء الحمام
والكأسُ ذاتُ ابْتِسام
والظلامُ قتييلُ
والصبحُ دامي الحسام

● ابن عربي (محيي الدين، أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي) المتوفي سنة 638 هـ: (25)

الصوفي المعروف. له في «النفح» ترجمة ومختارات في أكثر من عشرين صفحة، موجزها أن مولده بمرسية، سنة 650 هـ، ودرس في أشبيلية، وبها أمضى عشرين سنة، ثم ارتحل إلى المشرق، وأخذ عن العلماء، وطوف في مصر وبلاد الروم، وأقام في أخريات حياته بدمشق، وبها توفي.

وتختلف الآراء في ابن عربي، والى هذا يشير الذهبي عندما قال «إن له توسعا في الكلام، وذكاء، وقرّة خاطر، وحافضة، وتدقيقا في التصوف، وتوليف جمّة في العرفان، لولا شطحه في كلامه وشعره» (26)

وأورد الغبريني في «عنوان الدراية» فهرست مؤلفات ابن عربي، وتتضمن ما يزيد عن مائتين وخمسين عنوانا (27)، والذي يعيننا منها ديوانه الأكبر،

ويعد أهم مصدر عن الموشحات الصوفية، ويضم قرابة ثلاثين موشحة، وقد أشرنا إلى واحدة منها عند الحديث عن الموشحات الدينية والصوفية، جاءت على وزن موشحة ابن زهر، «أيها الساقى»، وله موشحة أخرى على وزن «جر الذيل أيما جر» المنسوبة لابن باجة. وموشحة ابن عربي تبدأ ب:

ألا بأبي من ضمّه صديري

وأدريه قطعاً وهو لا يدري

لقد أقسم الحقّ بما أقسم

وعلمنا ما لم نكن نعلم

وأوضح لي ما كان قد أبهم

وكلها تسبح في مثل هذا التهويم: لقد اتضح له ما كان مبهماً، وصح ما

كان يشبهه وقتاً وينفيه، ثم يأتي المقطع الختامي:

وجارية باتت تغنيه

وتوحي إلى الغير وتعنيه

وما تبغى إلا لتعنيه

أجر ذيلي أيما جر

فأوصل منك السكر بالسكر

وموشحات ابن عربي لا تخضع في مجموعها لشكل الموشحة التقليدية،

فضلاً عن أن كثيراً منها تتمثل فيه ظاهرة «التزنيماً».

● ابن سهل (أبو إسحاق إبراهيم، الأشبيلي، الإسرائيلي) المتوفى سنة

649 هـ (5) قال عنه ابن سعيد في «المغرب»: (28)

«قرأت معه في اشبيلية على أبي الحسن الدباج وغيره، وكان من عجائب

الزمان في ذكائه على صغر سنة، يحفظ الأبيات الكثيرة من سمعة، وبلغني

الآن أنه شاعر خليفتهم بمراكش»، وهذه النقطة الأخيرة مثار تساؤل، إذ

يخلو الديوان من أي نص يؤكدها، ولا يوجد ما يعضدها في المصادر الأخرى

عن ابن سهل، والشيء الثابت أن الشاعر عمل كاتباً لدى ابن خلاص، وإلى

سببته من قبل الموحدين ثم الحفصيين.

وهناك نقطة أخرى تثير الجدل، وتتعلق بمدى صحة إسلام ابن سهل،

ونبذه لدين اليهودية، وفي هذا الصدد يذكر ابن سعيد أنه سأله عن هذا

الأمر فأجابه: «للناس ما ظهر ولله ما استتر».

والذي يعني أن ابن سهل كان شاعرا مجيدا، وبخاصة في الغزل، أما في الموشحات فإن براعته فيها-كما يقول د. إحسان عباس-«لا تقل عن براعته في القصيد الغزلي، وان كان يسلك لإظهارها طريقا آخر، هو ذلك التفنن القائم على تنويع النغمات، فوشحاته مظهر للتفاوت الكثير في إظهار قدرته على إتقان نغمات متباعدة، والتخلص بقدرة فائقة-تشبه عفويته في القصيد الغزلي-بين مزاحمة التقسيمات التي لا تخلو من جرأة على البناء المركب.. إن الجمع بين الصنعة الدقيقة والسهولة التعبيرية في هذه الموشحات يجعل ابن سهل في فن الموشح غير متخلف عن أعلامه الكبار، أمثال الأعمى التطيلي وابن بقي وابن زهر الحفيد في تاريخ التوشيح بالأندلس» وقد سلمت أربع وعشرون موشحة مما ألف ابن سهل، أشهرها، ولا ريب، تلك التي تستهل بـ:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى
 قلب صب حلّه عن مكنس
 فهو في حرّ وخفق مثلما
 لعبت ريح الصبا بالقبس

وكلها تدور حول موضوع واحد هو بث المشاعر الوجدانية النبيلة، وحتى الخرجة تأتي متشحة بتلك الغلالة الشفيفة الصافية، وهي-مع البيت الذي يسبقها:

أنفدت دمعي نار في ضرام
 تلتظي في كل حين ما يشا
 هي في خديّه برد وسلام
 وهي ضرّ وحريق في الحشا
 أتقى منه على حكم الغرام
 أسدأ ورداً، وأهواه رشاً
 قلت لما أن تبدى معلماً
 وهو من الحافظه في حرس:
 أيها الآخذ قلبي مغنماً
 اجعل الوصل مكان الخمس

وفي الخرجة مخالفة لما قرره ابن سناء الملك من ضرورة أن يأتي في البيت الذي قبل الخرجة: قال أو قلت أو قالت.. الخ، إذ أن هذا الشرط جاء في ثنايا الخرجة لا في البيت الذي قبلها.
ومن أشهر موشحات ابن سهل قوله:

يا لحظات لافئتن
في كرهها أوفى نصيب
ترمى وكأي مقتل
وكلها سهم مصيب

وهي موشحة جميلة، اكتملت فيها كل خصائص الموشحات الأندلسية الأصيلة، من حيوية، وروح شعبية، وبساطة في التعبير والصور. والخرجة تأتي في هذه المرة بالعامية، وفي البيت الذي قبلها يقول العاشق إنه نكاية في الرقباء سيفني:

هذا الرقيب ما أسواه بظن
أش لو كان الإنسان مريب
يا مولتي قم نعماً
ذاك الذي ظن الرقيب!

ولابن سهل موشحة تبدو وكأنها تنتمي لعالم الخيام، بما فيها من تأمل وشجو وجنوح إلى النسيان والأبيقورية:

رحباً بضيف الأُنس قد أقبل
وأجل دجى الهمّ بشمس العقار
ولا تسل دهرك عما جناه
فما ليالي العمر إلا قصار
عندي لأحداث الليالي رحيق
ترد في الشيخ ارتياح الشباب
كأنما في الكأس منها رحيق
وفي يد الشارب منها خضاب
وحقها ما هي إلا عقيق
أجريت أنفاسي فيه فذاب

فاجن المني بين الطلى والطلا
وأقدح على الأقداح منها شرار
وقل لناه ضل عنه نُهاه
كفى الصبا عنراً لخلع العذار

● الششتري (أبو الحسن علي بن عبد الله) المتوفى سنة 668 هـ (29)
نسبة إلى ششتر، من أعمال وادي آش، وذكر المقرئ في «النفح» أن
«زقاق الششتري معلوم بها»، ووصفه بـ «عروس الفقهاء، وإمام المتجردين،
وبركة لابسي الخرقة،.. وكان مجوداً للقرآن، قائماً عليه، عارفاً بمعانيه،
من أهل العلم والعمل» ونقل عن الغبريني صاحب «عنوان الدراية» قوله:
«الفقيه الصوفي، من الطلبة المحصلين، والفقراء المنقطعين، له علم
بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية، وتقدم في النظم والنثر على طريقة
التحقيق، وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع».
وللششتري ديوان حققه د. علي سامي النشار استناداً إلى سبع عشرة
مخطوطة، يقول في مقدمته إن الششتري «أول من استخدم الزجل في
التصوف، كما أن محيي الدين بن العربي أول من استخدم الموشح فيه،
وللرجلين فضل السبق في هذا المضمار»، ويضم هذا الديوان سبعين موشحة
وزجلاً فضلاً عن أزجال ومقطعات زجلية أخرى وردت في عدد محدود من
النسخ، وهناك قدر لا بأس به من «المزنيات» وعدد منها وصف بأنه من
«الموشحات» ولا يكاد يمت إليها بنسب، وكثيراً ما يخرج الششتري عن
الشكل التقليدي للموشحة، مثل قوله:

طاب نقالي وشرابي
وحيبي بي اعتنى بي
فاعذروني يا صحابي
في سُجودي واقترابي
خمرة راق شذاها
كل نور من سناها
قام ساقها سقاها
اجعلوها احتسابي

أنا سكرانٌ مَنْ هوَ
 ليس لي راحٌ سواه
 كما ناديتُ: يا هو
 كان: (لبّيكَ) جوابي
 أو قوله في أخرى، ويتكرر فيها القفل على نحو يخالف المؤلف في
 الموشحة الأندلسية التقليدية:

قد ظهّرتُ في مرّاتي
 عند رميي لمنسّاتي
 لم أجدُ بداً من بيدي
 قد أتيتُ لي من عندي
 فوق متن وهُم البُعْد
 خيّر مـوجـود
 عابـد مـعـبـود
 ليس بالمفضّة وود
 ويمحوه اثباتي
 قد ظهّرتُ في مرّاتي
 عند رميي لمنسّاتي

ولكن هناك عددا من النصوص يأتي وفقا للطابع التقليدي أو قريبا منه، مثل:

صاح هذي الأسرار قد أشعلتُ في الحشا مني النارُ
 منذ لاح لي سرُّ مَنْ هوَ
 لم أستطعُ كتم ما ألقاهُ
 من شجو قلبي ومن شكواهُ
 ويخّ قلبي قد طارَ في ذا الهوى سابحاً ذا استهتارُ
 وله أخرى عارض فيها موشحة الأعمى التطيلي «ضاحك عن جمان»
 وأول موشحة الششتري:

قـبـل كـون الـزـمـان
 ووجـود الـسـكـر
 أسـكـرتـني بـدان
 الـهـوى والـخـمـر

وشاحو القرن السابع الهجري

قَمَرُ الرُّسْدِ لَاح
وَأَنْوَارُ الْفُكْرِ رَا
وَنَسِيمُ الصَّبَاحِ
طَابَ مِنْهُ نَشْرَا
وَيَرْوِحُ رَا
عَادَ شَفْعِي وَتُرَا
وَأَنَا فِي مَهْرَجَانِ
طَوَّلَ حَيَاتِي عَمْرِي
عَزَّتِي فِي الْهَوَانِ
وَعِنَائِي فَعَمْرِي

والتزنييم واضح (في القفل الأخير) في قوله «طول حياتي عمري»، فضلا عن خلوه من المعنى.

وهناك بعض نصوص يشك في صحة نسبتها للششتري، مثل النص الذي أوله:

كَلَّمَا قَاتُ بَقْرِي
تَنْطَفِي نَيْرَانُ قَلْبِي
وَيَأْتِي بَدُورِهِ فِي دِيوَانِ ابْنِ وَفَا⁽³⁰⁾، وموشحة رفيعة المستوى أولها:
شَرِيئًا مَدَامَا بَلَا آنِيَّةً
فَلَا تَحْسَبُوا عَيْنَهَا آنِيَّةً

وينسب في بعض النسخ الديوان لغيلان المصري، وهي نسبة تؤكدتها عبارة جاءت في ديوان صفى الدين الحلبي، الذي عارض الموشحة السابقة، وقال إن الأصل لغيلان الغول المصري⁽³¹⁾ ونسجل من جانب آخر أن هذه الموشحة تختلف في نسيجها عن بقية موشحات الششتري.

● ابن موراطير (أبو الحجاج يوسف):

ينسب إلى موراطير، قرية من قرى بلنسية. جاء عنه في «عيون الأنبياء»⁽³²⁾:

«كان فاضلا في صناعة الطب، خبيرا بها، مزاولا لأعمالها، محمود الطريقة، حسن الرأي، عالما بالأموال الشرعية. وكان أديبا شاعرا محبا

للمجون كثير النادرة»

ونقل عن القاضي أبي مروان الباجي أنهما كانا في تونس مع الملك الناصر (من ملوك الموحدين) في وقت اشتد فيه الغلاء، وعز وجود الشعير: «فعمل أبو الحجاج بن موراطير موشحا في الناصر، وأتى في ضمنه تغيير بيت عمله الحفيد أبو بكر بن زهر في بعض موشحاته، وذلك أن ابن زهر قال:

ما العيدُ في حُلَّةٍ وطاق
وشمَّ طيب

وانما العيدُ في التلاقي
مع الحبيب

فعمل ابن موراطير:

ما العيدُ في حُلَّةٍ وطاق
من الحير

وانما العيدُ في التلاقي
مع الشير

فأطلق له الناصر عشرة أمداد شعير كانت. وكان أبو الحجاج بن موراطير قد خدم بصناعة الطب المنصور أبا يوسف يعقوب، ولما توفى المنصور خدم لولده الناصر. ومات في مراكش، في دولة المستنصر».

● ابن سعيد المغربي (علي بن موسى)، المتوفى سنة 673 هـ: الشاعر الأديب الرحالة، صاحب «المغرب في حلى المغرب» و«المشرق في حلى المشرق»، وغيرهما من الآثار الجليلة⁽³³⁾ ولا يعرف له إسهام في مجال الموشحات، غير أن الصفدي عده في «توشيح التوشيح»⁽³⁴⁾ من بين السابقين في مضمير التوشيح.

● المرحل (أبو الحكم، مالك بن عبد الرحمن، المالقي) المتوفى سنة 699: وصفه صاحب «النفح» بـ«الإمام العالم الشهير الأديب مالك بن مرهل المالقي ثم السبتى»⁽³⁵⁾، ولا تعرف له موشحات، وقد عده الصفدي في «التوشيح»⁽³⁶⁾ من بين كبار وشاحي الأندلس والمغرب.

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع المجريين

● أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف،
الغرناطي) المتوفى سنة 745 هـ⁽¹⁾:

العالم اللغوي الشاعر الأديب. نقل المقرئ عن
«أعيان العصر» أنه كان لأبي حيان «نظم ونثر، وله
الموشحات البديعة، وهو ثبت فيما ينقله، محرر لما
يقوله عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو
والتصريف، فهو إمام الناس كلهم فيهما، لم يذكر
معه في أقطار الأرض غيره في حياته وله اليد
الطولي في التفسير والحديث، والشروط والفروع،
وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم، خصوصا
المغاربة».

ولأبي حيان موشحتان معروفتان. الأولى عارض
بها شمس الدين التلمساني في موشحته:

قَمَرٌ يَجْلُو دُجَى الْعَلَسِ

بِهَرِ الْأَبْصَارِ مِنْ ظَهْرَا

(ولعل التلمساني تأثر فيها بموشحة: «خذ
حديث الشوق عن نفسي» التي تنسب لابن بقى،
كما تنسب لابن الزقاق)، وأول موشحة أبي
حيان:

عاذلي في الأهيف الأنس
 لورآه النَّاس قد عدنا
 رشاً قد زائهُ الحَور
 غصنٌ من فوقه قمرٌ
 قمرٌ من سُحْبِهِ الشَّعرُ
 ثغرٌ في فييه أم دُرُ
 جال بين الدرِّ والأعس
 خمرٌ من ذاقها سَكرًا
 وهي موشحة رقيقة المستوى، تتميز بعدوية الإيقاع وصفاء المعاني. وهي
 تنتهي بـ:

نُصَب العيينين لي شركا
 فانثنى والقلبُ لي مأكا
 قمرٌ أضحى له فأكا
 قال لي يوماً وقد ضحكا
 أتجي من أرض أندلس
 نحو مصر، تعشق القمر؟
 وأما الثانية فتبدأ بـ:

إن كان لييلٌ داخ
 وخاننا الاصباح
 فنورُها الوهاج
 يُغني عن المصباح
 ولا تقل هذه الموشحة جودة عن الأولى، وقد روعيت فيهما معاً التقاليد
 الفنية الأندلسية للموشحة.

● ابن خاتمة (أحمد بن علي، الأنصاري، المريني) ⁽²⁾، المتوفي سنة 770 هـ: نسبة إلى المرية، من مدن دولة غرناطة، وله مؤلفات منها «مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية»، لم يصل إلينا، وأعتمد عليه المقري في كثير من المواضع، وله «تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد»، رجل مشهور في عصره بفنون الثقافة المختلفة: شاعر وكاتب ومترسل،

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

وفقيه ومصنف وزاهد، أثنى عليه معاصره وصاحبه وصديقه لسان الدين بن الخطيب..⁽³⁾ وبخاصة في «الإحاطة» و «الكتيبة الكامنة» وكذلك إسماعيل بن الأحمر في «نثر فرائد الجمان» و «نثر الجمان». ولابن خاتمة ديوان نشر مؤخراً يضم ثماني عشرة موشحة رفيعة المستوى، تتمثل فيها خصائص الموشحة الأندلسية الأصيلة، من حيوية وبساطة وروح شعبية آسرة، وليس فيها شذوذ في البناء، كما يلحظ أحياناً في أعمال متأخري الوشاحين.

ومن موشحات ابن خاتمة:

يا مصباحٌ قد أخلج الأصباح هل تلتاح
يا بدرٌ أو ترتاحٌ لذي وُدِّ

وشكل هذه الموشحة يذكر بموشحات ابن عبادة القزاز، وبخاصة:

هـل يـتـتـاحُ لـالأرواحُ

مـن ظـبـاكُ يا سـفـاحُ

ويلاحظ أن ابن خاتمة كثيراً ما يلجأ إلى الإكثار من الأجزاء في الأفعال

مثل موشحته التي أولها:

هل في ارتياحي إلى الملاح أو إلى الشمول بأس يا عدول

فـدع لـومَ مـفـتـون

فـعشـق خـود وشرـب راح إنـما يلام غـيري في المـدام

وفـي الخـرد العـين

هـذي عـروسُ الرـياض تـجـلـى

مـن رائـق الزهـرفـي حـلـل

والجـوبـالغـيم قد تحـلـى

ولاحـت الشـمسُ مـن حـلـلُ

وخـبَ فـصلُ الرـبيع طـمـلاً

يسـقـيه ثـدي الحـيا عـلـلُ

فـسـقـنـي بـالكـبـير واملـا

إنـي كـبـيرٌ ولا تُبـلُ

والخرجة جاءت هنا معربة، ولكن ألفاظها «غزلة جداً، هزازة سحارة

خلاية، بينها وبين الصباية قرابة» وهذا شرط الخرجة المعربة غير المدحية، كما نصت على ذلك مقدمة «دار الطراز»... ومن موشحاته⁽⁴⁾ الجميلة:

فِي طَاعَةِ النَّدِيمِ
وَفِي هَوَى الْحَسَّانِ
عَصَايُتُ كُلِّ عَاذِلٍ
وَدُنْتُ بِأَفْتَتَانِ

وموضوعها-شأنها في ذلك شأن بقية موشحات ابن خاتمة-يدور حول الغزل، ولكن المحبوب هنا غلام نصراني، واستطاع الوشاح أن يبرز طبيعة هذا الحب في صور رشيقة معبرة:

عَاةٌ تُثْبِتُهُ غَزَاةً
لَا رُومَ مِنْ تَهَاهُ
زَنْبَارُهُ اسْتَمَّ مَالَا
حَلْمِي إِلَى صَبَاهُ
إِنْ قَال لِي مَقَالَا
لَمْ أَذْرَ مَا عَنَّاهُ
أَوْ اشْتَكِي هَمومي
لَمْ يَدْرَ مَا عَنَّا
فَالِقَابُ فِي حَبَائِلِ
أَيْدِي هَوَاهُ عَانِ

وهو يقسم له بالأناجيل وبحرمة المسيح أنه لن يصغي إلى قول عاذل أو ناصح ويتوسل إليه في نهاية الموشحة:

قُلْ كَيْفَ يَسْتَرِيحُ
صَبَابٌ مَتِيحٌ
لَسَانُهُ فَصِيحُ
وَالْحَسْبُ أَعْجَمُ
هَذَا حَالَتِي تَأْوِجُ
فَهَلْ مَتْرَجُمُ
صَبِي عَشَقْتِ رومي
وَشْ نَحْفَظُ السَّانِ

السَّاعَ مَا نَشَاكُلَ

عَاشِقُ بَتْرَجْمَانَ!

وهكذا تمضي موشحات ابن خاتمة، جياشة بمثل هذه الأجواء التي طالما حفلت أعمال الوشاحين القدامى، أمثال ابن عبادة القزاز، والتطيلي وابن بقي.

● العقرب (محمد)-من وشاحي القرن الثامن الهجري

جاءت له في «الروضة الغناء» موشحات، ورجح د. الجراري (5) أن المقصود هنا شاعر من إقليم لاش، ذكره لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة»، هو محمد بن علي الأوسي المدعو بالعقرب، ومن تلك المقطعات:

قَم تَرَى الْفَجْرَ بِسَيْفٍ مَنْتَضَى

شَقَّ جَلْبَابَ الدُّجَى لِمَا أَضَا

ضَحْكَ الزَّهْرُ بِثَغْرِ جَوْهَرُ

وَإِنَّثَى الْغَصْنَ الرُّطِيبُ الْمَثْمُرُ

وَشَدَا الطَّيْرُ يُنْغَمُ الْوَوْتَرُ

● السدراتي (أبو عثمان سعيد بن إبراهيم) المتوفي نحو سنة 770 هـ:

ذكره إسماعيل بن يوسف بن الأحمر (من أمراء بني نصر، أصحاب غرناطة) في كتابه «نثير الجمان» وقال انه من أهل فاس، وأنه كان يعرف بـ «شهبون الأديب» ووصفه بـ «رئيس الأدباء، ونخبة الألباء، إلى إجادة في نظم الزجل، أذهبت عنه في الشعر الخجل... ونجم في التوشيحة (كذا في الأصل، ولعلها: في توشيحه) ولم تكن قريحته في نظمها بشيحية...»⁽⁶⁾. وابن الأحمر (المتوفي سنة 807 هـ) ألف كتابه «نثير الجمان» سنة 776 وتحدث عن السدراتي مردوفاً بـ «رحمه الله» مما جعلنا نقول إن وفاته كانت نحو سنة 770 هـ.

ولا نعرف من موشحات السدراتي إلا نصاً وحيداً ورد في «نثير الجمان»

في مدح مؤلف الكتاب، أوله:

نَشَرْتَ فِيكُمْ بَنِي نَصْرٍ

لَأَبِي الصَّدَقِ رَايَةَ النَّصْرِ

وتدور من مطلعها إلى نهايتها حول المديح، وآخرها
يا أبا الصّدق أنت مولانا
كم نوال بذلت أغنائنا
رقت حُسناً وفقّت إحساننا
لك جودٌ كوابل القَطْر
ومُقَام أرويّ النَّسْر
ومن الجلي أنه يعارض هنا موشحة، «جرر الذيل أيما جر» التي تقدم
ذكرها.

● ابن الصباغ الجذامي:

ذكر المقرئ في «أزهار الرياض»⁽⁷⁾ بعض موشحات له، تدور في مجموعها
حول الزهديات والمدائح النبوية، ولم نجد معلومات عنه، وفي «الكتيبة
الكامنة»⁽⁸⁾ للسان الدين بن الخطيب ذكر لكاتب شاعر فقيه يدعى ابن
الصباغ العقيلي (توفى سنة 758هـ) كان وزيراً لبني نصر ملوك غرناطة،
وجاءت معلومات عنه في «نثير الجمان»⁽⁹⁾ و«نفع الطيب» وغيرهما.
أما نيكل⁽¹⁰⁾ فيشير إلى شاعر يدعي الجذامي ذكر أن ابن الخطيب
تحدث عنه في «الإحاطة» وقال إنه توفى بعد سنة 794 هـ.

● لسان الدين بن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد

عبد الله بن سعيد السلماني)⁽¹¹⁾:

أحد أعلام الشعراء والمؤرخين بالأندلس. ولي الوزارة بغرناطة في عهد
بني الأحمر، وبلغ على أيام الغني بالله محلاً أثيراً، إلى أن شعر بتغيره عليه،
ففر إلى المغرب، لكن الغني بالله ظل يسعى به واتهم لسان الدين بالزندقة،
وسجن، ثم قتل خنقا، وأحرقت جثته، سنة 76 هـ.

وكانت آثاره قد أحرقت. في غرناطة، وعدت أيدي الضياع على كثير
منها، ولكن ما وصل إلينا يدل على علم غزير، ومما طبع من أعماله كتاب
«الإحاطة في أخبار غرناطة» و«الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من
شعراء المائة الثامنة»، و«أعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلام من ملوك
الإسلام» و«كناسة الدكان بعد انتقال السكان» و«روضة التعريف بالحب

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

الشريف» وكتابه «جيش التوشيح» الذي ضمنه مائة وخمسا وستين موشحة، كثير منها لا يوجد في أي مصدر آخر، وإن كان لم يقدم له إلا في سطور معدودات، هي-بعد حمد الله والصلاة على نبيه وآله ومن اتبع هداه:-

«ورتبت هذا الكتاب ترتيبا لا يخفى إحكامه، وبوبته تبويبا يسهل فيه مرامه، كلما ذكرت حرفا قدمت أرباب الإكثار، وأولى الاشتهار من بعد الاختيار، والبراءة من عهدة النسبة اتهاما للأخبار، ثم آتيت بالمجهول منها على الآثار، حتى كمل على حسب الوسع والاقتدار..»

وليس في «جيش التوشيح شيء من موشحات لسان الدين بن الخطيب، فالكتاب-في صورته التي وصلت إلينا-يقتصر على موشحات شعراء من القرن السادس الهجري، وقد أشار ابن خلدون إلى موشحة لسان الدين:

جَادِكُ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمِي

يا زمان الوصل بالأندلس

وذكر قطعة كبيرة منها، وهذه الموشحة-ولا ريب-أشهر موشحات ابن الخطيب، بل لعلها أشهر الموشحات الأندلسية التي لا تزال تعرف إلى اليوم على نطاق واعم، وقد نسجها على منوال موشحة ابن سهل «هل درى»، وجاءت بتمامها في «نفع الطيب» وذكرتها عشرات المصادر والمراجع، مثل «عقود اللآل»، و «العذارى المائسات» و «روض الأدب» الخ.

وهذه الموشحة تأتي أطول بكثير مما هو معهود في الموشحات، فالموشح- كما نص على ذلك ابن سناء الملك-«يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات»، أما موشحة «جادك الغيث» فتأتي في أحد عشر قفلا وعشرة أبيات، وسيسير كثيرون ممن عارضوها في هذا التيار،⁽¹²⁾ بل ويطلقون أكثر مما فعل لسان الدين بن الخطيب، وفي هذا ما يقلل من قيمة الموشحات كعمل غنائي بالدرجة الأولى.

والنص يدور في مجموعته حول موضوع الحب وذكرياته، مع تصوير للطبيعة، لكنه لا يلبث أن يعرج بعد ذلك على مدح صاحب غرناطة، ليختم ب:

هاكها يا سبْطُ أنصار العُلا

والذي إن عثر الدهرُ أقال

غادةً ألبسها الحُسْنُ مُلا

تبهر العينَ جلاء وصقال

عارضت لفظاً ومعنى وحُلا
 قولٌ من أنطقه الحبّ فقال:
 هل دريَ ظبيُّ الحمى أن قد حمي قلباً صباً حله عن مكنس
 فهو في حرٍّ وخفق مثل ما
 لعبت ريحُ الصِّبا بالقَبَس
 وهكذا تكون خرجة موشحة ابن الخطيب هي نفسها مطلع موشحة ابن
 سهل الإسرائيلي.

ويمدنا المقري في «النفح»⁽¹³⁾ و «الأزهار»⁽¹⁴⁾ بنص آخر مسبوق ب:
 «قال لسان الدين بن الخطيب، رحمه الله تعالى،: ومما قلته من الموشحات
 التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها:

رُبَّ لَيْلٍ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ
 وَنَجْوَمُ السَّمَاءِ لَمْ تَدْرِ
 حَفِظَ اللّهُ لَيْلَانَا وَرَعَى
 أَيَّ شَمَلٍ مِنَ الْهَوَى جُمَعَا
 غَضَلَ الدَّهْرُ وَالرَّقِيبُ مَعَا
 لَيْتَ نَهْرَ النَّهَارِ لَمْ يَجْرُ
 حَكَمَ اللّهُ لِي عَلَى الْفَجْرِ
 وَأُورِدَ الْمُقْرِي كَذَلِكَ قَسْماً مِنْ مَوْشِحَةٍ أَوْلَهَا⁽¹⁵⁾:
 كَمْ لَيْلٍ الْفِرَاقِ مِنْ غُصَّةٍ
 فِي فَوْادِ الْعَمِيدِ
 نَرَفَعَ الْأَمْرَ فِيهِ وَالْقَصَّةَ
 لِلْوَلِيِّ الْحَمِيدِ
 رَحَلَ الرِّكْبُ يَقْطَعُ الْبَيْدَا
 بِسُفْهِينِ النَّيِّاقِ
 حَسَبَتْ لَيْلَةَ الْإِقْدَاءِ عَيْدَا
 فَهِيَ ذَاتُ أَشْتِيَاقِ
 وَفِي آخِرِهَا يَسْتَدِيرُ إِلَى الْمَدْوَحِ:

يَا إِمَامَ الْعِلَاءِ وَالْفَخْرِ
 ذَا السَّنَنِ الْمُبْهَجِ

هاكها لا عَدَمَتَ فِي الدَّهْرِ
 أَمَّا لَيْـرُتْجِي
 عَارِضَتْ قَوْلَ بَائِعِ التَّمْرِ
 بِمَقَالِ شَجِي:
 غَرِيوَكِ الْجَمَالِ يَا حَفْصَةَ
 مَنْ مَكَانَ بِمَعْيَدِ
 مِنْ سَجَامَسَةَ وَمَنْ قَفْصَةَ
 وَبِلَادِ الْجَرِيدِ

وهذه الإشارة إلى «قول بائع التمر» تمثل مظهرا من مظاهر الالتفات إلى الجانب الشعبي، الذي كان متقدمو الوشاحين يحرسون عليه، والذي ضؤل شأنه عند المتأخرين منهم. وهذه الخرجة يصح أن تنطق معربة أو خالية من الإعراب.

ويورد المقري بعد ذلك «من المنسوب إلى محاسنه» مطالعا:

قَد حَرَكَ الْجُلُجُلُ بَازِي الصَّبَاحِ
 وَالْفَرْجُ رُؤَاخُ
 فِيَا غَرَابَ اللَّيْلِ حُثَّ الْجَنَاحُ

قال بعده: «وهذا مطلع موشح بديم له لم يحضرني الآن تمامه، لكوني تركته وجملة من كلام لسان الدين في كتبي المغرب.. وهو معارض للموشح الشهير الذي أوله:

بِنَفْسِجُ اللَّيْلِ تَذَكَّى وَفَاحُ
 بَيْنَ الْبَطَاحِ
 كَأَنَّه
 يُسْئَلُ بِمَاءِ وِرَاخُ» (16)

● التلايسي (أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة)-المتوفي نحو سنة 780 (17)

كان طبيب السلطان أبي حمو (من ملوك بني عبدا لواد، أصحاب تلمسان) ذكر له المقري في «النفح»، مما مدح به مدينة تلمسان، قصيدة طويلة، وكان ابن حمو هذا يحتفل بالمولد النبوي الشريف احتفالا مهيبا، تردد فيه «أمداح

المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام، يخرجون فيها من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب⁽¹⁸⁾» وفي «أزهار الرياض» مدحه نبوية تتضمن مقطعا مدحيا في السلطان-للتلاليسي، جاء أنها ألفت في مولد سنة سبع وستين وسبعمائة، أولها:

لبي مدمع هتّان
 ينهّل مثل الورد
 قد صير الأجران
 ما إن لها من أثر
 حُقّ له يجري
 دما على طول الدوام
 منذ جدّ في السير
 ناس إلى خير الأنام
 وعواقبني وُزّي
 يا صاح عن ذاك المقام

وتنتهي بـ:

تاهت تلمسّان
 بملكه على البلاد
 صار لها شأن
 وسعدتها حافزاً
 قد ضلّ أنسان
 قال بها يشكو السّهاد:
 ليل الهوى يقظان
 والحبّ تربّ السّهر
 والصبر لي خوآن
 والنوم من عيني بّري⁽¹⁹⁾

والخرجة استعارها من ابن سهل الاشبيلي، وهي عنده مطلع إحدى موشحاته.⁽²⁰⁾ وله موشحات أخرى وردت في «بغية الرواد»⁽²¹⁾ لأبي زكريا بن خلدون منها تبدأ بالمطلع التالي:

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

يا ويح صبّ بان عنه الشبابُ وأودع لهيبَ وجد عندما ودّعوا
وخرجتها عامية: وأخرى مطلعها:
سُحّي أيا مقلتي وأنهلي بدمعك الواكف المنهمل

● ابن زمرك (أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد يوسف الصريحي: (22)

أشهر تلامذة لسان الدين بن الخطيب، وهو الذي تولي الوزارة على أثر فراره من غرناطة، وكان لابن زمرك دور كبير في المحنة التي تعرض لها أستاذه. ونجد لابن الخطيب مواقف متعارضة عنه، في الطور الأول كان يشيد بابن زمرك، ويقول فيه: «هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس، وأفراد نجبتها.. شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه.. وامتد في ميدان النظم والنثر باعه، فصدر عنه من المنظوم في امداحه قصائد بعيدة الشأن في مدى الإجادة» (23)

وفي الطور الثاني، بعد أن فسد ما بين الرجلين، نرى ابن الخطيب يقول عن ابن زمرك في «الكتيبة الكامنة»:

«هذا الرجيل والتصغير على أصله، وإن لم يعب السهم صغر نصله، مخلوق من مكيدة وحذر، ومفطور اللسان على هذيان وهذر.. وإن نفذ القدر والمكتوب فأنا المعتوب، إذ اصطفيته وروجته ولغيري ما أحوجته.. فهو اليوم لولا النشأة الشائنة والذمامة البائنة، صدر العصابة ونير تلك النصبية» (24) وعنى صاحب «النفح» و«الأزهار» بابن زمرك وشعره وموشحاته أيما اعتناء، ومن بين ما أورده له مخمسة في مدح ابن الأحمر عندما استرد ملك غرناطة:

أرقتُ لبرق مثل جفني ساهراً
ينظم من قَطر الغمام جواهرها
فيبسمُ ثغر الروض عنه أزاهراً
وصبح حكى وجه الخليفة باهراً

تجسم من نور الهدى وتجسدا

وتقع في سبعين دورا، وتحدث عنها جومث في ثانيا ما أورده عن موشحات ابن زمرك فقال: «هي خمس عشرة، واحدة منها طويلة جدا،

تتألف من سبعين دوراً، وكل دور يتألف من خمسة أبيات موشحية». وبعد أن عرض لشكلها انتهى إلى القول بأنها «ليست موشحة حقيقية والأدق أن يقال إنها قصيدة مسمطة»⁽²⁵⁾

والحق أن المقري احتفظ بخمس عشرة موشحة من موشحات ابن زمرك، ولكن ليس من بينها هذه الخمسة الطويلة التي أوردنا مطلعها، ولعل ما أوقع جومث في اللبس أن المقري أورد أربع عشرة موشحة متتابعة، وكان قد ذكر قبلها هذه الخمسة، أما الموشحة الخامسة عشرة فتأتي بعد ذلك بأكثر من عشرين صفحة، وبعد أن كان المقري. قد فرغ من الحديث عن ابن زمرك، ومضى في ترجمة تلميذ آخر من تلاميذ لسان الدين بن الخطيب هو أبو العباس السبتي، ثم رجع مرة أخرى إلى ترجمة ابن زمرك، وأنهى الكلام عنه بـ: «وقد أطلنا في ترجمة ابن زمرك، فلنختم نظامه بموشحة له زهرية مولدية تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي هذه:

لو ترجع الأيام بعد الذهاب
لم تقدح الأيام ذكرى حبيب
وكل من نام بليل الشباب
يوقظه الدهر بصبح المشيب»
الخ وذكرها كاملة.

وإذن فإننا-وبعد استبعاد هذه المطولة التي تحدثنا عنها-نملك خمس عشرة موشحة لابن زمرك، ذكرها كلها المقري (وتأتي سبع منها في «العدارى المائسات»)، ونمى على أنه انتقاها من كلام ابن الأحمر، وأول هذه الموشحات قيلت «في التشوق إلى غرناطة ومدح الغني بالله:

بالله ياقامة القضيبي
ومُخْجَلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرُ
مَنْ مَلَأَ الحَسْنَ فِي القُلُوبِ
وأيَّدَ اللِّحْظَ بِالحَوْرُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعُهُ رَقِيقًا
لَمْ يَدْر مَا لِنْدَةُ الصَّبَا
قَرُبًا حُرَّ غَدَا رَقِيقًا
تَمَلُّكُهُ نَفْحَةُ الصَّبَا

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

نشوانُ لم يشرب الرّحيقا
لكنْ إلى الحُسْنِ قد صَبَا
وتتضمن هذه الموشحة ثمانية أفعال (فهي أطول قليلا من المعتاد) ولا
تأتي الخرجة فيها مسبوقه بـ «قال، أو قلت، أو غنى أو غنيت، أو غنت» كما
اشترط ابن سناء الملك في مقدمة «دار الطراز» بل تختتم الموشحة بـ:

مولاي يا عاقدا البنود
تظلال الأوجه الصّباح
أوحشت يا نخبة الوجود
غرناطة هالة السّماح
سافرت باليُمن والسّعود
وعُدتْ بالفتح والنّجّاح
يا مُلهمّ القلب للغيوب
ومُطعم النّصر والظّفر
أسمعك الله عن قريب
على السّلامة من السّفر
أما الموشحة الثانية:

نسيّم غرناطة عالي
لكنه يبرئ العليل

فتساوى في طولها مع الموشحة السابقة، أما الخرجة فهي:
أنجزي وعديك القبول
فلم أقل مثل من يقول:
يا سرحة الحي يا مطول
شرح الذي بيننا يطول

وفيما يبدو أن الشطرتين الأخيرتين مطلع (أو ربما خرجة) موشحة
أندلسية، ارتكز عليها ابن زمرك في موشحته هذه، وفي صنيعه هذا لون
من الخروج على قواعد الخرجة فالمتفق عليه كما ذكرنا- أن الخرجة كلها
تكون مقول قول وليس قسماً منها كما هو الحال في هذا النص، على أنه
في الموشحة الثالثة:

نواسمُ البستانَ تثرُ سلكَ الزَّهرِ والطلُّ في الأغصانِ ينظمهُ بالجوهرِ
 راعى الأصولَ المتبعة في الخرجة (وان لم يلتزم بالطول التقليدي
 للموشحة) إذ أنه بناها على غرار موشحة ابن سهل «ليل الهوى يقظان»
 وجعل من مطلعها خرجة لموشحته.
 و يتوالى الخروج على تقاليد الموشحة في النص الرابع، وهو في
 الصبوحيات:

ريحانة الفجر قد أطلت
 خضراءً بالزهر تزهر
 وراية الصبح قد أطلت
 في مرقب الشمس تُنشر
 فالنص أطول من المعتاد، والخرجة في هذه المرة هي نفسها مطلع
 الموشحة، وهذا ما لم نره في موشحات السابقين.
 وليس في موشحة «قد طلعت راية الصباح» ما يستوقف النظر (باستثناء
 طولها المسرف) أما التي تليها: «في كؤوس الثغر من ذاك اللعس» فتأتي في
 ثمانية أفعال، وخرجتها مطلع موشحة أندلسية مهد لها في نهاية البيت
 الأخير:

أجملت من قال في الصبح الوسيم
 مُغْرَمًا صَبَا:
 «غرد الطيرُ فنبه من نعس»
 يا مديرا الراح
 «وتعري الفجر عن ثوب الغلس»
 وانجلى الإصباح»

وتتكرر في بقية موشحات ابن زمرك نفس الظواهر التي أشرنا إليها
 من قبل، وتتمثل في الطول غير العادي للموشحة، وفي مجيء الخرجة غير
 مسبوقه بما يدل على أنها قول أو أغنية مما يجيء على لسان العاشق أو
 محبوبته أو نحو ذلك، بل إن روح البساطة والحرارة والحدة اختفت من
 موشحات ابن زمرك، واختفت بطبيعة الحال كل السمات الخاصة بالخرجة
 التي كان الشرط فيها «أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل
 اللحن، حارة محرقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامة، ولغات الداصة..»

كما حدثنا ابن سناء الملك .

وربما كان أجود موشحات ابن زمرك موشحته النبوية:

لو ترجع الأيامُ بعدَ الذهابِ
لم تقدح الأيامُ ذكراً حبيباً
وكل من نام بليل الشبابِ
يوقظة الدهرُ أصبح المشيبُ
ففيها صدق وحرارة وتدفق ووثبات فكرية شجية:
يا راكب العجز ألا نهضه
قد ضيق الدهرُ عليك المجالُ
لا تحسبن أن الصبا روضةً
تنام فيها تحت فيء الظلالُ
فالعيشُ نومٌ والردى يقظةُ
والمرء ما بينهما كالخيالُ
والعمرُ قد مرَّ كمرِّ السحابِ
والمُلْتقى بالله عما قريبُ
وأنت مخدوعٌ بلمع السرابِ

وخلاصة القول أن موشحات ابن زمرك تعد مثالا واضحا للنماذج التي لم تلتزم بقواعد هذا الفن كما تمثلت عند مجموع موشحي الأندلس، وهذا الخروج عن المألوف سيزداد مع الأيام تنوعاً على أيدي المتأخرين، وهذا ما سنتناوله فيما بعد .

● ابن العربي العقيلي (أبو عبد الله محمد)⁽²⁶⁾، من شعراء القرن الثامن الهجري:

ذكره المقرئ في «أزهار الرياض»-نقلا عن الوادي آشي⁽²⁷⁾-فقال: «إمام الصناعة، وفارس حلبة القرطاس والبراعة، وواسطة عقد البلاغة والبراعة» ووصفه بأنه «شاعر العصر، ومالك زمامي النظم والنثر والفقيه العالم المتقن العارف الأوحى النبوي النبيل..» وأتى بنماذج من رسائله وشعره وموشحاته. فمن ذلك رسالة سماها بـ «الروض العاطر الأنفاس، في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس» كتبها على لسان الغنى بالله ملك غرناطة

بعد خلعه في التوسل إلى سلطان فاس، وهناك أبيات يصور فيها حصار
النصارى لغرناطة، ويضيف المقرئ:

«وله-رحمه الله تعالى-في الموشحات اليد الطولى، فمن ذلك قوله:>
بـb

الرفيع المستوى

لم تنزل في أمان

من كسوف البدر

وذكر له قطعة من موشحة أخرى أولها:

هل يصح الأمان

من شبيهه البدر

وهل مثل الزمان

منتهم البدر

وهاتان الموشحتان نسجتا على منوال «ضاحك عن جمان» للأعمى

التطيلي وفيما يبدو أن ابن العربي كان مولعا بهذه الموشحة، فقد عارضها

بموشحتين أخريين مطلع إحدهما:

بان لي ثم بان

ذا خدود حمر

ينثنى مثل بان

في ثياب خضر⁽²⁸⁾

ومطلع الثانية:

هل رآك ثمان

في سناه الدرّ

أو لحب أي ثمان

عن هواها الدرّ

وقد فضل المقرئ هذه المعارضات على صنيع ابن أرقم، الذي تقدم

ذكره.

● اللخمى الغرناطي (أحمد بن علي)، من شعراء النصف الثاني من

القرن التاسع الهجري:

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

له في «العدارى المائسات»⁽²⁹⁾ موشحة يسبقها: «قال.. على أثر قفوله من الحج عام 849» وأولها:

حِيَاكُ بِالْأَفْرَاحِ دَاعِي الصَّبَاحِ
قَمِ لاصططبا
فالنوم في شرع الهوى لا يُباح

والصبحُ قد جردَ منه حُسامُ
بباد البقة
تضحى وجوه الزهر منه وسامُ
ذات ابنت
وحامُ جنح الليل قد عاد سامُ
مما يُسامُ
وخافقُ البرقُ بدا بالنَياحِ
سامي الأيواحِ
وأدمعُ المزن به في انسياحِ
وتتضمن ثمانية أفعال، وبها مقطع مدحي (في ابن البازي القاضي) وآخرها:

وهاكها مولاي ذات اعتقال
كمما يُقال
ترجوندى يقضى بحل العقال
للانتيقال
وها أنا عارضتُ فيها مقال
من كان قال:
بنفسج الليل تذكى وفاح
فوق البطح
أظنه يسقى بماء وراح
والخرجة مطلع موشحة أندلسية ذكرها المقري⁽³⁰⁾، وعلى نفس النسق موشحة للسان الدين ابن الخطيب مطلعها:

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

كما خانَ صبري يومَ أصبحَ (وأصلى
لظى) زاد ماءً (من جفونى) وقده
وهي طويلة، وذكرها المقرئ بتمامها (ولا نرى كبير غناء فيها)، استخلص
منها قصيدة أولى أولها:

(تنائر الدمع) من جفوني
كالدّر) من سلكه الثّمين
(مُد أعوز الوصل) والتلاقي
(من بدر) حُسن بلاقرين
(عَلقتُ في الحُب) ظبي إنس
(جمالة) مرتع العُيون

حتى إذا أتمها استخلص منها موشحة أولها:
تنائر الدمع كالدر
مد أعوز الوصل من بدر
علقتُ في الحُب جمالة
واستخلص قصيدة ثانية أنتجت بدورها «موشحة» أولها:
ما كنتُ لو أنصف
أصلى لظى الوجد المقيم
كالقمر الزاهي
عليه كالليل البهيم
ولم يكتف المقرئ بهذا القدر، بل قدم منها «موشحة» أخرى مختصرة!

● ابن سعيد الفاسى، المتوفى بعد السبعين وثمانمائة:
جاءت له في «المنتقى المقصور»⁽³⁴⁾ موشحة مطلعها:
يا عُريبَ الحَيِّ من حي الحمى
أنتمُ عيادي وأنتمُ عُرسي
لم يحل عنكم ودادي بعدما
حُلْتُمُ لا وحياة الأنفس
والموشحة نفسها ترد في «النفح»⁽³⁵⁾ على أنها «لبعض متأخري المغاربة»،
وترد في بعض المجاميع منسوبة لفخر الدين المكناسي.

وغني عن الذكر أن الموشحة ألفت على نمط «هل درى ظبي الحمى»
 لابن سهل، وجادك الغيث للسان الدين بن الخطيب.
 والموشحة تتعرض في شطرها الأول لموضوع الحب، على نحو شفيف
 عذري بعيد كل البعد عن المشاعر الحارة المتوهجة التي ألفتها في أعمال
 الوشاحين القدامى، ذلك لأن صاحبها إنما تذرع بموضوع الحب لكي ينتقل-
 في الشطر الثاني من الموشحة- للمديح النبوي:

هَمَّتْ فِي أَطْلَالِ لَيْلَى وَأَنَا
 لَيْسَ فِي الْأَطْلَالِ لِي مِنْ أَرْبِ
 مَا مُرَادِي رَامَةٌ وَالْمُنْحَنَى
 لَا وَلَا لَيْلَى وَسُعدَى مَطْلَبِي
 إِنَّمَا سؤُولِي وَقَصْدِي وَالْمَنَى
 سَيِّدُ الْعُجْمِ وَتَجَاؤُ الْعَرَبِ

ولا تنتهي بخرجة واضحة المعالم، كما هو الحال في سائر الموشحات
 الأندلسية المعزوفة، والنص لا يتألف إلا من خمسة أقفال، فهل هذا دليل
 على أنه مبتور؟

● الخلوف (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن) المتوفى سنة
 899 هـ⁽³⁶⁾؛

شاعر تونسي، له مؤلفات في النحو، وكان من مداح عثمان الحفصي
 (آخر ملوك الدولة الحفصية) وهناك موشحة أولها:

قَابِلَ الصَّبْحِ الدَّجَى فَا نَهَزَمَا
 وَمَحَا بِالسَّيْفِ أَفْقَ الْعَلَسِ
 وَجَلَا الْغَيْمُ بِبَرْقِ رَقْمَا
 ثَوْبَ دَيْبَاجٍ بِهِ الْجَوْكُوسِي

جاءت في «الدراري السبع»⁽³⁷⁾ منسوبة لـ «ابن خلوف المغربي»، كما
 جاءت في «الكواكب السبعة»⁽³⁸⁾ على أنها للخلوفي، ونرجح أن المقصود في
 كلتا الحالتين هو الخلوف الذي ذكرناه.

وله في «المجموعة النبهانية» موشحة أولها:

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

مَا جَرَدَ عَنْ مَعَاطِفِ الْأَغْصَانِ
ثَوْبَ الْوَرَقِ
إِلَّا وَبِكَتْ بِدَمْعِهَا الْهَتَّانِ
عَيْنُ الْأَفْقِ

بعض وشاحي المغرب في العصور المتأخرة

● المنصور السعدي (أحمد بن محمد الشيخ المهدي بن القائم بأمر الله) المتوفي سنة 1012 هـ. رابع سلاطين الدولة السعدية بالمغرب الأقصى. تولى الأمر سنة 986 هـ، وعرف بعدله وطموحه وتفتح ذهنه، وأجمع المؤرخون على أنه كان «محباً للعلم، كتب إلى بعض علماء مصر يستجيزهم فأجازوه، ورسائله إلى الجهات، خصوصاً ما كان منها في أخبار الفتح، تدل على ممارسة للأدب وعلم ومعرفة»⁽¹⁾.

وفي «نفع الطيب» من موشحات السلطان المنصور:

رِيَانُ مِنْ مَاءِ الصَّبَا
أهيف وممتلئ البرود
كالغصن هزته الصبا
فوق رُيا الشهب
قد قلت لما أن سبى
بحسنه يسبي
من عينه سلَّ ظباً
وغمدها قلبي

أسرني ماضي الشبا
 وأوظف مرنح القعد (2)
 ولا ترد تامة، وذكر له قسماً كبيراً من موشحة أخرى يعارض فيها لسان
 الدين، وابن الصابوني:

وليالي الشّعور إذ تسرى
 ما لنهر النهار من فجر
 حبذا الليل طال لي وحدي
 لو تراني جعلته بُردِي
 فاطمياً في خلعة الجعدي
 هي ليلى أخت بني بشر
 فأين أنت يا أبا بدر
 وتنتهي ب:-

وهلال في حُسْنِه اكتملا
 هو شمس وأضاعي الحملا
 قام يشدو وينثني في ملا
 قسماً بالهوى لذي حجر
 ما لليل المشوق من فجر (3)

وهذه الخرجة مستعارة من مطلع موشحة لابن الصابوني، ونسج ابن
 الخطيب على منوالها. وللمنصور السعدي موشحة ثالثة على وزن «هل
 درى» لابن سهل و «جادك الغيث» لابن الخطيب:

عطر الأرجاء لنا نسماً
 شمال الصهباء عند العلس
 وأتت شمس الضحى تنسخ ما
 يقرأ الليل لنا من عبس (4)

● الفشتالي (أبو فارس، عبد العزيز بن محمد) المتوفي سنة 1031 هـ⁽⁵⁾:
 وزير المنصور السعدي، الذي تقدم ذكره، أورد له المقري في النسخ كثيراً
 من شعره، وقال أنه تناول أخباره في كتابه «بعض الآس، العاطر الأنفاس،
 في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس»، ووصفه بأنه «كان أوحده عصره،

بعض وشاحي المغرب في العصور المتأخرة

حتى أن سلطان المغرب كان يقول: إن الفشتالي نفتخر به على ملوك الأرض، ونباري به لسان الدين بن الخطيب⁽⁶⁾.

و يذكر المقرري في موضع آخر⁽⁷⁾ أن لسان الدين بن الخطيب ألف «كتابه المسمى بجيش التوشيح، وأتى فيه بالغرائب، وذيل عليه صاحبنا وزير القلم بالمغرب، العلم الشهير المنفرد في عصره بجيازة قصب السبق في البلاغة، سيدي عبد العزيز بن محمد الفشتالي-رحمه الله تعالى-بكتاب سماه «مدد الجيش»..، وأتى فيه بكثير من موشحات أهل عصرنا من المغاربة، وضمنه من كلام أمير المؤمنين مولانا المنصور أبي العباس أحمد الشريف الحسني-رحمة الله تعالى ورضوانه عليه-ما زاده زينا، وأخبرني.. أنه ذكر فيه لأهل العصر في أمير المؤمنين ولأمير المؤمنين المذكور أزيد من ثلاثمائة موشح».

وقد ضاع «مدد الجيش»، ولم تصل منه إلا نصوص مبعثرة في «النفح» وغيره، وهناك في خزانة المكتبة الناصرية بمدينة سلا-أوراق يظن أنها من «مداد الجيش»، جاء فيها من نظم الفشتالي نفسه موشحة أولها:

سَبَّحَ اللهُمَّ حَيْثُ مَا حَلَا
بِالْحَطَّاءِ يَنْتَبِخُ
فَارْتَشَفُ مِنْ حَبَابِهَا دُرًّا
فِيهِ ه.. سَسْدُخُ
قَهْوَةٌ زَفَهَا الْهُوَى بِكُرًّا
دَائِمًا خَدْرُهُهَا
سَبَّكَتْ فِي أَكْوَابِهَا تَبْرًا
نَارُهَا نَوْرُهُهَا
وَجَرَّتْ قَوَارِيرُهَا تَثْرَى
بِرَزْزِ شَقَّةِ رُهَا
عَدَّ عَنْ قَوْلِ مَنْ لَحِيَ جَهْلًا
دَائِمًا يَصْرُخُ
وَاجِرْ لِي مِنْ سُلَافِهَا بَحْرًا
مَمَالِكُهُ بِرُزْخُ

والنص الذي بين أيدينا يتركب من أربعة أفعال فهو-فيما نرجح-غير

كامل، وتدور الموشحة حول المديح، وخرجتها:

بِكْ غَنَى مَنْ أَنْشَدَ الرَّمْلَا
فِي الذَّهَبِ يَنْفُخُ
سَاعِدَ اللَّهِ خَالِيضَةً بَرًّا
وَالظَّفْرُ لَوَائِحُ (8)

● العقاد:

ينسب له نص أوله:

لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تُرَى أَرْوِي الظُّمَأ
مَنْ ظَمَى ذَاكَ التُّغَيْرَ الأُلْعَسِ
وَتُرَى عَيْنَايَ رِيَاتِ الحَمَى
زَاهِيَاتِ بِالقَدُودِ المِيِّسِ

وقد ذكر المقري أنها من «قول أحد الوافدين من أهل مكة، على عتبة السلطان مولانا المنصور، وهو رجل يقال له أبو الفضل بن محمد العقاد، وقد عارض بها موشحتي لسان الدين وابن سهل السابقتين» (9). شاعرنا إذن مكّي مشرقي، ولكننا نذكره هنا لنزيل اللبس الذي وقعت فيه بعض المراجع، فمن ذلك مجموعة «الدراري السبع» (10) وتسميه بـ «أحمد العقاد الأشبيلي» ومجموعة «الكواكب السبعة السيارة» (11) وتسميه بـ «محمد بن العقاد الأندلسي الشهير بأبي العباس الأشبيلي» وفي «المجموعة النبهانية» (12) أن هذه الموشحة لمحمد بن العقاد «الشهير بأبي القاسم الأندلسي».

● أبو القاسم بن محمد (الغساني، الشهير بالوزير):

من الشعراء الذين مدحوا الملك المنصور السعدي. أورد له المقري في «روضة الآس» (13) قطعة من موشحة أولها:

سَقَنِيهَا مَسْكِيَةَ النَّشْرِ
فَاقْعِيَةَ اللُّونِ كَالتَّبْرِ
مَنْ كَوَّسَ رَحِيقَهَا مَخْتُومُ
بِشَامِ طَرَارِهَا مَرْقُومُ

تحت عقْد حَبابها منظوم
وغزال جماله معلوم
مائد القد ناحل الخصر
ساحر الطرف بارق الثغر
وله موشحة أخرى مدح بها المنصور-جاءت في أوراق يعتقد أنها من
«مدد الجيش».

● ابن إبراهيم الفاسي (محمد، الملقب ببديع الزمان):
من مداح الملك المنصور، وله في الأوراق التي يرجح أنها من «مدد
الجيش» موشحة أولها:

بارق الثغر للاح عن دُر
من خلال العقيق
وعذيب الريق غدا يجري
مثل كأس الرحيق⁽¹⁴⁾

ولاشك أن القارئ لاحظ أن الوشاحين المذكورين في الصفحات الأخيرة
السابقة لا ينتمون إلى الأندلس، إذ أن غرناطة-آخر المدن الأندلسية التي
كانت بأيدي المسلمين-سقطت سنة 898 هـ، وهؤلاء الوشاحون هم-بطبيعة
الحال-من شعراء المغرب لا الأندلس، على أن القدامى ما كانوا يفصلون بين
الأندلس والمغرب، هو تقليد سرنا عليه هنا.

ومن البديهي أن هناك عدداً جماً من وشاحي العصور المتأخرة، وقد
آثرنا أن نكتفي بذكر قدر محدود منهم، ومن حسن الحظ أن هناك دراسات
تناولت موشحات هذه الحقبة في كثير من التفصيل، ومن أهم هذه الدراسات
مجموعة د. عباس الجراري «موشحات مغربية»، وهو عمل بالغ الإتقان،
يتضمن إلى جانب النصوص التي حققها-تحليلاً تاريخياً دقيقاً لفن التوشيح
بعامة، وللموشح في المغرب الأقصى بخاصة.

وهناك أيضاً سفر هام يحمل عنوان «الأغاني التونسية» وضعه الصادق
الرزقي وضمنه العديد من النصوص النادرة التي تعكس ما طرأ على فن
التوشيح الأندلسي من تطورات، كما تبين الجوانب التي استمرت فيها
التقاليد القديمة للموشحة الأندلسية.

ونشير-في إيجاز-لبعض هؤلاء الوشاحين المتأخرين، وللخصائص العامة لأعمالهم، فنذكر منهم-على سبيل المثال-ابن زاكور (محمد بن القاسم) المتوفى سنة 1120 هـ⁽¹⁵⁾، وكان شاعر مدينة فاس في عصره، وله ديوان يحمل عنوان «الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض» (نشرت مختارات منه بعنوان: المنتخب من شعر ابن زاكور)، ومن موشحاته يبدأ نص بـ:

أدر الكاسات من خمر اللّغس يا لها من راح تحكي الجُّلنارَ
واسقنيها خمرةً تجلو النفسُ علني أرتاح من حرّ الأوار⁽¹⁶⁾
وله موشحة طويلة قالها بمناسبة المولد النبوي، أولها:

يا ليليلة الميلاذ
ما كان أحلى سَمَرَكَ
شَفِيَّتْ ذَا أَنْكَادُ
باتَ يَشِيْمُ غُرْرُكَ
فاللله بالاسعاد
بين الليالي نَصْرُكَ

ومن هؤلاء الوشاحين المتأخرين محمد بو جندار، وله موشحة طويلة أولها:

عنبُ الليل وكافورُ الصّباح
بهما طاب اغتباقُ واصطباح⁽¹⁷⁾
قم بنا فالوقتُ وقتُ الطرب
والى الحانات باكرُ واخطب
بنت دنّ من عصير العنب
ما على صبّ تعاطها جُنّاخ
إن الصبا والليل مُسودّ الجنّاخ

ولا يلبث أن يتغزل في الساقى، و يصف لوعة الحب التي حلت به، والداء الذي لا شفاء له منه غير... مدح المصطفى، حتى إذا ما استوفى من المديح النبوي غايته انثنى إلى مدح أحد أبناء الأسرة العلوية الحسنية، وأنهى موشحته بـ:

وسلامٌ ترتضيه مُستدام
طاب من طيبك يا مسك الختام

فأرضه منّي يا بدر التّمَام
ما حلّ لي مدحك العذبُ وفاحُ
عنبرُ الليل وكافور الصّباح
وهذه الموشحة على نسق:

فيك المسكُ بكافور الصّباح
ووشتُ بالروض أعراف الرّيح
التي يظن أنها من موشحات ابن زهر⁽¹⁸⁾، لكنها أكثر تأثراً بموشحة
لتقي الدين السروجي (المتوفي سنة 693 هـ، وهو من الوشاحين المشاركة):
عنبرُ الليل وكافور الصّباح
شعره والفرقُ سلطان الملاح⁽¹⁹⁾
فقد استعار منها قسماً كرره في المطلع والختام (وهو أمر لا نظير له
في تواشيع القدامى).

ومن الموشحات الأخرى، من نظم حمدون بن الحاج:
إن جُنن لي ليل داغ
وخانني الإصباح
فأحمد الوهّاج
يُغني عن المصباح
وغني عن القول أنه أخذ المطلع من قول أبي حيان الذي سقناه قبلاً:
إن كان لي ليل داغ
وخاننا الإصباح
فنورها الوهّاج
يُغني عن المصباح⁽²⁰⁾

لكن الوشاح المغربي أدار النص كله حول التوسل والمديح النبوي.
ولأبي محمد حمودة بن عبد العزيز نص يذكر، من بعض الوجوه، بصنيع
ابن عاصم الغرناطي في موشحته المتكلفة التي عرضنا لها قبلاً. وقد
وصف جامع «الأغاني التونسية» موشح ابن عبد العزيز بأنه «غريب التنضيد
والتركيب والتسويق والترتيب، فتحذف الكلمات الأولى من مصراعي أبياته
و يبقى الموشح صحيح المعنى والمبنى، ويتجمع من الكلم المحذوفة من كل
بيت بيت، ثم إذا اقتصر على الحذف من الأشطار الأول صح، أو أبقيت

وحذفت أولى الأشرطة الثانية صح كذلك، أو أبقيت أول الثانية وحذفت ما بعدها صح أيضاً، إلى غير ذلك من الأوجه». وأول الموشحة:

ح ح ر أ ل ه ه و ي
 ب ف و ا د ي ج ن و ة ا ل ق ب س
 ل ا ي ن ن ط ف ي
 م ن ف ت و ر الأ ع ي ن الن ع س
 ق ل ا ب ب ي ك و ي
 م ن ب د ا ف ا ل ق ل ب أ ح ر ق ه
 ت ل ا ه ه ف ي
 و ج ف و ن ي م ن ه ف ي ع ر س (21)

وليس لمثل هذه الألاعب من قيمة فنية تستحق الذكر، ولكنها تفسح عن بعض الزوايا التي اتجهت لها موشحات المتأخرين من الشعراء. ولا بن عبد العزيز هذا موشحات أخرى لا تتكئ على مثل هذا العبث، منها ما قاله في مدح شيخه أبي عبد الله الغرياني من علماء القيروان:

إ ن ظ ب ي ا ح و ل ك ث ب ا ن ا ل ح م ي
 ب ا ت ي ر ع ي ز ه ر ا ت الأ ن ف س
 ف ه و م ن ل ا ح س ن ن ا ه أ ض ر م ا
 ب ف و ا د ي ج ن و ة ا ل م ق ت ب س (22)

وهذه الموشحة، كما هو بَيِّن، على غرار قول ابن سهل «هل درى ذي الحمى» وموشحة لسان الدين بن الخطيب «جاذك الغيث».

ولمصطفى بن الإمام محمد بيرم الحنفي موشحة أولها:

ي ي ا س س ا ل س ب الأ ر و ا ح
 م ه م ا أ ن ث ن ي ا ل ق د
 و م خ ج ل الأ ن ب ا ب
 ب م ا ح و ي الخ د (23)

بناها على غرار ابن سهل:

ب م ه ج ت ي ت ي ن ا ه
 أ ح و ي أ ح م (24)

تَسْأَقْنِي عَيْنَاهُ

ك_____ؤوسَ س_____م

وبلغت النظر في أعمال متأخري الوشاحين كثرة معارضاتهم لـ «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل، و «جادك الغيث إذا الغيث همي» لابن الخطيب، فمن ذلك أكثر من موشحة لأبي التشاء محمود قابادو، منها قوله:

صَاحَ هَا شَمَلُ السَّرُورِ انْتِظَمَا

وَاعْتَنَمْنَا فُرْصَةَ الْمُخْتَلَسِ

وَتَنَاوَلْنَا مَصَابِيحَ السَّمَاءِ

فَأَدْرُنَاهَا مَكَانَ الْأَكْؤُسِ

وَتَلَاقَتْنَا تَبَاشِيرَ الرَّيِّعِ

بِهَدَايَاهَا عَلَى هَامِ الرَّيِّ

وَأَتَانَا الدَّهْرَ مِنْهَا بِشَفِيعِ

فَغَضْرُنَا لَهُ مَا قَدْ أَدْتَبَا

وَحَلَلْنَا فِي حَمَى حِصْنِ مَنِيعِ

وَأَمَانَ مِنْ عَيُونِ الرَّقْبَا (25)

وأخرى مطلعها:

هَاجَ أَجْضَانِي وَقَلْبِي الْمُغْرَمَا

بَارِقُ أَنْسَتَهُ مِنْ تَوْنَسِ

وِيحَهُ لَوْلَمْ يَلْحُ مَا عُلِمَا

مَا أُوَارِي مِنْ أُوَارِي المَوْجِسِ (26)

والموشحاتان تختمان بمطلع موشحة ابن سهل، وتختلفان في أنهما طويلتان طولاً مسرفاً، وصل فيه عدد الأقفال في الموشحة إلى نحو عشرين قفلاً. وشاع لون عرف باسم «المألوف» ويسمى في بعض أرجاء المغرب باسم «الغرناطي» وهو بحسب تعريف الصادق الرزقي:-

«أشعار غنائية، انتخب من قصائد وموشحات وأزجال شتى من كلام الأندلسيين وأهل المغرب وبعض التونسيين، قد رصفت ونضدت بصفة تميل إليها الخواطر، وتستحسنها الأذواق (27)»، وقد استعرضنا عدداً منها فوجدنا فيها، إلى جانب مقتطفات من أعمال أهل الأندلس والمغرب، استشهادات من نتاج الشعراء والوشاحين المشاركة، ففي «المألوف» الذي

أوله:

لَكَ الدَّلَالُ وَأَنْتَ بَدْرٌ كَامِلٌ
 ويحق للمحبوب أن يتدَلَّلَا (28)
 مقطوع مستقل من موشحة لصفى الدين الحلي:
 شقَّ جيبُ الليل عن نحيير الصَّبَّاحِ
 أَيُّهَا السَّاقُونَ (29)
 وفي نص آخر أوله:

صَادَ القَالِبُ بِمَقَالَةٍ وَسُنَاءِ
 وَسَبَى العُقُولَ بِطَاعَةِ وَسَنَاءِ (30)
 ورد مطلع موشحة لتقى الدين السروجي:
 بِالرَّوْحِ أَفْدِيكَ يَا حَبِيبِي
 إِنْ كُنْتُ تَرْضَى بِهَا فِدَاكَ (31)
 وفي نفس النص بيتان من شعر بهاء الدين زهير:
 يِعَاهِدُنِي لَا خَانَنِي ثُمَّ يَنْكُثُ
 وَأَحْلَفُ لَا كَلِمَتُهُ ثُمَّ أَحْنَتْ
 وَذَلِكَ دَأْبِي لَا يَزَالُ وَدَأْبُهُ
 فِيمَا مَعَشَرَ العُدَّالِ عَنَا تَحَدَّثُوا

وليس «المألوف»-في نهاية المطاف-من الموشحات، وإن كانت أجزاء منها تدخل في تركيبه، وهو يرتبط ارتباطاً أساسياً بالغناء والموسيقى، وأما معنى لفظة المألوف فإن ظاهرها يدل على أنها تعني «المألوف»، والذي نرجحه نحن أن أصلها «المؤلف»-بفتحة اللام المشددة-لأن نص «المألوف»-كما عرفنا-يؤلف من أشتات مختلفة تتضمن الموشح والزجل وكذلك الشعر (القريض).

موشحون تعذر تحديد العصر الذي عاشوا فيه

* إسماعيل اليهودي:

انظر: قسّمونة.

* قسّمونة اليهودية:

لا نعرف شيئاً عنها ولا عن عصرها، وجاء عنها في «النفح:
«وكان بالأندلس شاعرة من اليهود، يقال لها
قسّمونة بنت إسماعيل المجودي، وكان أبوها شاعراً،
واعتنى بتأديبها، وربما صنع من الموشحة قسماً
فأتمتها هي بقسم آخر» وأورد أن أبها امتحنها
يوماً في الارتجال، فلما أظهرت براعة: «قام
كالختيل وضمها إليه، وجعل يقبل رأسها ويقول:
أنت والعشر كلمات أشعر مني»⁽¹⁾.

● ابن أبي الرجال:

من الوشاحين الذين ذكرهم الصفدي في
«التوشيح»، ورجح محقق الكتاب أن يكون «الذي
قال عنه ابن الأبار: نكبه المعز بن باديس الصنهاجي،
وكان هو وأهل بيته برامكة أفريقية»⁽²⁾.

● ابن ملوك (أبو بكر):

عده صاحب «التوشيع» من بين مشاهير وشاحي الأندلس (3)

● تلل الغد (٩) (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن معبد القرشي)

من الوشاحين الذين ذكرهم الصفي في «التوشيع» (4)

● الفليشي (أبو عمران، موسى بن محمد بن بهيج، الكفيف):

جاء عنه في «معجم السفر» للسلفي (المتوفى سنة 576 هـ) (5):

«حدثني أبو عبد الله بن محمد بن ملوك (هل هو أبو بكر بن ملوك المذكور قبلاً؟) الترخي الفليشي بالإسكندرية، بعد رجوعه من مكة، وفليش قرية من قرى لرقبة بشرق الأندلس قال: غاب أبو عمران الفليشي موسى بن محمد بن بهيج الكفيف المرابي مدة بالمشرق، فعمل بمصر موشحاً أوله:

يَا مُنْجَمِينَا
هَلْ لَلْغَرِيبِ سَبِيلُ
نَحْوَالظَّاعِنِينَا
فَالْقَابُ مِنْهُ عَلِيلُ
لَا يَأْفَى مُعِينَا
إِلَّا دَمُوعَاتُ سَيْلُ
وَيُجْرِيهَا هَتْوْنَا
مَنْ جَفَنَهُ وَيُدِيلُ

● ابن جودي:

تضم مخطوطة «الكواكب السبعة السيارة» موشحة أولها:

لَا تَلْمَنِي يَا عَذُولِي تَأْتِمَا
مَا تَرَى جَسْمِي بِسَقْمٍ قَدْ كُوسَى
مِثْلَ مَا شَرَحَ غَرَامِي عَلَمَا
حَيْثُ أَشْكُو وَحِشَّةً مِنْ مَوْئَسِي
وَأَخْرَاهَا:

فَتَنَزَّهُ فِي رِيَاضِ خُضْرُ
وَعَصُورٍ غَرَدَتْ فِيهَا هَرَارُ

موشحون تعذر تحديد العصر الذي عاشوا فيه

وانتشق عرف زهور عطر
ياسمين زينته الجانار
وشذا الزهر كمسك أذفر
وأقبل العنبر لابن البيزدار
طامع في رحمة الله وما
خاب عبد طامع لم يياس
يا إلهي جد علينا كرماً
يا كريم أقبل أخذ الأنفُس (6)

ونسبت هذه الموشحة لأبي الحسن بن جودي، ويرد النص نفسه في مجموعة «الدراري السبع»⁽⁷⁾ منسوباً لـ «علي بن الحوري الأندلسي» وفي اسم «الحوري» ما يوحي بأنه محرف عن «الجودي».

والحق أن الأندلس عرفت أديباً اسمه أبو الحسن علي بن جودي، ذكره المقرئ في «النفح» وقال إنه برز في الفهم، وأحرز منه أوفر سهم، وعانى العلوم بقريحة ذكية.. وله أدب واسع مدام،.. ونظم أرق من دمع العاني⁽⁸⁾ وأورد له نماذج كثيرة تتسم بصدق الشاعرية والعدوية، منها تخميس قال إنه «مطروق بالمغرب عند أهل التلاحين وغيرهم»، كما ذكر له أخباراً مع الفيلسوف ابن باجه⁽⁹⁾ (المتوفي سنة 533 هـ).

وتجئ ترجمة ابن جودي في «النفح» وسط خضم من الاستطرادات، فقد ذكر له شعراً مما جاء في «المطمح» لابن خاقان، ثم ذكر خطبة كتاب «المطمح» وأورد بعد ذلك موشحة «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل، تتلوها معارضة «بعض متأخري المغاربة»، لموشحة ابن سهل، وجاء بعد ذلك: «وقال في مباراة هذه الموشحات السابقة» ثم أورد النص الذي ذكرنا أوله وخاتمته، فهل تعني: «وقال..» رجعة إلى ابن جودي أم لا؟

إننا نرجح أن صاحب «الكواكب السبعة» اطلع على ما في «النفح»، واعتبر أن النص المذكور لأبي الحسن علي بن جودي، ولا نوافقه على هذا الرأي، وعندنا أن هذه الموشحة أقرب إلى أن تكون من نظم بعض متأخري الوشاحين المغاربة، وبحسبك أن تتظر لمثل قوله «مثل ما شرح غرامي علماً» أو «وانتشق عرف زهور عطر» لتستدل على صحة ما نقول.

ومن جانب آخر فإن هذه الموشحة لو كانت لابن الجودي (المتوفي في

القرن السادس الهجري) لما صح أنها معارضة لموشحة ابن سهل «هل درى» وابن سهل-كما هو معروف من أدباء القرن السابع الهجري، ولوجب القول بأن ابن سهل (ومن عارض موشحته «هل درى» مثل لسان الدين بن الخطيب) هو الذي عارض ابن الجودي، وهذا ما لم يقل به أحد.

● ابن عيسى الأشبيلي:

شخصية مجهولة، لم نجد لها ترجمة، وأورد له ابن سعيد في «المغرب» موشحة جميلة مطلعها:

عـرفُ الـرُوضِ فـاح
والطـيرُ قـد غـنـى
والصـبـحُ أضـا
فـبـا كـر الـدـتـا⁽¹⁰⁾

ونستبعد أن يكون ابن عيسى هذا هو أبو بكر محمد بن عيسى المشهور بابن اللبانة-وقد سبق الحديث عنه-لأن ابن اللبانة و على الرغم من أنه أقام في اشبيلية طويلاً (في كنف المعتمد بن عباد) إلا أنه لا ينسب في العادة لها بل إلى دانية.

● ابن البنا التلمساني:

جاءت في «الغذاري المائسات» موشحة مطلعها:

مَنْ أطلع فوق مائس الريحان
بـدر الأفضـق
يـهـتـز مـنـعـمـاً عـلى كـثـبان
تـحـت الـغـسـق

نسبت «للفقيه الأديب أبي عبد الله محمد بن البنا، كاتب شاعر متخلق ظريف، من أهل تلمسان»⁽¹¹⁾، فهل المعنى هنا «أبو عبد الله بن العباس التلمساني» من علماء القرن الثامن الهجري، وقد ذكره المقري في «نفع الطيب» وقال: «إنه كان رجلاً صالحاً»⁽¹²⁾؛ لسنا على ثقة من ذلك، لأننا لم نجد له ما يدل على أنه كان شاعراً.

وخرجة الموشحة:

لعل الموشحات أهم الأشكال التي تفتقت عنها القريحة العربية، في سعيها الحثيث نحو الابتكار والتجديد فقد ظهرت قبلها وواكبتها ألوان أخرى متنوعة، بالفصحى وبالعامية، مثل المسمطات والدوبيت... الخ، ولكن كثيراً منها انطوت صفحته منذ أمد بعيد، أو عاش مغمور الشأن ضئيل الأثر، أما الموشحات فإنها ازدادت مع الأيام رونقاً، وشمل تأثيرها العالم العربي كله، بل والأكثر من هذا أنها تعدت نطاق العالم العربي، وظهرت على غرارها موشحات بالعبرية، فضلاً عن أن جمهرة من علماء الغرب تذهب إلى أن الموشحات (والأزجال) تمثل الركيزة التي بنيت على أساسها أغاني التروبادور، إلى غير ذلك من قضايا تتجاوز نطاق هذه الكلمة. والموشحات-في واقع الأمر-فن أندلسي خالص، بمعنى أنه لم يعرف في صورته الناضجة المكتملة إلا على أرض الأندلس، وليس في هذا الرأي ما يتعارض والقول بأن هناك أعمالاً ظهرت بالمشرق، يعدونها بمثابة الإرهاب أو التمهيد لظهور هذا اللون الجديد، الذي بزغت شمسها في أخريات القرن الثالث الهجري، على يد شعراء مثل محمد بن محمود (أو حمود) القبيري، ومثل مقدم بن معافي، الذي ينتسب بدوره إلى قبيلة، إحدى القرى الواقعة قرب قرطبة.

و يضم كتاب «الذخيرة» لابن بسام أقدم إشارة

وصلت إلينا عن طور نشأة هذا الفن:

«وأول من صنع هذه الموشحات بأفقتنا واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد بن محمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار من الأشعار، غير أن أعثرها على الأعراب المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي أو العجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان». وهذه الفقرة غاصة بالمصطلحات غير محددة الدلالة، وفيها إشارة عابرة إلى أوزان الموشحات الأولى وما كانت عليه من ارتكاز على مقطع عامي-شعبي؟ أو أعجمي (بالرومانث، لغة الأسبان الأصليين)، وبها تلميح إلى شكل لا «تضمين» فيه ولا «أغصان، الصورة كلها تتسم بالغموض، ومع ذلك فإنها تترك في النفس انطباعاً ما بأن شكل الموشحة القديم كان شديد البساطة، ليس فيه هذا الإكثار من الأجزاء في الأقفال والأبيات، الذي يلحظ في كثير من النصوص التي ألفت في فترات لاحقة، وبمعنى آخر إن صورة الموشحات في مرحلة تكوينها كانت أقرب إلى طبيعة الأغنية الشعبية من حيث بنائها على «الأعراب المهملة غير المستعملة»، وارتكازها على «اللفظ العامي أو العجمي»، ولا خلاف على أن المقصود بكلمة «اللفظ» هنا ذلك المقطع الختامي، الذي تصل فيه الموشحة إلى ذروة توهجها، وهو ما أطلقت عليه تسمية الخرجة.

ويتلاقى هذا الفهم مع قول ابن سناء الملك:

«والخرجة هي ابزار المرشح وملحه، وسكره ومسكه وعنبره، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها، ويعملها من ينظم الموشح في الأول، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية».

ثم يجيء فريق من الشعراء مجددون في هيكل الموشحة، منهم يوسف بن هارون الرمادي، الذي يذكر ابن بسام أنه «أول من أكثر فيها من التضمين في المراكز»، ومنهم عبادة بن ماء السماء الذي «أحدث التفسير»-؟- ذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز».

وتكون النقلة التالية إلى عبارة شهيرة لابن خلدون تقول:

«وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم، وكذبت مناخيه وفنونه

وبلغ التتميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح، ينظمونه أسماطاً أسماطاً وأغصاناً وأغصاناً، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة، فيسمون المتعدد منها بيناً واحداً، و يلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها، متتالياً فيها بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان، عددها بحسب الأغراض والمذاهب».

وعند هذا الحد تكون قد تجمعت بين يدي القارئ معظم الخيوط المتصلة بهيكل الموشحة ومصطلحاتها، ولكن تبغي ملاحظة ما تتميز به الموشحات من مرونة، كذلك فإن المصطلحات التي تتردد (التضفير، التصغير، التضمين- هل تجني كلها معنى واحداً؟- الأغصان، الأسماط) مجال لاختلاف وجهات النظر إلى حد بعيد، يضاف إلى هذا ما يظهر في حقب لاحقة من مصطلحات جديدة مثل «الدور» وقدر موفور من التعبيرات المستمدة من الاصطلاحات-الموسيقية، بحكم الصلة الوثيقة بين الموشحات والغناء، ولا يبقى إلا الإشارة لاستقرار دلالات «القفل» و«الخرجة»، فقد أفلتا-أو كادا- من دوامه الجدل والخلاف.

ولا تثير مسألة الموضوعات التي تعالجها الموشحات كثير الجدل، وقد حسم ابن سناء الملك القضية عندما قال إنه «يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرتاء والهجو والمجون والزهد، وما كان فيها في الزهد يقال له المكفر» وساق ابن خلدون رأياً مشابهاً: «وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد» ولكن هذه الأقوال لا تبين طبيعة التطور الذي طرأ على الموضوعات، كما أنها لا تحدد مدى مناسبة هذه الموضوعات لطبيعة الموشحات.

والتصور الطبيعي أن الموشحات بدأت أول ما بدأت بمعالجة موضوعات الغزل والوصف والحنين والخمریات، أي تلك الفنون شديدة الصلة بالموسيقى والغناء، ثم جاء طور لاحق أخذت تعالج فيه بقية الأغراض المألوفة في القصائد، كالمديح مثلاً (أما الرثاء والهجاء فإنهما لم يشغلا إلا مكانة ثانوية)، ولا يأتي في العادة-إلا مسبوفاً بتمهيدات غزلية أو وصفية أو نحو ذلك.

أما الموشحات الزهدية والدينية فإنها تمثل طوراً تالياً تبرز فيه أسماء

عديدة مثل أبي مدين وابن عربي والششتري وابن الصباغ...، وعلى أيدي هؤلاء يعود للموشحة جانب من انتمائها للبيئة الشعبية وللغناء، وتنداح هذه الموشحات في حلقات الذكر والمتروشين، منفلطة في أحياء كثيرة من قواعد الفن وفصاحة اللغة، مرتحلة في ركاب هذه المواكب الهائمة في فجاج الأرض.

ولربما كان من الضروري أن تعرج هذه الكلمة على أعلام التوشيح في الأندلس، وهنا ستكون لنا أكثر من وقفة:

وقفة أولى تتناول مرحلة النشأة، حيث تبرز ثلاثة أسماء:

محمد بن محمد القبري، ومقدم بن معافي، ثم ابن عبد ربه صاحب «العقد الفريد»، فالمصادر تؤكد أن هؤلاء هم الرواد الأوائل لهذا الفن الجديد، وإن كان الملحوظ أن ابن بسام يسوق اسم محمد بن محمود على اعتبار أنه «المخترع» الأول ثم يضيف:

«وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا» وبمعنى آخر أن ابن بسام لا يذكر اسم مقدم بن معافي في هذا الصدد (بل أن اسم مقدم لا يرد على الإطلاق في جميع أجزاء الذخيرة)، بينما يجيء في «المقتطف من أزاهر الطرف» لابن سعيد، ونقل عن الحجارى صاحب «المسهب».

«أن المخترع لها-للموشحات-بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري، من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب كتاب العقد».

ويبقى بعد هذا أن المعلومات عن محمد بن محمود وعن مقدم بن معافي من الندرة بمكان، وإذا كان الاسم الثالث-اسم ابن عبد ربه-ملء السمع والبصر بفضل كتابه «العقد» فإن صلته بفن التوشيح تبدو شديدة الغموض، والشيء المؤكد-على كل حال-أن المصادر لم تحتفظ ألبته بأي نموذج من تأليف هؤلاء الرواد، مما يجعل الحديث عن الموشحات الأولى محفوفًا بالصعاب، لا يعتمد فيه إلا على بعض العبارات الموثقة في «الذخيرة» و «المقتطف».

ومن الطبيعي أن الصورة، في المرحلة التالية، تأتي أكثر وضوحًا، والإشارة هنا للجيل الثاني من الوشاحين الذي حمل الراية بعد جيل الرواد، وهذا

الجيل الثاني يضم أسماء شهيرة في تاريخ الأدب الأندلسي مثل يوسف بن هارون الرمادي، وابن ماء السماء، وابن عبادة لكن تظل هناك مع ذلك- ملامح يشوبها الغموض، فإننا لا نملك نماذج إلا لاتين من سبعة وشاحين يذكرون في هذه المرحلة، فضلا عن أن قدرا من الاضطراب يسيطر على المعلومات والنصوص المعروفة لهذين الوشاحين (ابن ماء السماء وابن عبادة) وربما أدى المزيد من التتقيب في التراث الأندلسي إلى الكشف عن معلومات تزيل ما يرين من لبس في هذه الناحية.

ومن حسن الحظ أن الموشحات في المرحلة الثالثة-التي تستغرق فترة القرن السادس الهجري كله-تكون قد نضجت كل النضج، واستقامت لها كل قواعدها الفنية وبرزت أسماء رنانة مثل ابن بقی والأعمى التطيلي وابن زهر (الحفيد)، ولعت نصوص فياضة بالسحر والوهج
مثل:

بأبـي ظـبـي حـمـى
تـكـنـة أسـد غـيل

ومثل:

ضـاحـك عـن جـمـان
سـافـر عـن بـدر
ضـاق عـنـه الـزـمان
وـحـواة صـدرى

وتساقب نغمات شاردة، يمتزج فيها الجوى والغزل والافتتان بالطبيعة كما في موشحة ابن زهر:

حـي الـوجـوه المـلاحـا
وـحـي نُجـل العـيون

أو قطعته الشهيرة:

أيهـا السـاقـي إلیك المـشـتكـى
كـم دـعـونـاك وإن لم تـسـمـع

والخلاصة أن هذا الفن يصل إلى قمة تمامة في القرن السادس الهجري، وقد احتفظت مجموعات مختلفة مثل «دار الطراز» و«توشيح التوشيح»، و«جيش التوشيح» بقدر وفير من النصوص الجميلة التي تنتمي لهذه الفترة.

رُبَّ لَيْلٍ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ
وَنَجْوَى السَّمَاءِ لَمْ تَدْرُ
تَجَى فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ مَصْدَرَةٌ بـ:

قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها «فهل طمس رسم الموشحات حقا في الحقبة التي عاش فيها ابن الخطيب؟ لا نظن، ولعل الرجل كان يقصد أن الأيام عدت على ذلك العهد الزاهي الذي كانت فيه الموشحات تتردد في أبهاء القصور، ومجالى اللهو والطرب، وأنه يقصد أن الأجيال اللاحقة لم تعد تبعد في هذا الفن نصوصا من نمط ما أبدع من قبل ابن بقی والتطيلي وابن زهر.

وهكذا تكون رحلة الموشحات على أرض الأندلس قد انطوت بعد فترة دامت زهاء خمسة قرون، استطاعت فيها أن تضيف لقيثارة الشعر العربي وترا جديدا قوامه التوهج والصفاء، والتعبير عن خوالج النفس، والإحساس العارم بالحب والطبيعة والحياة.

ملاحق
نماذج من الموشحات
نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

نماذج من الموشحات

● عبادة بن ماء السماء (المتوفى نحو سنة 420هـ):

- من ولى
 في أمة أمرا ولم يعدل
 - حب المها عبادة
 من كل بسام السواري

● ابن عبادة القزاز (المتوفى نحو سنة 500 هـ):

- رح لراح وياكر
 بالمعلم المشوف
 - كم في قدود البان
 تحت الممم

● ابن اللبانة (المتوفى سنة 506 هـ):

- شاهدي في الحب من حرقى
 أدمع كالجمر تنذرف
 - هلا عنذولي قد خلعت العذار
 لا اعْتَذار.

● ابن أرفع رأسه (أوائل القرن السادس الهجري):

- من عالق القـرطـا
فـي أذن الشـعـرـى

● ابن لبون (أوائل القرن السادس الهجري):

- من أطاع البدر في كمال
غـصـن اعـتـدال

● الكميت البطليوسى (النصف الأول من القرن السادس الهجري):

- لاح للروض كل غر البطحاح
زهر زاهر

● ابن عيسى المرسى الخباز (النصف الأول من القرن السادس الهجري):

- من لى بظبى ربيب
يـصـيد أسد الغياض

● الأعمى التطيلي (المتوفى سنة 525 هـ):

- دمع سفوح وضلوع حرارة
مـاء و نـار
- ضاحك عن جمان
سـافـر عن بدر

● أبو بكر الأبيض (المتوفى بعد سنة 525 هـ):

- من سقى عينيك كأس المدام
يـامـنى المسـتـهام

● ابن الزقاق (المتوفى سنة 530)

- خذ حديث الشوق عن نفسى
وعن الدمع الذى همما

● ابن رحيم (المتوفى نحو سنة 530 هـ):
- نسيم الصبا أقبل من نجد
لقد زادني وجدا على وجد

● أبو بكر بن بقى (المتوفى سنة 545 هـ):
- ساعدونا مصباحينا
نرتشفها قد ظمينا
- مـالـي شـمـول
إلا شـجـون

● أبو جعفر بن سعيد (المتوفى سنة 550 هـ):
- ذهبت شمس الأصيل
فضضة النهر

● أبو عبد الله بن شرف (المتوفى سنة 570 هـ):
- يارية الععة قد
مـتـى يـقـاد

● ابن مالك السرقسطى (المتوفى سنة 571 هـ):
- ماذا حموا
فؤاد الشجى يوم ودعوا

● ابن زهر الحفيد (المتوفى سنة 595 هـ):
أيها الساقى إليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع
حى الوجود الملاحا
وحى سود العيون

● محبى الدين بن عربي (المتوفى سنة 638 هـ):

- عندما لاح لعيني المتكا
ذبت شوقا لذى كان معى

● ابن سهل الاشبيلي (المتوفى نحو سنة 650 هـ):

- هل درى ظبي الحمى أن قد حمى
قلب صب حله عن مكنس

● ابن خلاتمة الأنصاري (المتوفى سنة 770 هـ):

قم هاتها قهوة
كدمع مهجور

● لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة 776 هـ):

- يا حادي الجمال
عرج على سالا

● ابن زمرك (المتوفى سنة 795 هـ):

- نسيم غرناطة عالي
لكنه يبرئ العليل

● اللخمي الغرناطي (من شعراء القرن التاسع الهجري):

- حياك بالأفراح
داعي الصباح
قم لاصطباح

● المنصور السعدى (المتوفى سنة 1012 هـ):

- عطر الأرجاء لانسما
شمال الصهباء عند الغلس

● عبادة بن ماء السماء (نحو سنة 420 هـ):

١

مَنْ ولى في أمة أمرا ولم يعدل يُعزَّل إلا لحاظُ الرشأ الأكل
 جُرْتُ فَي (1)
 حكَمَك في قَتالي يا مَسْرِفُ
 فـانـصـف
 فواجِبُ أن يـنـصـفَ المـنـصـفُ

وارأف

فإن هذا الشوق لا ييرأف
 علل قلبي بذاك البارد السلسل ينجلي (2) ما بفؤادي من
 جوى مُشعل

إنهم
 يبرزكى يوقد نار الفتن (3)
 صنم
 مصورا من كل شيء حسن
 إن رمى
 لم يخط من دون القلوب الجنن
 كيف لي تخلص من سهمك المرسل فصل واستبطني حيا ولا تقتل
 ياسننا
 الشمس ويا أبهى من الكوكب (4)
 يمامنى
 النفس ويا سؤلى ويا مطلبى
 هاننا
 حل بأعدائك ما حل بى
 عدلى من ألم الهجران في معزل والخلى في الحب لا
 يسأل عن بلى
 أنت ق
 صيرت بالحسن من الرشده غى

لــــم أجــــد
 في طرفى (5) حبك (6) دينا على
 فــــاتــــنــــد
 وان تشا في قتلي شيئا فشى
 أجمل ووالتي منك يد المفضل (7) فهي لى من حسنات الزمن المقبل
 مــــا اغــــتــــدى
 طــــرفــــى إلا بســــنا ناظرــــىك
 وــــكــــذا
 في الحــــب ما بي لــــيس يخــــفى عليك
 وــــلــــذا
 أنشد والقلب رهين لــــديك:
 يا على سلطت جفنيك على مقتلي فابق لى قلبي وجد بالفضل يا موثلى

٢

حــــب المــــها عــــبــــادة
 من كل بســــام الســــوار
 قمر يطلع من حسن آفاق الكمال حسنة إبداع
 لــــه ذات حــــســــن
 مــــا لي حــــة الأــــحــــيا
 لــــها قــــوام غــــصــــن
 وشــــنــــفــــها الثــــريــــا
 والثــــغــــر حــــب مــــزــــن
 رــــضــــابــــه الحــــمــــيا
 مــــن رــــشــــفه ســــعــــادة
 كــــأنه صــــرف العــــقــــار
 جوهــــر رصــــع يسقيك من حلو الرلزال طيب المشرع
 رــــشــــيــــقة المــــعــــاطــــف
 كــــالغــــصــــن في القــــوام

شهديّة المـراشـفـة
 كالـدُر في نـظـام
 دعـصـيـة الـرـوادف
 والـخـصـرُ ذوانـهـضـام
 جـوالـة الـة الـلـادة
 مـحـاـولـة عـقـد الـإـزار
 حـسـنـها إـبـدعَ من حـسـن ذـيـاك الغـزالِ أكـحـل المـدّـمـعَ
 لـيـالـيـة الـنـوائـب
 ووجـهـهـا نـهـار
 مـصـقـولـة الـتـرائـب
 ورشـفـهـا عـقـار
 أصـداغـهـا عـقـارب
 والـخـدـجـانـار
 نـادـيـتْ؛ وافـؤادـة
 مـن غـادـة ذات اقـتـدار
 لحـظـها أـقـطـعَ من حدّ مصـقـولة النـصـالِ من الفـتـى الأشـجـعَ
 سـقـر جـل الـنـود
 في مـرـمـر الـصـدور
 يُـزـهـى عـلى العـقـود
 مـن لـذـة الـنـحـور
 ومـقـالـة وجـيـد
 مـن غـادـة سـقـور
 حـبـي لـهـا عـبـادـة
 أـعـودُ مـن ذا الـفـخـار
 برشاً يـرتـعَ في روض أزهار الجـمـالِ كلـما أـينـعَ
 عـفـيـة الـذـيـول
 نـقـيـة الـثـياب
 سـلـابـة الـعـول
 أرقُ مـن شـراب

أضحى بها نحولي
في الحُبِّ من عذابي
في النوم لى شَرادة
وحُكْمُها حكم اقتدار
كلما أمنعَ منها فإن طيفَ الخيال
زارنى أهجَع

● ابن عبادة القزاز (نحو سنة 500 هـ)

١

رُحٌ لِلرَّاحِ وَبَاكِرٌ بِالْمُعَلِّمِ الْمَشُوقِ غِبُوقًا وَصَبُوحٌ عَلَى الْوَتْرِ الْفَصِيحِ
 لَيْسَ اسْمُ الْخَمْرِ عِنْدِي
 مَا أَخُوذًا فَعَامِلًا
 إِلَّا مِنْ خِزْيَاءِ الْخَيْدِ
 وَمَيْمِ الْمُبْسَمِ
 وَرَاءِ رَيْقِ الشَّهْدِ
 الْعِطَاطِ الرَّاقِ
 فَكُنْ لِلَّهِمْ هَاجِرٌ وَصَلِّ هَذِي الْحُرُوفَ كَيْ تَغْدُو وَتَرُوحَ بِجِسْمِ لَهُ رُوحٌ
 بِاللَّهِ سَقَةَ نِيهَا
 فِي وَدِّ الْوَاثِقِ
 فَإِنَّ مِنْهُ فِيهَا
 شَبَّهَ الْخِلَاطِ
 مِنْ أَعْدَمِ الشَّبِيهَا
 فِي الْمَجْدِ الْبَاسِقِ
 لَهُ مِنَ الْمَفَاخِرِ تَلِيدٌ وَطَرِيفٌ دُوحٌ مِنْ عَهْدِ نُوحٍ وَرُوضَةٌ تَفُوقُ
 هَلْ تُحْسُنُ الْمَدَائِحَ
 مِنْ كَلِّ مَادِحِ
 إِلَّا عَلَى الْجَحَاجِحِ
 بِنِي صَادِحِ
 فَإِنَّهُمْ مَصَابِحُ
 عَلَى سَوَانِحِ
 أَكَارِمِ أَكَابِرِ صَيْدٍ شَمُّ الْأَنْوَفِ حَازُوا الْمَجْدَ الصَّرِيحَ فَخُضُّوا بِالْمَدِيحِ
 مَحْمَدٌ بِعَيْدِ
 مَرَامُوهَ قَرِيْبِ
 وَحَوْلَهُ جَنُودُ
 مِنْ آلِهِ تُجَيَّبِ

كأنهم أسود
 في حومة الحُروب
 إذا سلّوا البواترَ فالحينَ والحُوفَ والنصرَ والفتوحَ وآيةً تلوحُ
 إذ لاح ابنُ مَعْن
 في جيشه الأَجْب
 وننادى كليلِ قمرن
 باسمه في الأعب
 فإلهي جاتغني
 والسييف قد طرب
 ما أملحًا العساكرَ وترتيبَ الصُفوفَ الأبطالَ تصيحُ الواثقُ يا مليحُ

٢

كم في قدود البانِّ تحت اللّمَم من أقمر عواط
 بأنمل وبئانِّ مثل العنَم لم تَبْر لعاط
 هُن الظَّباءُ الشَّمسُ
 قنيسُ هُن الضَّيفُ
 ما إن لها من كُنسُ
 إلا القابِ وبُ الهُيَمُ
 القربُ من لها عُرْسُ
 والبعْدُ عنها ما تَمُ
 تلك الشَّفاهُ الأَعْسُ
 يَحْيى بهن المَغْرَمُ
 لها لحاطُ نُعْسُ
 ترنو إلى من يسُقَمُ
 بأعين الغزلانِّ وتبتسمُ عن جَوْهرِ الأسماط
 قضى لها الغَيْرانِّ أن تكتَمُ في مُضمرِ الأثِباط
 أهوى رشاً سَاحِرا
 هوأه لي ما أقتأه

قَدِمَ سَخَتْ طَائِرًا
 أَلْحَاطُوه قَابِي وَآءُ
 وَلِيَم يَزْلُ سَادِرًا
 عَالِي هَوَى مَاعِلَاءُ
 لِيَا غَدَا قَادِرًا
 غَدَا قَلِيلَ الْمَعْدَأُ
 يَا حَاكِمَا جَائِرًا
 ظَلَمْتُمْ مَن لَّا ذَنْبَ لَهُ
 خَفَّ سَطْوَةَ الرَّحْمَنِ إِذَا حَكَّمْ بَيْنَ الْبَرِيِّ وَالْخَاطِي
 سَطُوتَ بِالْهَيْمَانِ ظَلَمَّا وَلَمْ يَسْتَنْصِرْ يَا سَاطِي
 يَا وَيْحَ مَن شُوقًا
 إِلَى حَبِيبٍ قَد سَكَا
 قَضَى بِأَن يُغْرَقَا
 فِي الدَّمْعِ مَن قَد أَمَحَلَا
 ظُلْمًا وَأَن يَخْفَقَا
 مِنْهُ الْفُؤَادُ الْمَبْتَلَى
 كَأَنَّمَا عُلُقَا
 مِنْهُ عَلَى تَلِكِ الطَّلَى
 فَقَاتِ مَسْتَنْطِقَا
 مَن ذَا الَّذِي أَهْدَى إِلَى

فُؤَادِي الْخَفَقَانَ فَقَالَ فُمَّ فَلتَنْظُرُ فِي الشَّاطِي
 إِلَى بَنُودِ الشَّوَانِ عَدَّوَاكِ نَمَّ وَاسْتَخْبِرَ أَقْرَاطِي
 أَمَاتِرَاهَا مَشْهُولُ
 عَلَى قِنَاهَا خَافَقَةُ
 فِي جَارِيَاتِ تَجْوولُ
 مِثْلَ الْجِيَادِ السَّابِقَةِ
 إِنْ شَاءَ مَن فِي الْمُحْوولُ
 يُنْشِي السَّحَابَ الْوَادِقَةَ

سمّت على النجم طُولُ
 منها فروعٌ باسقة
 إن الثَّريّا تَقُولُ
 وإنّها لصادقة
 ما فوق هذا المكانَ من الهممَ فيه يرى مناطي
 سمّت على كيوانٍ منه القَدَمُ والمُشترى مواطي
 أفلاكٌ مُسالكٌ تنيرُ
 سعادةً للمسامين
 تسري الادي وتسيرُ
 بالفتح والنصر المبين
 يسوءُ بعد النذيرُ
 منها صباخُ المنذرين
 تُحديّ بمدح الأميرُ
 إلى بلاد المُشركين
 أني نحاف تطيرُ
 بمثل أشفار الجفونُ

ومبسمَ الخرصانُ قد انتظمتُ كأسطر الأمشاط
 والبحرُ كالبركانُ قد اضطرمتُ بمسعر الأنفاط
 ومهُرجان لهُ
 يومٌ أنيقٌ منظرهُ
 بحرٌ حكي رمالهُ
 من كلّ طيب عنبرهُ
 والشّاط قد حالهُ
 محمدٌ وعسكره
 مكرٌ بارجاهُ
 فُلُكاً حَكَتْها ضميرهُ
 فقهال عبدهُ
 متسحسناً ما يبصرهُ:

ما أَمَلَحَ المَهْرَجَانُ رَمْلَ يَنَمَ كالعنبر للواطي
والفلكُ كالعقبانَ والمعتمَصمَ بالعسكَرَ في الشاطي

● ابن اللبانة (المتوفي سنة 507 هـ):

١

شاهدي في الحُبِّ حُرْقِي
أدمع كالجمر تنذر
تعجز الأوصاف عن قَمَر⁽¹⁾
خده يدمي من النظر
بشرِّي سمو على البَشَر
قد يراه الله من عَاقِ
ما عسى في حسنه أصفُ
كيف لاصب الكثير بقا
والكُرى عن جفنه أبَقَا
هل يطيق الصبر من عَشَقَا
شادنا يرمي من الحدق
أسهما قلبي لها هَدَفُ
يا أولى التفنيد ويحكم⁽²⁾
أنا لا أصغي لنصحكم
في ثلاث قد عصيتكم
عَسَقُ داج على فُأَقِ
في قضيب زانه الهَيْفُ
بأبي من فاق شمس ضُحى
وكسا بدر الدجى مُلْحَا⁽³⁾
فدليالي فيه قد وضحَا
لوجود الشمس⁽⁴⁾ في الأفق
عَدَمُ والبدر ينكسفُ
رُبَّ راض بعد ما غَضِبَا

زارني في غفلة الرُقبا
عندها غنيتُ؛ واطربا
يا حبيباً بات معتنقي
ها أنا بالوصول مُعترفُ

٢

هلاً عدولى قد خلعت العذارَ لا اعتذارَ عن ظبا الإنس وشرب العُقار
ما العيش إلا حُبُّ ظبي أنيس
مهضهف أحوى وحث الكؤوس
من قهوة تحكي شعاع الشموس
كانها في كأسها إذ تُدارُ شعله نارُ
يقتلها الإبريقُ قبل السّوارِ
شيئان قلبي فيهما ذو غرام
القول بالغيد وشرب المدام
فلمستُ أصغي فيهما للسّوامِ
لا والذي تُوجّ تاج الفخارِ بحرُ البحارِ ببحر جدّواه وحمي الديارِ
الملك المأمونُ ذو المكرماتِ
الواحدُ الفردُ الجزيلُ الصّفاتِ
كم مادح أحياءٍ وكم قدّ أماتِ
تهلُّ يميناهُ علينا بحارَ نَمَّ اليَسارُ تجلو دُجى العُسرِ ببذل اليَسارِ
في اسمه للنصر والفتح فالِ
قد عم أهل الأرض طُرُكوالِ
أصبح في الجود بغير مثالِ
أنجدَ ذكراه الكريمِ وغارَ في الأمصارِ حتى حدت فيه حداة القطارِ
وغادة تشكو بعاد الخليلِ
غُدوها تبكي ويوم الرحيلِ
بصفة البحر وظلت تقولِ
يا قرجوني ككرس بون امار ليشّ الفرار و ليشّ دمار (1)

● ابن رافع راسه (أوائل القرن السادس الهجري؟):
 مَنْ عَلَّقَ الْقُرْطَا فِي أذْنِ الشَّعْرَى وَأَكْفَفَ الْمَرْطَا الْعُصْنَ النَّصْرَا
 الْحَسَّسُنْ مُرْجُومٌ
 عَنِّي وَمَا أَثْمُومٌ
 وَالطَّرْقُظَا وَمُومٌ
 وَالْقَابُ مَظَاومٌ
 بِأَبِي رَيْمٌ
 يَعْشَقُهُ الرَّيْمُ
 لَمْ يَأْكُلِ الْخَمَطَا وَلَا رَعَى السَّدْرَا وَلَا رَعَى الْأَرْطَا (1) مَذَسَكَنَ الْقَصْرَا
 يَأْقُومُ بِبِي تَيَّاه
 لَمَّاهُ مَعَسُومٌ
 الْهَجْرُ مَنْ هَجْرَاهُ (2)
 وَالذَّنْبُ مَحْمُولٌ
 يَدْرِي الْبَدِي يَهْوَاهُ
 أَنَّهُ مَعْتَمُولٌ
 أَمَا تَبِي عَبَّطَا (3) وَمَا اتَّقَى الْوَزْرَا لَمْ أَعْرِفَ الشَّرْطَا فَكُنْتُ مُعْتَرَا
 قَدْ هَمَّتُ فِي وَسْنَانِ
 أَسْدَ الشَّرِي يَسْبِي
 بِالْحِظَّةِ الْفَتَانِ
 فِي مَعْرِكِ الْحَرْبِ
 عَلَى الظَّبِي سَاطَانِ
 بِقَدْرَةِ الرَّبِّ
 سَبْحَانَ مَنْ أَعْطَى جَفْوَنَكَ السَّحْرَا وَالْقَبْضَ وَالْبَسْطَا وَالنَّهْيَ وَالْأَمْرَا
 عَلَى مَا أَعْبَدِي
 سَيُوفَ عَيْنِي كَا
 كَمَا أَنْتَ بِالأَعْدَا
 بِعَدْلِهِمْ فَيَكَا
 وَالْحَسَّسُنْ قَدْ أَبَدِي
 عُنْدِي بِخَدَيْكَ كَا

بأحرف خَطًّا لم تعرف الحَبْرَا أودَعَهَا نُقْطَا بِالْحَبْرَ كِي تُقْرَا
 ضَمَّنَ بِإِسْمِ عَادِي (4)
 وَالشَّمْسُ تُحْكِيهِ
 مِنْ بَعْدِ مِيْعَادِ
 أَبْدَى الرِّضَا فِيهِ
 فَكَانَ إِنْ شَادِي
 خَوْفَ تَجَنُّيهِ
 حَبِيبِي قَدْ أَبْطَا (5) مِنْ أَمْسَكَ البَدْرَا عَنِي لَقَدْ أَخْطَا وَأَشْغَلَ السَّرَا

● ابن لبون (أبو عيسى)-أوائل القرن السادس الهجري:

مَنْ أَطْلَعَ البَدْرَ فِي كَمَالِ
 غَضَبِ عَمَّتِ الدَّالِ
 بِمَهْجَتِي شَادَنْ غَرِيرُ
 يَجُورُ (1) حُكْمًا وَلَا يُجِيرُ
 وَمَا سَوَى أَدْمَعِي نَصِيرُ
 تَفْعَلُ عَيْنَاهُ بِالرَّجَالِ
 فَعَمَلُ العَوَالِ
 عَاقِبَتُهُ أَوْ طِفْلاً كَحَيْلِ (2)
 يَحْسُدُهُ الغَصْنَ إِذْ يَمِيلُ
 تَجُولُ فِي ثَغْرِهِ شَمُولُ
 يَمِجُ فِي ثَغْرِهِ لَالُ
 بَرْدُ الزَّلَالِ
 يَا أَيُّهَا العَادِلُ الخَائِي
 بِي مِنْ بَنَى اللَيْثِ بَابِلِي
 قَلْبِي بِهِ مَغْرَمٌ شَجِي
 عَذْلُكَ عِنْدِي-إِذْ لَسْتَ سَالِ
 مِنَ المَحْضَالِ
 كَمْ قَالَتْ لَا أَدْعِي بِحَبِيءِ

لَطُولُ إِعْرَاضِهِ وَعَتَبُهُ
حَتَّى إِذَا لَاحَ صَبِيحُ قَرِيْبِهِ
أَبْدَيْتُ مِنْ عِزَّةِ الْجَمَالِ (3)

ذَلَّ السَّيِّئُ
مَا زِلْتُ أَشْكُو لَه بِبِعْدِهِ
حَتَّى أُرْعَوِي حَافِظاً لِعَهْدِهِ
كَأَنَّهُ إِذَا أَتَى لِعَوْدِهِ
يَخْتَالُ فِي ظُلْمَةِ الدَّلَالِ

طَيِّبُ الْخِيَالِ
لِلَّهِ يَوْمٌ بِهِ نَعْمَانَا
رَاقٌ أَصِيلاً فِرَاقِ حَسَنَانَا
عَاتِبْتَهُ مَا زَحاً فَغْنَى
إِيَّاكَ يَغْرُنُكَ صَرَفَ مَالِ (4)
يَا مَنِ بَدَأَ لِي

● الكميت (أبو عبد الله محمد بن الحسن البطليوسي)-النصف الأول
من القرن السادس الهجري:

لَاحَ لِلرَّوْضِ عَلَى غُرِّ البِطَاحِ
زَهْرُ زَاهِ
وَتَنَا جِيداً مُنْعَمَ الأَقَاخِ
نَّوْرُهُ النَّنَاضِرُ
زَارِنِي مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ
أَرْجُ عَاطِطِ
نَشْرَ الطَّلِّ عَلَيْهَا حِينَ قَاخِ
أَيُّ مَاعِقِدِ
حَبْدَا البِشْرُ لِي عِنْدَ افْتِتَاحِ
وَجَنَّةِ الوَرْدِ

يضحك الروضُ مسايِلَ السَّحَابِ
 مملءٌ أَجْفَافاً نَهْـ
 ومَشَّتْ فِيهِ لآلِي الحَبَابِ
 ففوق غدرانِ نَهْـ
 فتراه كيف (1) يكشفُ النُّقَابِ
 عن نَدَاتِهَا تَهْتَانِه
 ينتهي طولُ تَنَاحِ الرِّيحِ
 وسَطَ الرِّعْدِ
 وتُرى البَرْقُ كَصَارِمِ مُشَّاحِ
 سُلِّمَ مِنْ غَمِّهِ

رقصت وسطَ رياضِهَا العُصُونُ
 رقصَ نَشْوَانِ
 وأرتنا من لَطَائِفِ المَجُونِ
 ككلِّ إِحْسَانِ
 فنسينا عند وشيهِ المَصُونِ
 وشي صِنْعَانِ (2)
 كنجومِ أَطَاعَتِ والجَوْ صَاحِ
 فِي ذِي سَعْدِ
 فسعى النَّاسُ بِألسِنِ فِصَاحِ
 نَعْمَ الحَمْدِ

فاغتنم ما قد صفا من الزَّمانِ
 واخضع العُنْدَانِ
 واشرب الرِّيحَ على سَمْعِ القِيَانِ
 مَمْرَةَ صَفْرَانِ
 واغتنبها من سِلافِةِ دَنَانِ
 عُنْتِ قَتْدُهُ رَا

كأسها جسمُ طفلةٍ رداحُ
 نعاءهمُ القردة
 تمزجُ الراحُ بريقها القُراخُ
 شيبُ بالَشَّهد

وفتاة فتنتُ بحسنها
 وتثنيُّ نِيها
 تشتكي طولَ جفءِ خدنها
 حين يُؤذيها
 وتُغني برفيع لحنها
 ومغنا نِيها:
 ذبت والله أسي نطالق صياحُ
 قد كسر نهدِي
 وعمل لي في شفيضاتي جراحُ
 ونثر عرقه ندي

● ابن عيسى المرسي الخباز (أبو الوليد يونس): النصف الأول من القرن السادس الهجري:

مَنْ لي بظبي ربيبٍ يصيدُ أسدَ الفياضِ⁽¹⁾ لوى بدنيَ لما أملتُهُ للتقاضي
 جمعتُ حظِّي منه
 بين الرجاءِ والتمني
 لم أظهر اليأسَ عنه
 لما أطالَ التَّجَنِّي
 بل قلتُ يا قلبُ صُنْه
 لديك عن سوء ظنِّي
 وأنت يا نفسي ذوبي ويا مطيلَ اعتراضِي نُقِّدْ بما شئتُ حكماً إني بحكمك راضي
 ما حالَ قلبُ لديك
 لا تنقضني حسراته

يشكو جواهُ اليك
 وليس تُجدي شكائهُ
 مهلاً فضي راحتيك
 حيانئهُ ومماتئهُ
 يا ممرضي وطبيبي بفيك براء المرض ومنك قد ذبتُ سقماً فلتقض ما أنت قاض
 يا من ينافر ظُلماً
 مَنْ ليس عنه بصابر
 ماضر إذ ذبت سقماً
 لو لم تكن لي هاجر
 رفقةً فبي منك ألمي
 وسنان ساجي النواظر
 رام بسهم مصيب من الصراح المرض يرنو فيرسل سهما والقلب في الاعتراض
 مَنْ لي بتفتير جفنه
 والموت من لحظاتهُ
 إن مرثاني عطفه
 فالحُسنُ فيه بذاتهُ
 أورمت إدراك وصفه
 أعيتني بعض صفاتهُ

يجولُ لحظُ الكئيب من خذهُ في رياض لكن عن القطف تُجمي بمرهفات مواض
 لاه ظبيهُ خدر
 قد روعت بالفرق
 بننت ثلاث عشر
 تُسيل دمع الماقي
 تقولُ في حال سُكر
 لأمهاف في اشتياق
 يامم مو الحبيب تيبش أن نرت رياض غار كفري يا مما انن يجنال للشااض

● الأعمى التطليلي (المتوفى سنة 525 هـ):

دَمَعُ سَفُوحٍ⁽¹⁾ وَضُلُوعُ حَرَارَةِ مَاءٍ وَنَارٍ مَا اجْتَمَعَا إِلَّا لِأَمْرِ كِبَارٍ

بئس لعمري ما أراد العذولُ

عمُرُ قصيرٌ وعناء طویلُ

يا زفراتُ نطقتُ عن عَليلٍ⁽²⁾

ويا دموعاً قد أصابتُ مَسيلٍ⁽³⁾

امتنع النومُ وشطَّ المزارُ ولا قرارَ طرتُ ولكن لم أصادف⁽⁴⁾ مطار

يا كعبةً حجَّتْ إليها القلوبُ

بين هوى داعٍ وشوق مُجيبٍ

دعوة⁽⁵⁾ أوَاهِ إليها مُنيبٍ

لبيك لا ألوي لقول الرقيبِ⁽⁶⁾

جد لي بحج⁽⁷⁾ عندها واعتمارُ ولا اعتذارَ قلبي هديٍّ ودموعي جُمَارُ

أهلاً وإن عرَضَ بي للمنونُ

بمائنس الأعطافِ ساجي الجفونِ⁽⁸⁾

يا قسوةً يحسبها الصَّبُّ لينُ

علَّمَتني كيف تُساءُ الظُّنونُ⁽⁹⁾

مذبانَ عن تلك الليلي القصارِ دمعي غزارَ⁽¹⁰⁾ كأنما بين جفوني غرازُ⁽¹¹⁾

حكمتُ مولى جار في حكمه

أكنى به لا مفضحاً باسمه⁽¹²⁾

وأعجب⁽¹³⁾ لإنصافي على ظلمه

واسأله عن وصلي وعن صرُمه

ألوي بحظي⁽¹⁴⁾ عن هوى واختيارِ طوع النفاذِ وكل⁽¹⁵⁾ أنس بعده بالخيارِ

لا بُدَّ لي منه على كلِّ حالٍ

مولى تجنى وجفا واستطالُ

غادرني رهناً أسى واعتلالُ

ثم شدا بين الهوى والدلال:

ما والحبيب دموا صارَ مادرِ شنارِ بنفيس رامش كف دموعار⁽¹⁶⁾

مَاعَسَى أَنْ أَقْسَى
 سَاءَ ظَنَنِي بِعَسَى
 وانقضى كلُّ شأنٍ وأنا استشري خالِعاً مَنْ عَنَّ جَزَعِي أَوْ صَبَّري
 مَاعَالِي مَنْ يَأْلُومُ
 لَو تَنَاهَى عَنِّي
 هَلْ سَوَى حُبِّ رِيمِ
 دِينُهُ التَّجَنِّي
 أَنَا فَيَهْ أَهْيَمِ
 وَهَوْبِي يَغْنِي
 قد رأيتك عيان آس عليك ساتدري (11) سيطول الزمان (12) وستسى ذكرى (13)

● الأبيض (أبو بكر محمد) المتوفي بعد سنة 525 هـ:

مَنْ سَقَى عَيْنِيكَ كَأْسَ الْمُدَامِ
 يَا مَنِي الْمُسْتَهَامِ
 رَشَاءُ أَسْهَرَنِي وَهُوَ نَائِمٌ
 رَقَّ لِي وَالْمَوْتُ بَيْنَ الْحَيَاظِ
 عَجِباً مَنْ دَمَعَهُ وَهُوَ بِاسْمِ
 خَنَثٌ يَمْزُجُ لِي تَحْتَ اللَّثَامِ (1)
 عِبْرَةٌ بِأَبْتَسَامِ
 قَلْبَ دُنْيَايَ تُسْقَى رُؤْيِدُ
 تَحْتَ إِحْسَانِ الْوَزِيرِ ابْنِ زَيْدِ
 فَأَنَا أَرْبَعٌ فِي خَبْرِ قَيْدِ (2)
 بَيْنَ بَرٍّ وَعَطَايَا جَسَامِ
 أَخْوَاتِ الْغَمِّ مَامِ
 بَائِنُ الْغَوْرِ بِعِيدِ الْمَسَافَةِ
 قَدْ كَفَى قَرْطَبَةَ كُلِّ آفَةِ
 كَمْ يَدٌ أَوْلَيْتَ دَارَ الْخِلَافَةِ

طوقت جيدك طوق الحَمَام
 فِي حُجَايِ الْكَرَامِ
 بك يا مُشْرِفُ صُحِّ الْيَقِينِ
 أنت صَبِيحُ الْمَشْكَاةِ الْمُبِينِ
 أَيُّ نَصَلِ سَأَلَهُ مَا (يَلِينِ) (3)
 مَلِيكَ شَرَفَهُ فِي الْأَنَامِ
 حَمَلُ ذَاكَ الْحُسَامِ
 شَرَفُ الْمَلِكِ بِهِ حَاطَهُ
 فَشَدَّتْ وَجُدًا بِهِ غَرْنَاطَهُ
 إِذْ تَوَخَّى بِسَوَاهَا ارْتِبَاطَهُ
 كُلَّ يَوْمٍ اقْرِيكَ يَا حَبِيبَ السَّلَامِ
 وَنَسِيَّتْ أَنْتِ ذِمَامِ

● ابن الزقاق (أبو الحسن علي) المتوفى سنة 530:

خُذْ حَدِيثَ الشَّقِيقِ عَنِ النَّفْسِي
 وَعَنِ الدَّمْعِ الَّذِي هَمَّ عَا
 مَا تَرَى شَوْقِي قَدْ اتَّقَدَا
 وَهَمِّي بِالدَّمْعِ وَاطَّرَدَا
 وَاغْتَدَى قَلْبِي عَلَيكَ سُدِي
 أَمْ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ قَبَسِ
 بَيْنَ طَرْفِي وَالْحَشَا جُمَعَا
 بِأَبِي رَيْمٍ إِذَا سَفَرَا
 أَطْلَعَتْ أَزْرَارُهُ قَمَرَا
 فَاحْذَرُوهُ كَلَّمَا نَظَرَا
 فَبِالْحَاظِ الْجَفُونِ قَسَى
 أَنَا مِنْهَا بَعْضُ مَنْ صَرَعَا
 أَرْتَضِيهِ جَارًا وَعَدَلَا
 قَدْ خَلَعْتُ الْعَدْلَ وَالْعَدَلَا

إنما شوقني إليه فلا
 كم وكم أشكو إلى الأعراس
 ظمأى لو أنه نفعاً
 ضلّ عبد الله بالحور
 وبطرف فاتر النُّظَر
 حُكْمه في أنفوس البَشَر
 مثلُ حكم الصَّبْح في الغلس
 إن تجلسي نووره صَدَعَا
 شبّهته بالرشا الأمم
 فلعمري إنهم ظالموا
 فتغنى من به السَّقم
 أين ظبي القفر والكُنس
 من غزال في الحشا رتعا

● ابن رحيم (أبو بكر) المتوفي نحو 530 هـ (٤):
 نسيم الصَّبَا أقبل من نجد
 لقد زادني وجداً على وجد
 يا ريح الصَّبَا بالك دارينى
 بعرف شذا مسك دارين
 ووصف رشا بالهجر يبرينى
 وسل بالوى عن كُثب يبرين
 هل استوحشت بالنأي والبُعد
 وما صنعت بثينته من بعدي
 لئن هجر الشادن أوطاني
 وضعب العزا في النأي أوطاني
 وضاقْتُ بهجر الحب أعطاني
 وضننت بما في الحب أعطاني
 فيما عاذلي عن عاذلي عد
 فما حب ذا الحب قد يُعدي

حَمَامِ اللّوى بِالنَّوْحِ أَرشَانِي
 بِقُمْرِيَّةِ نَاحَتِ بَوْرشَانِ
 تَهَيِّمُ بِهِ وَهُوَ لَهَا شَانِي
 فَقَلْتُ لَهَا شَانِكَ مِنْ شَانِي
 وَسَعْدُكَ يَا وَرْقَاءُ مِنْ سَعْدِي
 وَفِي كُلِّ وَادٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ
 بِنَفْسِي الَّذِي قَدْ بَزَّ أَشْرَافَا
 وَحَازَتْ بِهِ الْأَيَّامُ إِشْرَافَا
 أَيَا ابْنِ سَعِيدِ سَدَّتْ أَيْلَافَا
 بِذَلَّتْ لَهُمْ جُودُكَ آلَافَا
 أَجْرِيَّتَ⁽¹⁾ إِذْ سَمِيَّتْ بِالْحَمْدِ
 وَقَمَّتْ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْمَجْدِ
 حَبِيبُ بَدَا مَذْ بَدَا أَنْسَانِي
 عَلَى أَنَّهُ أَسْكُنُ إِنْسَانِي
 غَزَالَ عَنِ التَّعْنِيقِ أَغْنَانِي
 وَأَنْصَفَ إِذْ زَادَ وَغَنَّنَانِي
 لِأَيِّ قِصَّةِ تَبِيَّتِ وَحَدِّكَ وَأَبِيَّتِ وَحَدِي
 كَمَا بَتَ عِنْدَكَ حَتْمًا⁽²⁾ تَبِيَّتِ عِنْدِي

● ابن بقی (أبو بكر يحيى، المتوفي سنة 545 هـ):
 ساعدونا مصبحينا نرتشفها قد ظمينا⁽¹⁾ كُنْضَارَ فِي لُجَيْنِ نَعَمْ أَجْرَ الْعَامِلِينَا

١

قُمْ بِنَا نَجَاوِ الْكُؤُوسَا
 تَحْتِ أَظْلَالِ السَّحَابِ
 نَتَعَاظَاهَا عَرُوسَا
 حَلِيئَهَا دُرُّ الْحَبَابِ

قهوة تُعطى النفسا
 عز أيام الشَّباب
 نَعَصَبُ اللَّيْثِ الْعَرِينَا وَبِرَى كَسْرَى قَرِينَا حِينَ يُسْقَى بِالْيَدَيْنِ جَامَهَا حِينَا فَحِينَا
 يَوْمُنَا يَوْمٌ أَنْيَقُ
 يَوْمٌ شُرْبِ وَالْتِنَادِ
 طَرَزَتْ فِيهِ الْبِرُوقُ
 لَابِسًا أَثْمًا لَابِ
 وَسَقَى الْغَيْمُ الرَّقِيقُ
 مَاءَ وَرْدٍ بِرِذَاذِ
 أَظْهَرَ السَّحْرَ الْمُبِينَا حِينَ رَشَّ الْيَاسْمِينَا وَبكى مَنْ دُونَ عَيْنِ فَضَحْنَا فَاكْهِنَا
 أَيُّهَا السَّاقِي الْمُحَيِّا
 بِرِيَا حِينَ التَّمَنِّي
 سَحْرُ عَيْنَيْكَ الْحَمِيَّا
 فَاصْرِفِ الصَّهْبَاءَ عَنِّي
 لَا تَسْلُطْهَا عَلَيَّا
 فَالْهُوَى قَدْ نَالَ مَنِّي
 قَدْ نَفَثَ السَّحْرُ فِينَا فَرَضِينَا الْحُبَّ دِينَا فَمَنَّا دُونَ مَيْنِ أَنْ نَرَى ذَاكَ الْجَبِينَا
 لِي حَبِيبِي يَوْسُفِي
 وَصَلُّهُ فِي الْحُبِّ مَنَّهُ
 وَجْهُهُ صَبْحٌ وَضَى
 قَدْ تَبَدَّى فِي الدُّجْنَةِ
 دَلْنِي مَنَّهُ الْأَبِي
 فَأَعَادَ النَّارَ جَنَّهُ
 بَدَلَ الْوَرْدِ الْمُصُونَا بَعْدَمَا كَانَ ضُنِينَا فَكَأَنِّي ذَوْرَعَيْنِ أَوْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَا
 سَاءَ نَالًا تَصَالِنَا
 كُلُّ مَغْتَابٍ حَسُودِ
 وَكَذَاكَ الْوَجْهَ قَالِنَا
 لَا لَتَدْنِيَسِ الْبُرُودِ

لم نُردْ فيمَا امتثلنا
 غَيْرَ إِقْلَاقِ الْحَسُودِ
 قد بلبنا وابتلينا واش يقول النَّاسُ فينا قم بنا يا نور عيني نجعل الشُّكَّ يقينا

٢

مالي شمول إلا شُجُونٌ مزاجُها في الكأس دمعُ هتونٍ
 لــــا لــــه مــــا بــــدُرُ
 مــــنَ الــــدُّمــــوعِ
 صَبَّ قَدْ اسْتَعْبَرُ
 مــــنَ الــــوُجــــوعِ
 أودى بــــه جُودُ
 يــــومُ الــــبــــقيــــعِ (١)
 فهو قتيل لا بل طعينٌ بين الرِّجَا والكاس له مَنُونٌ
 جَرَحَتْ لــــا حــــيــــن
 كــــفــــي بــــكــــفــــي
 وحيــــل مــــا بــــيــــني
 ويــــبــــين الــــفــــي
 لا شــــك بــــالــــبــــين
 يــــكــــون حــــتــــي
 حان الرِّحِيلُ (٢) ولي دُيونٌ إن ردها العباسُ فهو الأَمِينُ
 أــــمــــاتــــرى الــــبــــدــــرا
 بــــدــــر الــــسُّــــعــــودِ
 قــــد اــــكــــتــــسى خــــضــــرا
 مــــن الــــبــــرُودِ
 إذا انــــثــــني نــــضــــرا
 مــــن (٣) الــــقــــدودِ
 أضحى يَقُولُ مُتَّ يا حزينٌ قد اكتسى بالأس الياسمين
 قــــا لــــتُ و قــــد شــــرُّدُ
 الــــنــــنــــي و مــــنــــي

وَأَيُّ أَسْـَٔلِ الْعُـُودِ
 السُّـُـقْمِ مَنِّي (4)
 صَدْفًا صَدْفًا
 قَرَعْتُ سِنِّي
 جَسْمِي نَحِيلٌ لَا يَسْتَبِينُ يَطْلِبُهُ الْجُلَّاسُ (5) حَيْثُ الْأَنِينُ
 تَجَاوَزَ الْحَدَّ (6)
 قَالِبِي أَشْتِيَا قَالَا
 وَكَأَنَّ السُّـُـهْدَا
 مَن لَّو (7) أَطَقَا
 قَالَتْ وَقَدْ مَدَّ (8)
 لِي يَالِي رُؤُوقَا:
 لَيْلٌ طَوِيلٌ وَلَا مُعِينٌ يَا قَلْبَ بَعْضِ النَّاسِ أَمَا تَلِينُ؟

● أبو جعفر بن سعيد (المتوفى سنة 550 هـ):

ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ
 فَضَّةُ النَّهْرِ
 أَيُّ نَهْرٍ كَالْمَدَامَةِ
 صَيَّرَ الظِّلَّ فِدَامَةَ
 نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لَامَةً
 وَثَنَتْ لَأَغْصَنَ لَامَةً
 فَهُوَ كَالعَضْبِ الصَّقِيلِ
 حُفَّ بِالسُّـُـمْرِ
 مَضَحَ كَأَثْرِ الْكَمَامِ
 مُبَكِّيَا جَفَنَ الْعَمَامِ
 مُنْطَقَا وُورِقِ الْحَمَامِ
 دَاعِيَا إِلَى الْمَدَامِ
 فَالهِذَا بِالْقَبُولِ
 خُطَّ كَالسُّـُـطْرِ

حَبَّذا بِالْحَوْرِ مَغْنَى
 هِيَ لِفِظٍ وَهُوَ مَعْنَى
 مَذْهَبُ الْأَشْجَانِ عَنَّا
 كَمِ دَرِينَا حَيْثُ سَرْنَا
 ثُمَّ فِي وَقْتِ الْأَصِيلِ
 لَمَّ نَكْنُ نَدْرِي
 قَالَتْ وَالْمَرْجُ اسْتَدَارَا
 بِدُرَى الْكَأْسِ سَوَارَا
 سَالِبٌ مِنْهُ الْوَقَارَا
 دَائِرًا مِنْ حَيْثُ دَارَا⁽¹⁾
 صَادَ أَطْيَارَ الْعَقُولِ
 شَبَّكَ الْخَمْرُ
 وَعَدَّ الْحَبُّ فَأَخْبَأَ
 وَاشْتَهَى الْمُطَّلَ فَسَوَّفَ
 وَرَسُولِي قَدِ تَعَرَّفَ
 مِنْهُ مَا أَدْرِي فَحَرَّفَ:
 بِاللَّهِ قُلْ يَا رَسُولِي
 لَيْشَ يَغِيبُ بَدْرِي

● ابن شرف (أبو عبد الله) المتوفي نحو سنة 570 هـ:
 يَا رَبِّ الْعَقْدَ مَتَى تَقْلُدُ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرَ ذَاكَ الْمُقْلَدُ
 مَنْ أَطَاعَ الْعَبْدَ
 عَالِي جَبِينِكَ
 وَأَوْدَعَ السُّحْرَا
 بَيْنَ جَفْوَنِكَ
 وَرَوَعَ السُّمْرَا
 بِفَرْطِ لَيْسَانِكَ
 يَا لَكَ مَنْ قَدَّ مَهْمَا تَأَوَّدَ أَهْدَى إِلَى الزُّهْرِ خَدًّا مُورَدًا

قَمَمَ فَاقْتَدَحُ زُنُودًا
 مَمِنَ الْعُجَّةَ عَار
 قَدَقَاتِ عَقَدَا
 مَمِنَ الْبَدَارِي (١)
 وَأَلْبَسْتِ بُرْدًا
 مَمِنَ الْبُنْدَارِ
 وَاشْرَبَ عَلَى وُدِّ (٢) عَلِيًّا مُحَمَّدًا نَاهِيكَ مِنْ سِرِّ وَطَيْبِ مَوْرَدِ
 الْبُنْدَارِ رِيَّا تَحَا
 عَمَّا عَمَّا عَمَّا
 وَالزَّهْرِي رِيَّا تَحَا
 إِلَيَّ نَبِيَّ دَا
 مَا الصَّبْحُ وَضَحَا
 لَوْلَا سَنَا نَبَا
 فَالْبِسْ مِنَ الْمَجْدِ بُرْدًا مَعْضَدًا وَانظَمْ مِنْ
 الشَّعْرِ (٣)

لَمَّا أَعْلَى
 فِي كَلِّ حَالِ
 مَا لَكَ قَدَاسَتُ وَاوَلَى
 عَمَّا الْكَمَالِ
 مُعَقَّةً أَدْنَى صَالَا
 مَمِنَ الْجَلَالِ
 يَهْزُ لِلْحَمْدِ (٤) نَصْلًا مُهَيَّدًا يَهْبُ بِالنَّصْرِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

انْعَمْ مِنَ الْحُسْنَى
 بِكُلِّ حُسْنِ
 فِي الشَّرْفِ الْأَسْنَى
 وَظَلَّ أَمْنِ

يا صادقاً من غنني
وأنتت ينعني
ما كوكبُ المجد الا محمدٌ فرايةُ الأمر عليه نُعقَدُ

● ابن مالك السرقسطي (أبو بكر أحمد) المتوفي سنة 571 هـ:

م إذا حـمـلـوا
فؤاد الشَّجِي يومٌ وذعوا
مالي بالنيوى
يدتستطاع
ونار الجوى
يُذكيها الوداعُ
وسرُّ الهوى
بدموعى يُذاعُ⁽¹⁾
بالحُبِّ تهملُ⁽²⁾
عيونٌ وتلتاعُ أضاعُ
هل يُرجى إيابُ
لعهد الحبائب
إذ غصنُ الشَّبابِ⁽³⁾
مطاول الجوانب
ووصل الكعابُ
مبذول المطالب
فلاتبخلُ
بالوصل ولا الصبُّ يقنعُ
لا أسألو ولا
أصغى لأواحي
بل أصبُّو إلى
هَضِيم الوشاح
مجيل الطَّلا⁽⁴⁾
مابين الأفاق

فلو يعدلُ مابتُ (5) أظما وينقعُ
 كم ذا تهججُ
 وجفني ساهرُ
 بدرٍ يطاعُ (6)
 في الصُّبح لناظرُ (7)
 لله بُرقعُ
 من سود الضَّفائرُ (8)
 إذ تُسبلُ
 فشمسُ بايل تَقنعُ
 قد ذُواعتُ دال
 منه الغصنُ اللدنُ
 معشوقُ الدلال بنا (9)
 ثم يرنوُ
 بعيني غزال
 فاحذر حين يندنوُ
 لحظٌ يرسلُ سهاماً لها القلبُ موقعُ
 مُننى النفس كمُ
 تُزهي بالثَّجني
 فـيـا بدرتمُ
 صل بعض التمني
 لمن لم يَنمُ
 وبيات يغني:
 أسمر حلو بياض كل عاشق يبيت معو (10)

● ابن زهر (الحفيد) المتوفي سنة 595 هـ:

١

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي
 قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ
 وَنَدِيمِ هَمَّتْ فِي غُرَّتِهِ
 وَبِشْرَبِ الرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ
 كَلِمَا اسْتَيْقِظَ مِنْ سُكْرَتِهِ
 جَذَبَ الرِّزْقَ إِلَيْهِ وَاتَّكَى
 وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ
 مَا لِعَيْنِي عَشِيَّتٌ بِالنُّظَرِ
 أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ ضَوْءَ الْقَمَرِ
 وَإِذَا مَا شِئْتُ فَاسْمَعْ خَبْرِي
 عَشِيَّتْ عَيْنَايَ مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ
 وَبَكَى بَعْضِي عَلَى بَعْضِي مَعِي
 غَصْنٌ بَانَ مَالٌ مِنْ حَيْثُ اسْتَوَى
 بَاتَ مَنْ يَهْوَاهُ فِي فِرْطِ الْجَوَى
 خَفِقَ الْأَحْشَاءُ مَوْهُونُ الْقَوَى
 كَلِمَا فَكَّرَ فِي الْبَيْنِ بَكَى
 وَيَحَهُ يَبْكِي لِمَا لَمْ يَقْعِ
 لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلْدٌ
 يَا لِقَوْمِي عَذَلُوا وَاجْتَهَدُوا
 أَنْكَرُوا شَكْوَايَ مِمَّا أَجْدُ
 مِثْلُ حَالِي حَقُّهَا أَنْ تَشْتَكِي
 كَمَدَ الْيَأْسُ وَذُلَّ الطَّمَعُ
 كَبِدِي حَرِي وَدَمْعِي يَكْفُ
 تَعْرِفُ الذَّنْبَ وَلَا تَعْتَرِفُ
 أَيُّهَا الْمَعْرُضُ عَمَّا أَصْفُ

قد نما حُبِّي بقالبي وزكا
 لا تخلُ في الحُبِّ أني مُدَّعي
 حَيِّ الوجوه الملاحا
 وحيي سَود⁽¹⁾ العُيون
 هل في الهوى من جُنَاح
 وفتي⁽²⁾ نَنديدِم وراح
 رام النصوص⁽³⁾ صلاحي
 وكيف أرجو صلاحا
 بين الهوى والمُجُون
 يا غائباً لا يغيبُ
 أنت البعيدُ القريبُ
 كم تشتكك⁽⁴⁾ القلوبُ
 أثخننَّهُنَّ جراحا
 واسأل سَهَمَ الجُفُون⁽⁵⁾
 أبكى العيونَ البواكي
 تذكر أخت السَّماك
 حتى حَمَامُ الأراك
 بكى بشَجْوٍ وناحا
 على فروع الغصون
 ألقى إليها زَمَامَه
 صبباً يداوى غرامَه
 ولا يطيقُ الملامَه
 غدا بشوق وراحا
 ما بين سَبِي الظنُون
 يا راحلاً لم يودع
 رحلت بالأنس أجمَع
 والعجز يُعطي ويمنع
 مَرُّوا وأخفوا الرُّواحا
 عنِّي وما ودَّعُوني⁽⁶⁾

● محيي الدين بن عربي (المتوفي سنة 638 هـ):

عندما لاح لعيني المتُّكا

ذبتُ شوقاً لَأَنذِي كَانَ مَعِي
 أَيهَا الْبَيْتُ الْعَتِيقُ الْمَشْرَفُ
 جَاءَكَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْمَسْرَفُ
 عَيْنُهُ بِالْدمعِ دوماً تَذْرَفُ
 فَرِيئَةٌ مِنْهُ وَمَكْرُفٌ الْبُكَا

لَيْسَ مَحْمُوداً إِذَا لَمْ يَنْفَع
 كَلَّمَا عَدَدْتُ فِيهِ قَالَ لِي
 لَيْسَ هَذَا فِيَّ بَلْ فِي أَيَسَ لِي
 سَأَرَى حَكْمَ قَلْبِي قَدْ بُلِي
 يَهْوَاهَا مَسْتَغِيثاً قَدْ شَكَا

وَأَنَا أَعْلَمُ شَكْوَى الْجَزَعِ
 أَشْرَقَتْ شَمْسٌ لَهُ مَا شَرَّقَتْ
 فَرَأَيْنَاهَا بِهَا إِذْ شَرَّقَتْ
 أَرَعَدْتُ سَحَاباً لَهَا مَا أَبْرَقَتْ
 فَعَلِمْنَا أَنَّهُ حِينَ بَكَى

مَا بَكَى إِلَّا لِأَمْرٍ مَوْجِعِ
 مَرَبِّي فِي لَيْلَةٍ لَيْسَ لَهَا
 آخِرٌ وَالصُّبْحُ قَدْ جَلَّهَا
 وَالذِّي حَرَّمَهَا حَلَّلَهَا
 وَانْتَدَى يَطْلُبُ وَصَالِي وَاتَكَّى

وَمَضَى إِذْ وَمَضَّا لَمْ يَرْجِعِ
 أَيهَا السَّاقِي اسْقِنِي لَا تَأْتَلِ
 فَلَقَدْ أَتَعَبَ فِكْرِي عُنْدَ لِي
 وَلَقَدْ أَنْشَدُهُ مَا قِيلَ لِي:
 أَيهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكَى

ضَاعَتِ الشَّكْوَى إِذَا لَمْ تَنْفَعِ

● ابن سهل الإشبيلي (المتوفي نحو سنة 650 هـ):

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى
 قلباً صباً حاله عن مكنس
 فهو في حرٍّ وخفق مثالهما
 لعبت ريح الصبا بالقبس
 يا بدوراً أشرقتم يوم النوى⁽¹⁾
 غُرراً تسالك، نهج الغُرر⁽²⁾
 ما لنفس في الهوى ذنب سوى⁽³⁾
 منكم الحسنى ومن عيني النظر⁽⁴⁾
 أجتني اللذات مكلوم الجوى
 والتداني من حبيبي بالفكر
 كلما أشكوه وجدني بسماً⁽⁶⁾
 كالرؤى بالعارض المنبجس⁽⁷⁾
 إذ يقيم القطر فيه مأتما
 وهي من بهجتها في عرس⁽⁸⁾
 غالب لي، غالب بالتودة
 بأبي أفديه من جاف رقيق
 ما علمنا مثل ثغر نضده
 أقحواناً عصرت منه رحيق⁽⁹⁾
 أخذت عيناه منه العريدة
 وفؤادي سُكره ما إن يضيّق⁽¹⁰⁾
 فاحمُ اللمة معسول اللمى
 ساحر الغنج شهى اللعس⁽¹¹⁾
 وجهه يتلو «الضحى» مبتسماً
 وهو من إعراضه في «عَبَس»
 أيها السائل عن جرمي لديه
 لي جزاء الذنب وهو المذنب

أخذت شمسُ الضُّحَى من وجنتيه
 مشرقاً لشمس فيه مغرباً
 ذهب الدمعُ بأشواقِي اليه
 وله خدبٌ بالحظي مُذهباً
 ينبتُ الوردُ بغرس كلِّما
 لاحظته مقلتي في الخُلَس
 لبيت شعري أيُّ شيءٍ حرماً
 ذلك الوردُ على المُغتَرس
 كلما أشكُو إليه حُرقتي
 غادرتني مقلتاه ذنفاً (12)
 تركتُ الحافظه من رَمقي
 أثر النَّمَلِ على صُومِ الصِّفا (13)
 وأنا أشكره فيما بقي (14)
 لستُ ألحاه على ما أتلفنا
 فهو عندي عادلٌ إن ظَلَمنا
 وعدُولي نطقُهُ كالخَرَس
 ليس لي في الأمر حكمٌ بعد ما (15)
 حل من نفسي محلّ النَّفس
 أضرم الدمعُ بأحشائي ضراماً
 تتلظى كلَّ حينٍ ماتشاً (16)
 هي في خديهِ بردٌ وسَلَامٌ
 وهي ضرٌّ وحريقٌ في الحشا (17)
 أتقي منه على حكم الغَرَامِ
 أسداً ورُداً وأهـواه رَشَا (18)
 قلتُ لما أن تبدي مُعلَمًا
 وهو من الحظهِ في حَرَس:
 أيها الآخذُ قلبي مغنمًا
 اجعل الوصلَ مكانَ الخُمَس

● ابن حاتمة الأنصاري (المتوفى سنة 770 هـ)

قُمْ هَاتَهَا قَهْوَةً كدَمْعِ مَهْجُورٍ
 قَدْ أَفْرَطْتَ إِفْرَاطًا فِي اللَّطْفِ وَالنُّورِ
 هَذَا الرَّيُّ تَخْتَالُ
 فِي حُأَلِ الزُّهْرِ
 قَدْ سَحَبْتَ أَذْيَالَ
 بِرَدُودِهَا الْخُضْرُ
 وَرَقَقْتَ الْأَصَالَ
 لَعَبُورَةَ الْقَطْرِ
 فَافْتَرَعْنَ حُوءَهُ⁽¹⁾ تَغْرُ الْأَزَاهِيرِ
 وَنَمَّ عَنْ أَخْلَاطِ مَسْكَ وَكَافُورِ
 فَهَاتَهَا قَدْ بَانَ
 لِعِاذِلِي عُنْزِي
 فِي نَغْمَةِ الْعِيدَانِ
 وَرَنَّةِ الزُّمْرِ
 وَالثَّمِ طُلِي الْقُطْعَانَ⁽²⁾
 وَأَرْشُفْ لِي الْخُمْرِ
 رُضَابَةً حَاوَهُ كَانُوبِ بَأُورِ
 تَخْتَالُ فِي أَسْمَاطِ مَنْ جَوْهَرَ النُّورِ
 يُبْدِي رُهَا تَبِيَّاهُ
 كَالصَّبْحِ مَرَاهُ
 إِنْ أَخْطَأَتْ كَفَّاهُ
 سَقَّتْكَ عَيْنَاهُ
 لَأَلَّهَ مَا أَبْهَاهُ
 وَمِمَّا أَحْيَاهُ
 غَصْنٌ عَلَى رَيْوهِ أَحْظُ يَعْفُورِ⁽³⁾
 مَجَوْهَرُ الْأَقْرَاطِ طَلَقَ الْأَسَارِيرِ

آه ومن يُبالي
 حـر بـأن يبـدي
 لـشـدّ مـا حـلأ
 بـالـصـبّ مـن وـجـد
 يـا عـاذـلـي مـهـلأ
 فـالـعـذـلُ لا يُـجـدي
 مـا أـبـعد السـأـوـة عـن قـلـب مـذـعـور
 تُـيـمّ فـي فـسـطـاط بـبـدر دـيـجـور
 رـفـقـا مـنـي قـلـبـي
 بـقـاب هـيـمـانـك
 قـد زـاد فـي كـرـبـي
 فـتـورُ أـجـفـانـك
 الـلـلـة فـي صـبّ
 بـنـيـل إـحـسـانـك
 يـا صـاحـب السـطـوـه وارفـق بـمـهـجـور
 أضـغـظـتـنـي إضـغـاط⁽⁴⁾ يـا فـتـنة الحـور

● لسان الدين بن الخطيب (المتوفي سنة 776 هـ):

جـادـك الغـيـثُ إذا الغـيـثُ هـمـي
 يـا زـمـانَ الوـصـل بـالـأـنـدلس
 لـم يـكـن وـصـلـك إـلا حـلـمـا
 فـي الكـرى أو حـلـسـة المـخـتـلس
 إذ يـقـودُ الدـهـرُ أشـتات المـنى
 يـنـقـلُ الخـطـو عـلى ما يـرـسـمُ
 زُـمـرا بـيـن فـرـادى، وئـنـا
 مـثـل ما يـدـعـو الوـفـودَ المـوسـمُ

- والحيا قد جَلَلَ الروضَ سَنًا
 فثَغُورُ الزُّهْرِ مِنْهُ تَبَسُّمٌ⁽¹⁾
 وروى النعمانُ عن ماء السُّمَّا
 كيفَ يروى مالِكٌ عن أنس
 فكساهُ الحسنُ ثوباً معلماً
 يزدهي منه بأزهى ما لبس⁽²⁾
 في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى
 بالدُّجى لولا شمسُ الغُرُرِ
 مال نجمُ الكأسِ فيها وهوى
 مستقيمُ السيرِ سعد الأثر
 وطر ما فيه من عيب سوى
 أنه مرَّ كالمح البَصَرِ
 حين لذَّ الأنسُ شيئاً أو كما
 هجمَ الصبحُ هجومَ الحَرَسِ
 غارت الشهبُ بنا أو ربَّما
 أثرت فينا عيونُ النَّرجسِ
 أيُّ شيءٍ لا مَرئٍ قد خلصا
 فيكون الروضُ قد مكن فيه
 نُنْهَبُ الأزهارُ منه الضَّرْصا⁽³⁾
 أمنتُ من مكره ما تتقيهِ
 فإذا الماءُ تُنْجى والحَصا
 وخلا كلُّ خليلٍ بأخيه
 تبصرُ الوردُ غيورا برما
 يكتسى من غيظه ما يتكتسى
 وترى الأسَّ لبيباً قهما
 يسرقُ السَّمْعُ بأدنى قَرَسِ⁽⁴⁾
 يا أهيلَ الحي من وادي الغضا
 وبقلبي سكن أنتم به⁽⁵⁾

ضاق عن وجدي بكم رحباً الفضا
 لا أبالي شرقه من غربه
 فأعيدوا عهد أنس قد مضى
 تعتقوا عانيكم من كربه
 واتقوا الله وأحيوا مكرمما
 يتلاشى نفساً في نفس
 حبس القلب عليكم كرمما
 أفترضون عضاء⁽⁶⁾ الحبس
 وبقلبي منكم مقترباً
 بأحاديث المنى وهو بعيد
 قمر أطاع منه المغرب
 شقوة المغررى به وهو سعيد
 قد تساوى محسن أو مذنب⁽⁷⁾
 في هواه بين وعد ووعيد
 ساحر المقلة معسول اللمي
 جال في النفس مجال النفس
 سدد السهم وسمي ورمي
 ففؤادي نهبة المفترس
 إن يكن جار وخاب الأمل
 وفؤاد الصب بالشوق يذوب⁽⁸⁾
 فهو لنفس حبيب أول
 ليس في الحب محبوب ذنوب
 أمره معتمل ممتثل
 في ضلوع قد براها وقلوب
 حكم اللحظ بها فاحتكما
 لم يراقب في ضعاف الأنفس
 منصف المظلوم ممن ظلما
 ومجازي البر منها والمسى

ما لقلبي كلما هبت صبا
 عاده عيد من الشوق جديد
 كان في اللوح له مكتتاباً
 قوئلُه «إنَّ عَدَابِي لَشَدِيدُ»
 جالبَ الهمَّ له والوصبَا
 فهو للأشجان في جهد جهيد
 لاعجٌ في أضاعي قد أضرمَا⁽⁹⁾
 فهي نارٌ في هشيم اليبس
 لم يدغ في مهجتي إلا ذما
 كبقاء الصبح بعد الغلس
 سلمى يا نفس في حكم القضا
 واعمري الوقت برجعى ومتاب
 دعك من ذكرى زمان قد مضى⁽¹¹⁾
 بين عتبي قد تقضت وعتاب
 واصرفي القول إلى المولى الرضا
 ملهم التوفيق في أم الكتاب
 الكريم المنتهى والمنتمى
 أسد السرح ويدر المجلس
 ينزل النصر عليه مثل ما
 ينزل الوحي بروح القدس⁽¹²⁾
 مصطفى الله سمي المصطفى
 الغني بالله عن كل أحد
 من إذا ما عقد العهد وفى
 وإذا ما قبح الخطب عقد⁽¹³⁾
 من بني قيس بن سعد وكفى
 حيث بيت النصر مرفوع العمد
 حيث بيت النصر محمي الحمى
 وجنى الفضل زكي المغرس

والهوى ظلُّ ظليلٌ خيِّما
والندى هباً إلى المغتسر⁽¹⁴⁾
هاكها ياسبب أنصار العُلا
والذي إن عثر الدهرُ أقال
غادة ألبسها الحسنُ مُلا⁽¹⁵⁾
تبهرُ العين جلاء وصقال
عارضت لفظاً ومعنى وحُلا
قول مَنْ أنطقه الحبُّ فقال:
هل ذرى ظبي الحمى أن قد حمى
قلب صب حلة عن مكنس
فهو في حرٍّ وخفق مثل ما
لعبت ریح الصبا بالقبس

٢

يا حادي الجمال عرِّج على سلا⁽¹⁾
قد هام بالجمال قلبي وما سلا
عرِّج على الخليج
والرمل في الحمى
في المنظر البهيج
بالبيض كالدمى
والأبطح النسيج
من صنعة السَّما
لله من جلال تختال في حُلا
لم تلف في اعتدال عنهنَّ معدلا
وطُف من الرِّباط
بـركن طائف
بمنزل اغتباط
دار الخلائف

مـ قـ دـ سـ المـ واطـ
 جـ مـ العـ وارفاً
 كم من سنا هلال بأفقه انجلى
 أنحى على الضلال فانجاب وانجلى
 جنى النعيم دان
 والبحر والغدير
 أهله الشواني
 في أفقه تسيير
 وقهوه الدنان
 يُديرها مُدير
 أغر كالغزال مقلد الطلا
 يسطو ولا يبالي بالأسد في الضلا
 أولى إليك أولاً
 من ذكر معهد
 أكثرت فيه قولا
 في كل مشهد
 خذفي امتداح مولى
 نذب مؤيد
 مُجد الجلال مُشهر العُلا
 قد فاق في كمال وراق مُجتلا
 موافق الخليل
 في الاسم والسمات
 ذي المنظر الجميل
 الرائق الصفات
 مُكرم الدخيل
 ومُجزل الهبات
 ومحسب التوال لمن توسلا
 ورافع المعالي سُحبا مُظلالا

يَا مَنْ عُلَاهُ دَرَّتْ
 بِكُلِّ نَائِلٍ
 خُنْهَا إِلَيْكَ جَرَّتْ
 ذَيْلَ الْخَمَائِلِ
 وَفِي حُؤْلَاكَ أُرْتِ
 بِقَوْلِ قَائِلٍ:
 يَا مَنْزِلَ الْغَزَالِ حَيَّيتُ مَنْزِلًا
 فَمَا أَرَى بِسَالٍ عَنْهُ وَإِنْ سَلَا

● ابن زمرك (المتوفي سنة 795 هـ):

نَسِيمٌ غَرْنَاطَةٌ عَلِيلٌ
 لَكِنَّهُ يُبْرِئُ الْعَلِيلُ
 وَرَوْضُهُمَا زَهْرٌ بِأَيْلٍ
 وَرَشْفُهُ يُنْقَعُ الْغَلِيلُ
 سَقَى بِنَجْدِ زَيْلِ الْمُصَالِي
 مَبَاكِرًا رَوْضَهُ الْعَمَامُ
 فَجَفَنَهُ كَلِمًا اسْتَهْلًا
 تَبَسَّمَ الزَّهْرُ فِي الْكَمَامِ (1)
 وَالرَّوْضُ بِالْحُسْنِ قَدْ تَجَالَى
 وَجَرْدُ النَّهْرِ عَنِ حُسَامِ
 وَدَوْحُهُمَا ظِلٌّ ظَلِيلُ
 يَحْسُنُ فِي رِبْعِهِ الْمُقْبِيلُ
 وَالْبَرْقُ وَالْجَوْ مُسْتَطِيلُ
 يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الصَّقِيلُ
 عَقِيلَةٌ تَاجُهَا السَّبِيكَةُ
 تُطَلُّ بِالْمَرْقَبِ الْمَنْيْفُ
 كَأَنَّهَا فَوْقَهُ مَالِيكَةُ
 كَرَسِيَّهَا جَنَّةُ الْعَرِيْفُ

- تطبعُ من عسجد سبيكة
 شموسُها كلُّها تُطيفُ (2)
 أبدوها الخالقُ الجليلُ
 يا منظرًا كلُّه جميلُ
 قلبي إلى حسنه يميلُ
 وقبلنا قد صبا جميلُ (3)
 وزاد لحسن فيك حسنا
 محمدُ الحمد والسمحُ
 جدُّ لفخر فيك معنيُ
 في طالع اليُمن والنجاحُ (4)
 تُدعى رشاداً وفيك معنيُ
 يخصُّك الفضلُ بافتتاحُ (5)
 فالنصر والسعد لا يزولُ
 لأنه ثابتٌ أصيلُ
 سعدٌ وأنصارُهُ قبيلُ
 أباًؤُهُ عترةُ الرسولِ
 أبدى به حكمه القديرُ
 وتوجَّ العروضُ بالقبابُ
 ودرعُ النهْرُ بالغديرِ
 وزيّن الزهرُ بالحبابُ (6)
 فمن هديلٍ ومن هديرِ
 ما أولع الحُسنُ بالشبابُ
 هبَّتْ عمل روضها القبولُ
 وطرفُها بالسُرى كليلُ (7)
 فلم يزلْ بينها يجولُ
 حتى تبدتْ له حجولُ
 للزهر في عطفها رقومُ
 تلوخُ لعين كالنجومُ

ولانندي بينها رسومٌ
 عقدُ الندى فوقها نظيمٌ (8)
 وكلُّ وادٍ بها يهيم
 ولم يزل حولها يحومُ
 سُنْبُأُها مُدْمَنُه نيلٌ
 والسَّيْنُ أَلْفُ لِمَسْتَنِيلٌ (9)
 وعَيْنُ وادٍ لَهُ تَسْيِلُ
 من فوق خدِّه أسيلٌ (10)
 كم من ظلالٍ به تُرفُ
 تطفؤ له فوقها سُتُورُ
 ومن زجاجٍ به يشفُ
 ما بين نورٍ وبين نُورُ
 ومن شمسٍ به تحفُ
 تُديرُها بينها البُدورُ (11)
 مزاجها العذبُ سلسبيلُ
 يا هل إلى رشفها سبيلُ
 وكيفَ والشَّيبُ لي عدولُ
 وصبغُه صفرةُ الأصيلُ
 يا سرحةً في الحمى ظلاليه
 كم نلت في ظلكَ المنى
 روضك الاله من خميلة
 يُجنى بها أطيّبُ الجنى
 ويرفُّها صادقُ المخيلة
 ما زال بالغيث محسناً
 أنجز لي وعدك القبولُ
 فلم أقل مثل من يقولُ:
 يا سرحه يا مطلولُ
 شرحُ الذي بيننا يطولُ

● اللخمي الغرناطي (أحمد بن علي)، من شعراء القرن التاسع الهجري:

حِيَاك بِالْأَفْرَاحِ دَاعِي الصَّبَّاحِ

قَمِّمْ لَأَصْطَبِ بِبِـبَاحِ

فَالنُّومُ فِي شَرَعِ الْهَوَى لَا يُبَاحُ

وَالصَّبْحُ قَدْ جَرَّدَ مِنْهُ حُسَامُ

بِبَادِ الْقَبْقَبِ سَامُ

تَضَحَى وَجْوهُ الزُّهْرِ مِنْهُ وَسَامُ

ذَاتِ ابْنِ تَبْتِ سَامُ

وَحَامُ جَنَحِ اللَّيْلِ قَدْ دَعَا سَامُ

مَمَّيَا يُسَامُ

وَخَافِقُ الْبَرْقِ بَدَا بِالنِّيَاخِ

سَامِي السَّيَاخِ

وَأَدْمَعُ الْمُزْنِ بِهِ فِي انْسِيَاخِ

وَالرُّوْضُ مِنْ ذَاكَ الْهَتُونِ الْبَلِيْلِ

ظَلُّ ظَلِّ الْيَلِّ

يَغْدُو نَسِيمَ الزُّهْرِ مِنْهُ عَلِيْلِ

يَشْفِي الْغَلِيْلِ

وَسَاجِعُ الْبَلْبَلِ يُبْدِي أَلِيْلِ

عَالِي الْخَالِيْلِ

لِمَا رَأَى تَلِكَ الْغِيَاضِ الْفُضَاخِ

غَنَّيَ وَصَاخِ

وَكَادِ يَزْرِي بِالطَّيُورِ الْفُضَاخِ

إِنِّي بِذِكْرِي لَلتَّصَابِي أَطْيِبُ

عَنْ كَلِّ طَيِّبِ

كَأَنَّمَا تَذَكَرُهُ لِي مَطْيِبُ

غَضُّ رَطِّ يَطْيِبِ

حتى إذا ما قمتُ فيه خطيباً
 بممايَ طيِّباً
 رأيتُ مدحي لاصفات الملاح
 عيناً الصَّحَّاح

فلم أصخ فيه إلى قول لآخ
 أما ترى ابن البازي استمال
 قلابي فَمَـالُ
 غيثٌ ولكن ليس فيه انهمال
 إلا بَمَـالُ
 بدرٌ ولكن ليس إلا الكَمالُ
 ثم الجَمالُ
 له بأفق المعالوات التماح
 إلى الطمماح

وشأنه البذلُ وفرطُ السَّماح
 قد حاز فضل⁽¹⁾ السَّبق بين الوجود
 حانماً أوجود
 تَهوي السما كان إليه سجود
 مَهَمَّـا يـجود
 وذاته العالِياء روضُ مجود
 عَالِي النُّجود
 شذاه للمأمول (2) والسُّؤال راح
 والاقـتـراح

وموردُ العالِيين منه قُراح
 بمثل هذا الدُّخْرِيُّ شَقَى الغرامُ
 مَمَّـا يُـرامُ

وكؤوسُ الراح بين النُّدمَا
 أُرْجَت بالعرف أفقَ المجلس
 خمرةٌ صفراءُ في البأورما
 أشبَّه الراحَ بروض النُّرجس
 بادر اللذات واجمَع شَمَاهَا
 بممدام وغلام مطرب
 ذي عيون ناعسات كم لها
 من فنون السَّحر ما يلعبُ بي
 وافر الأرداف عانى حمَاهَا
 ناحل الخصر وذا من عَجَب
 كلما أفرغ كأساً قال ما
 أنت بالشاري حياة الأنفُس
 فابذل الجهدَ وكن مغتنماً
 لنعيش العيشَ طيباً الأنفُس
 فرصُ اللذات كن منتَهزاً
 بشذاها قبل حذف الخَبَر
 وليالي الأنس كن منتَجراً
 قبل أن تمضي كالمح البَصَر
 واجتني زهر الهوى محترزاً
 من جنائيات هموم الكبر
 لا تكن يوماً جباناً حيثُما
 لاحت اللذات كالمختلس
 ما مضى يومٌ ووافى مثلاًما
 كان فالدهرُ لنا بالحرس
 للرياض اذهب ترى بابِلَهَا
 يتغنى بين زهرين جلي
 وخُدود الروض قد كَلَّهَا
 دمغٌ طلل لاشتياق البائل

وَقُدُودُ الْبَبَانِ قَدْ قَامَ لَهَا
 يَانَعُ الْغَصْنِ مَقَامَ الْأَسَلِ
 وَالرُّبَى فَاحَتْ تَحَاكِي خُزْمَا
 وَعَلَيْهَا مِنْ ثِيَابِ السُّنْدُسِ
 جِيْبُهَا زَرَزَ بِالزَّهْرِ كَمَا
 زَرَبَ الْفَضَّةَ ثَوْبُ الْأَطْلَسِ
 وَجَلَا الرُّوْضُ لَنَا أَشْجَارَهُ
 مَائِسَاتٍ فِي قِبَاءِ أَخْضَرِ
 وَتَرَى فِي جِيْدِهَا أَنْوَارَهُ
 تَتَلَأَلُ كَعَقُودِ الْجَوْهَرِ
 خَالِعِ اللَّيْلِ بِهِ أَطْمَارَهُ
 فَغَدَا كَالصَّبْحِ بَاهِي الْمُنْظَرِ
 وَبِقَايَاهُ زَهَتْ فِيهِ كَمَا
 فِي شَفَاهِ الْغَيْدِ حَسَنَ اللَّعَسِ
 كَعَدَارٍ فِي مُحَيَّا عَالِمَا
 فَبَدَا لِلْعَيْنِ لَا لِلْمَأْمَسِ
 حَبْنَا الصَّبْوَةَ أَيَّامَ الصَّبَا
 وَعَيُونُ الشَّيْبِ فِي سَهْوِ الْوَسْنَجِ
 فَإِذَا أَيْقَظَهَا دَهْرُ صَبَا
 لَصُرُوفِ حَدِّ حَدِيدِهَا وَسَنَ
 جَرْدِ الشَّيْبِ بِيَاضاً أَشْيَباً
 وَاقْتَفَى شَرْحَ شَبَابٍ وَطَعَنَ
 وَغَدَا الْإِنْسَانُ شَيْخاً هَرْمَا
 وَاعْتَرَاهُ لَاعِجٌ مِنْ هَجَسِ
 فَإِذَا مَا فَاتَ يَقْضِي نَدْمَا
 وَاعْتَنَامُ الْوَقْتِ فَعَلُّ الْأَكْيَسِ
 لَا تَدْعُ عَمْرَكَ يَمْضِي هَدْرَا
 أَنْتَ إِذَاكَ جَبَانَ غَافِلُ

وارقَ بالجهل من النُّبيل ذرى
واجتهدْ فالدهرُ ضرعُ حافلُ
إنما الأيامُ أمثالُ الشُّرى
والجرىءُ الشَّهْمُ ليثٌ بأسلُ
ووحوشُ الأُنسِ تبقَى مغنما
بارداً للأسدِ المُفْتَّرسِ
ترك الوهمَ وخاضَ الظُّلماً
ولهُ عزمٌ أضاً كالقَبَسِ

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

● من «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام

● ● ●

● من مقدمة «دار الطراز» لابن سناء الملك

● ● ●

● من «المقتطف من أزاهر الطرف» مقابلا على «مقدمة» ابن خلدون،

و «نفع الطيب»

● ● ●

● من مقدمة «توسيع التوشيح» للصفدي

من الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام

فصل في ذكر الأديب أبي بكر عبادة بني ماء السماء؛ واثبات جملة من شعره، ما يتعلق به من ذكره: قال ابن بسام هو عبادة بن عبد الله الأنصاري، من ذرية سعد بن عبادة، وقيل له ابن ماء السماء لجدهم الأول. ولحق بقرطبة (في أيام) ⁽¹⁾ الدولة العامرية والحمودية، ومدح رجالها، وكان أبو بكر في ذلك العصر شيخ الصناعة وإمام الجماعة، سلك إلى الشعر مسلكاً سهلاً، فقالت له غرائبه مرحباً وأهلاً. وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، ووضحوا ⁽²⁾ طريقتها غير مرقومة البرود، ولا منظومة العقود، فأقام عبادة هذا منأذها وقوم ميلها وسناذها فكأنها لم تُسمع إلا منه، ولا أخذت إلا عنه، واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته.

وهي أوزان كثيرة كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تُشَقُّ على سماعها مصوناتُ

الجيوب، بل القلوب،

وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا، واخترع طريقتها-فيما بلغني- محمد بن محمود (3) القُبْرِي الضَّرِير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير المستعملة، يأخذُ اللفظَ العاميَّ العجميَّ ويُسمِّيهِ المركز، و يضعُ عليه الموشحة، دون تضمين (4) فيها ولا أغصان.

وقيل إن ابنَ عبد ربِّه صاحبَ كتابِ العُقْدِ أول مَنْ سبقَ إلى هذا النوع من الموشحات عندنا.

ثم نشأ يوسفُ بن هارون الرَّمادي، فكان أول من أكثرَ فيها من التضمين في المراكز، يُضمِّن كلَّ موقفٍ يقفُ عليه في المركز خاصةً، فاستمر على ذلك شعراء عصره (5) كمكرم بن سعيد وابن أبي الحسن،

ثم نشأ عبادة (ابن ماء السماء) هذا، فأحدث التَّغيير (6)، ذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان، فيضمَّنُها، كما اعتمد الرَّمادي مواضع الوقف في المركز.

وأوزانُ هذه الموشحات خارجةٌ عن غرض هذا الديوان، إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب، وقد أثبت من شعر عبادة في هذا الفصل ومن سائر كلامه، ما يدل على تقدمه وإقدامه..

فصل: في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن عبادة، المعروف بابن القزَّاز: من مشاهير الأديباء الشعراء. وأكثر ما ذكر اسمه، وحُفظَ نظمه في أوزان الموشحات، التي كثر استعمالها عند أهل الأندلس. وقد ذكرت فيما اخترت في هذا القسم من أخبار عبادة بن ماء السماء. من برع في هذه الأوزان من الشعراء. وهذا الرجلُ ابنُ القزَّاز ممَّنْ نسج على منوال ذلك الطراز، ورقم ديباجة ورصع تاجه، وكلامه نازلٌ في المديح، أما ألفاظه في التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشُّوف، وتلك الأعاريضُ خارجةٌ عن (غرض) (7) هذا التصنيف.

من مقدمة «دار الطراز»

لابن سناء الملك

«إنَّ الموشحات مما تركَ الأوَّلُ للأخر، وسبقَ بها المتأخَّرُ المتقدم، وأجلبَ بها أهلُ المغرب على أهل المشرق، وغادرَ بها الشعراء من مُتَرَدِّم، مُلَحَّه

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

الدَّهْر، وبابل السَّحْر، وعنبرُ الشَّحْر، وعودُ الهَنْد، وخمرُ القفص، وتبرُ الغَرْب، ومعيَّارُ الإفْهَام وميزانُ الأذْهَان... صار المغربُ بها مُشْرِقاً لشروقها بأفقه، وإشراقها في جَوْه، وصار أهلهُ بها أغنى الناسَ لِطَفْرِهِمْ بِالكَنْز الذي دَحَرْتَهُ لَهُم الأيَّامُ، وبالمعدن الذي نام عنه الأنامُ..

حد الموشح:

الموشَّحُ كلامٌ منظومٌ على وزن مخصوص. وهو يتألفُ في الأكثر من سِتَّة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التَّام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع. فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات.

فمثال التَّام موشحُ الأعمى وهو الذي سارت به الركبانُ:
ضاحكٌ عن جمانٍ سافر عن بَدْرٍ ضاق عنه الزَّمانُ وحواه صدري⁽¹⁾
فهذا الموشح ابتدئ بقله. ومثال الأقرع:

سَطْوَةُ الحَبِيبِ
أحلى من جني النحل
وعلى الكئيب
أن يخضع للندل
أناف في حروب
مع الحدق النُّجول
ليس لى يدان بأحور فتان من رأى جفونهُ فقد أفسدت دِينهُ⁽²⁾

فهذا الموشحُ ابتدئ ببيته.

والأقفالُ هي أجزاءٌ مؤلفةٌ يلزمُ أن يكون كلُّ قفْلٍ منها متفقاً مع بقيةِها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها.

والأبيات هي أجزاءٌ مؤلفةٌ مُفْرَدَةٌ أو مُرَكَّبَةٌ، يلزم في كل بيتٍ منها أن يكون متفقاً مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزائها لا في قوافيها، بل يحسن أن تكون قوافي كلِّ بيتٍ منها مخالفةً لقوافي البيت الآخر. والقفْلُ- كما تقدم- يترددُ في الموشح ستَّ مراتٍ في التَّام، وخمس مراتٍ في الأقرع. وأقلُّ ما يتركبُ القفْلُ من جزأين فصاعداً إلى ثمانية أجزاء، وقد يوجدُ

في النَّادر ما قفله تسعة أجزاء وعشرة أجزاء، ولم أجد للمغاربة منه ما أثقُ
بُنسبه، فلهذا لم أذكر مثالا منه.

والبيت لا بد أن يتردد في التام وفي الأقرع خمس مرات. وأقل ما يكون
البيت ثلاثة أجزاء. وقد يكون في النَّادر من جزأين، وقد يكون من ثلاثة
أجزاء ونصف، وهذا لا يكون إلا فما أجزاءه مركبة. وأكثر ما يكون خمسة
أجزاء.

والجزء من القفل لا يكون إلا مفرداً، والجزء من البيت قد يكون مفرداً
وقد يكون مركباً. والمركب لا يتركب إلا من فقرتين أو من ثلاث فقر، وقد
يتركب في الأقل من أربع فقر.

وسنكتب هاهنا مثالا لكل ما ذكرناه ليتلخص ويتشخص، وينتقل ما
ندركه بالقول سماعا إلى أن تراه بالخط عياناً. فأمثله الأفعال:

القفل المركب من جزأين:

شـمـسـ قـارنـتـ بـدراً

راحٌ وئامٌ ⁽³⁾ ديمٌ

المركب من ثلاثة أجزاء:

حـاـتـ يـدُ الأمـطـار

أزرة النوار فياخذني ⁽⁴⁾

المركب من أربعة أجزاء:

أدر لنا اكواب يُنسى بها الوجدُ واستحضر الجلأسُ كما اقتضى الودُ ⁽⁵⁾

المركب من خمسة أجزاء:

يا من أجودُ ويبخلُ

عالي شحى وافتقاري

أهواك وعندي في زيادة

منها شوقي وادكاري ⁽⁶⁾

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

المركب من ستة أجزاء:

ميتاتُ الدَمَنُ أَحْيَيْنَ كَرْبِي وهل يَتَمَكَّنُ
عزاءٌ لقلبي مت يا عزاه شاه (7)

المركبُ من سبعة أجزاء:

الموشحُ المعروف بالعرُوس، وهو موشحٌ ملحونٌ، واللحنُ لا يجوز استعمالُهُ في شيء من ألفاظ الموشح، إلا في الخرجة خاصة، فلهذا لم نوردَ مثاله (8)

المركب من ثمانية أجزاء:

على عيون العين رعى الدراري من شُغفٍ بالحُب
واستعذب العذاب - والتذخاليه من أسفٍ وكربٍ (9)

وقد يندر في بعض الموشحات الشاذة التي لا يعول عليها أن تكون أقفالها مختلفة أعداد الأجزاء، كالموشح الذي أوله:

بـأبـي عـاـقـق
بـالـنـفـس عـاـقـق (10)

وهذا الموشحُ لُعْبادة، فإنَّ قفله الأول جزءان، وبقية أقفاله ثلاثة..

أمثلة الأبيات

أمثلة ما أجزاءه مفردة:

ما هو منها على ثلاثة أجزاء:

أرى لك مهتد أحاط به الإثم فجرد ما جرد

فيا ساحر الجفن
حسامك قطاع (11)

ما هو منها على أربعة أجزاء:

قد باح دمعِي بما أكْتَمُهُ
وحنَّ قلبي لَمَنْ يظالمُهُ
رَشَا تَمَرَنَ في لَأْفَمُهُ
كم بالمُنَى أبداً أَلْثَمُهُ

يفترعن لؤلؤ متسق
 من للأقاح بنسيمه العبيق (12)

أمثلة الأبيات التي أجزاؤها مركبة:

ما تركب بيته من فقرتين وثلاثة أجزاء:

أقلمهم عُذري
 فقة أن أن أع كفف
 على خم مر
 يطفوف بها أوطف
 كمتادري
 هضيم الحشى مخطف
 إذا ما ماد في مخضرة الأبراد رأيت الآس بأوراقه قد ماس (13)
 ما تركب من فقرتين وثلاثة أجزاء ونصف:

من أودع الأجدف أن
 صوارم اله نند
 وأنبت الريحان
 في صفة حمة الخد
 قضى على الهيمان
 بالدمع والسهد
 أني وللكتمان
 للهائم المغرم بدمع نم إذيسجم بما يكتم من الشر

في عاطل حال غرير ساط على الدعج (14)

ما تركب من فقرتين وأربعة أجزاء:

ما حوى محاسن الدهر
 إلا غزال
 مغرق الخدين من فهر
 عم وخال

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

نَسِيبَةٌ لِلنَّائِلِ الْعَمْرِ
وَلِلنَّائِلِ زَالِ
فَأَنَا أَهْوَاهُ لِلْفَخْرِ
وَلِلنَّجْمِ مَالِ

وَجْهَةٌ وَجْهٌ طَلِيقٌ لِلضِّيُوفِ مُشْرِقٌ
وَيَدُ تَسْطُو عَلَى الْأَسَدِ فَتُفْرِقُ (15)

ما تركب من فقرتين وخمسة أجزاء:

هُنَّ الظُّبَا الشَّمْسُ
قَنِيصُهُنَّ الضُّيُغَمُ
مَا إِنْ لَهَا مِنْ كُنُوسِ
إِلَّا الْقَابِ وَبُالْهُيَّيْمِ
الْقُرْبُ مِنْهَا عُرْسُ
وَالْبُعْدُ عَنْهَا مَأْتَمُ
تَاكِ الشَّفَاهُ الْأُعْسُ
يَحْيَا بِهِنَ الْمُغْرَمُ
لَهَا لِحَاظُ نُعْسُ
تَرْنُو إِلَى مَنْ يَسْقَمُ

بأعين الغزلان وتبتسم عن جوهر الأسماط
قضى لها العيران أن تكتم في مضمّر الأنياط (16)
وقد يندر في بعض الموشحات ما يكون بيته جزأين مركبين من فقرتين،
وهو شاذ جدا وهو:

بَاكَرٌ إِلَى الْخَمْرِ
وَاسْتَنْشِقُ الزَّهْرَا
فَالْعُمْرُ فِي خُسْرٍ
مَا لَمْ يَكُنْ سُكْرَا

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

وهذا معجزٌ معورٌ، وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين أو ثلاثة،
كقول ابن بقي:

ليلٌ طويلٌ ولا معينٌ يا قلبَ بعضِ الناسِ أما تلين؟ (21)
فمنَّ قدر أن يقولَ هكذا فليعرب وإلا فليعرب.

والمشروعُ بل المفروضُ في الخرجة أن يجعلَ للخروج إليها وثباً واستطراداً،
وقولاً مستعاراً على بعض الألسنة، إما السنةُ الناطقُ أو الصامت، أو على
الأغراض المختلفة للأجناس. وأكثرُ ما تجعَلُ على السنة الصبيان والنسوان،
والسكري والسكران، ولا بدُّ في البيت الذي قبلَ الخرجة من: قال أو قلتُ،
أو غنّى أو غنيتُ أو غنّتُ (22) فاجعل على لسان الحمام: قولُ عبادة:

إِنَّ الْحَمَامَ

فِي أَيِّكَهَا تَشْدُو

قُلْ هَلْ عَلِمَ أَوْ هَلْ عَهْدٌ أَوْ كَانَ كَالْمُعْتَصِمِ وَالْمُعْتَصِدِ مَلِكَانَ (23)
ومما جعلَ على لسان الغرام قولُ ابن بقي:

أَنَا وَأَنْتَا

أَسْوَةٌ هَذَا الْهَجْر

وَبِالضَّبْرِ بِنْتَا

عِنْدَ انْصِدَاعِ الْفَجْر

وَمِنْ رِحَالِنَا

غَنَى الْجَوَى فِي صَدْرِي

(24) سافرَ حبيبي سحرَّ وما ودعتوا يا وحشٌ قلبي في الليل إذا افتكرتو
ومما استعيرَ على لسان الهيجا قولُ عبادة:

فَالْهَيْجَا تُغْنِي

وَالسَّيْفُ قَدْ طَرِبَ

(25) ما أملح العساكر وترتيب الصفوف والأبطال تصيحُ الوثائق يا مليح

ولو ذكرنا مثلاً لكلِّ لسان استعاره القومُ لطالت الألسنة، وحصل الملألُ
والكلالُ، وقد ذكرنا منها ما يُجزى ويكفي من المثال.

وقد تكونُ الخرجةُ عجميةً اللفظ، بشرط أن يكونَ لفظها أيضاً في العَجَمِيّ سَنَسَافاً نَفْطِيَا، وِرَمَادِيَا زُطْيَا .
والخرجةُ هي أوزارُ الموشحِ، وملحّةٌ وسُكْرَةٌ، ومسكَةٌ وعنبرَةٌ، وهي العاقبةُ وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمةُ بل السابقةُ وان كانت الأخيرة، وقولي السابقةُ لأنها التي ينبغي أن يسبقَ الخاطرُ إليها، ويعملها مَنْ ينظم الموشحَ في الأول وقبل أن يتقيدَ بوزن أو قافية، وحين يكون مسيِّباً مسرّحاً، ومتبجّحاً منفسحاً، فكيفما جاء اللفظُ والوزنُ خفيفاً على القلب، أنيقاً عند السمع، مطبوعاً عند النفس، حلواً عند الذوق، تناوله وتوَلَّه، وعامله وعمله، وبنى عليه الموشحُ، لأنه قد وجدَ الأساسَ، وأمسك الذنَبَ ونصبَ عليه الراسَ .
وفي المتأخرينَ مَنْ يعجزُ عن الخرجة، فيستعيرُ خرجةً غيره، وهو أصوبُ رأياً ممن لا يوفقُ في خرجته بأن يُعْرِبَهَا ويتعاقل ولا يلحنُ، فيتخافُ بل يتناقلُ.

(الأوزان):

والموشحات تنقسم قسمين: الأولُ ما جاء على أوزان أشعار العرب، والثاني ما لا وزن له فيها ولا إمام له بها .
والذي على أوزان الأشعار ينقسم قسمين: أحدهما ما لا يتخللُ أقفاله وأبياته كلمةً تخرجُ به تلك الفقرة التي جاءت فيها تلك الكلمة عن الوزن الشعري، وما كان من الموشحات على هذا النسج فهو المرذولُ المخذولُ، وهو بالمخمسات أشبهُ منه بالموشحات، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء، ومَنْ أراد أن يتشبهَ بما لا يعرف، ويتشيعَ بما لا يملك، اللهم إلا إن كانت قوافي قفلةً مختلفة، فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن الخمسّات، كقول بعضهم:

يا شقيق الروح من جسدي

أهوى بي منك أم لمم⁽²⁶⁾

فهذا من المديد، وكقول الآخر:

أيها الشاكي إليك المشتكى

قد دعوناك وإن لم تسمع⁽²⁷⁾

فهذا من الرمل.

وفي شجعان الوشّاحين والطّعّانين في صدور الأوزان مَنْ يأخذُ بيتَ
شعر مشهوراً فيجعله خرجةً، ويبنى عليه موشحةً، كما فعل ابنُ بقى في
بيت ابن المعتز وهو:

عَلَمُونِي كَيْفَ أَسَأُو وَإِلَّا

فأحجبوا عن مقلتي الملاحا (28)

فإنَّ ابن بقي جعله خرجةً لموشحه، وسيأتي ذكره.
وفي الوشّاحين من أهل الشطّارة والدّعارة مَنْ يأخذُ بيتاً من أبيات
المحدثين فيجعله بألفاظه في بيت من أبيات موشحه، كما فعل ابن بقي في
بيتي كشاجم، فإنَّ كشاجم قال:

يقولون تُبُّ والكأسُ في كَفِّ أُغْيِدِ

وصوتُ المثنائي والمثالث عال

فقلتُ لهم لو كنتُ أضمرتُ توبةً

وأبصرتُ هذا كلُّه لبدا لي

فقال ابنُ بقي:

قائلوا ولم يقولوا صوابا

أفنيّت في المجون الشّبّابا

فقلت لونيوت متابا

والكأسُ في يمين غزالي والصوتُ في المثلث عال لبدا لي (29)

والقسم الآخر ما تخللت أفضاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة
كانت أو ضمةً أو فتحةً، تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً، وقريضاً محضاً،
فمثالُ الكلمة قولُ ابن بقي:

صبرتُ والصَّبْرُ شيمَةُ العاني

ولم أقل للمطيل هجراني مُعذّبي كَفّاني (30)

فهذا من المنسرح، وأخرجه منه قوله: «مُعذّبي كَفّاني»
ومثالُ الحركة هو أن تُجْعَلَ عليه قافيةٌ في وزن، ويتكلف شاعرُها أن
يعيد تلك الحركة بعينها وبقافيتها، كقوله:

يا ويح صبا إلى البرق
 لـه نـظـر
 وفي البكاء مع الـوزق
 لـه و طـر (31)

فهذا من البسيط، والتزام إعادة القافية في وسط الوزن على الحركة المخفوضة هو الذي أشرنا إليه.

والقسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في شيء من أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير، الجُم الغفير، والعدد الذي لا ينحصر والشارد الذي لا ينضبط. وكنت أردت أن أقيم لها عروضاً يكون دفترها لحسابها، وميزاناً لأوتادها وأسبابها، فعز ذلك وأعوز، لخروجها عن الحصر، وانفلاتها من الكف، ومالها عروض إلا التلحين، ولا ضرب لها إلا الضرب، ولا أوتاد إلا الملاوي ولا أسباب إلا الأوتار، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور، والسالم من المزحوف. وأكثرها مبني على تأليف الأرعن (32)، والغناء بها على غير الأرعن مستعارٌ وعلى سواء مجاز.

والموشحات تنقسم من جهة أخرى إلى قسمين: قسم أقفاله وزن أبياته، حتى كأن أجزاء الأبيات من أجزاء الأقفال، كقول الأعمى:

أحلى من الأمن	يرتاع من قُربي	ويفرق
في وجهه سنّة	يشجى بها العدل	ويشرق
لله ما أقرب	على محبّيه	وأبعدا
حلو اللّمي أشنب	أسى الضنّي فيه	وأسعدا
أحبب به أحبب	ويا تجنّيه	طال المدى
أما ترى حزني	ناراً على قلبي	تحرق
حسبي بها جنّة	يا ماء يا ظل	يا رونق (33)

وقسم أقفاله مخالفة لأوزان أبياته مخالفةً تتبيّن لكلّ سامع، ويظهر طعمها لك ذاتق، كقول بعضهم:

الحُبُّ يجنيك لذة العَدل
 والـلومُ فيه أحلى من القَبَل

لكل شيء في الهوى سببٌ
جَدُّ الهوى بي وأصله الأعبُ

وأن لو كان جدياً يعني
كان الإحسانُ من الحُسن (34)

فها أنت ترى مباينة الأفضال للأوزان مباينةً ظاهرةً، ومخالفةً بعضها لبعض مخالفةً واضحةً، وهذا القسم لا يجسرُ على عمله إلاّ الراسخون في العلم من أهل هذه الصناعة، ومن استحقَّ منهم على أهل عصره الإمامة. فأما مَنْ كان طفيلياً على هذه المائدة، فإنه إذا سمعَ هذا الموشح، ورأى مباينة أوزان أقفاله لأوزان أبياته ظنَّ أن هذا جائز في كل موشح فعلم مالا يجوزُ عمله، وما لا يمشيه التلحينُ له، وتظهرُ فضيحةً فيه وقت غنائه، فإن المغني ببعض الآلات يحتاجُ إلى أن يغيّر شدَّ الأوتار عند خروجه من القفل إلى البيت، وعند خروجه من البيت إلى القفل، وهذا مكان ينبغي أن يلحظ ويُحفظ.

والموشحات تنقسمُ من جهة أخرى إلى قسمين، قسم لأبياته وزن يدركه السمعُ، ويعرفه الذوقُ كما تُعرَفُ أوزان الأشعار، ولا يحتاج فيها إلى وزنها بميزان العروض، وهو أكثرها، وقسمٌ مضطربُ الوزن، مُهلَّه النَّسج، مفكك النظم لا يحسُّ الذوقُ صحَّته من سقمه، ولا دخوله من خروجه، كالموشح الذي أوله:

أنت اقتراحي
لا قرب الله الواحي

مَنْ شاء أن يقولَ فإني لستُ أسمعُ

خضعتُ في هوائكَ وما كنتُ لأخضعُ

حسبي على رضاك شفيعٌ لي مشفَعُ

نشوانُ صاحبي

بين ارتياع وارتياح (35)

فها أنت ترى بُبُوَ الذوق عن وزن هذا الكلام، وماله عند الطبع الضعيف نظامٌ، ولا يعقله إلاّ العالمون من أهل هذا الفنِّ، والملائكة المقربون من أهل هذه الصناعة، ومثلُ هذا لا يُقدِّمُ عليه إلاّ مثل الأعمى، وإلاّ فالبصيرُ يحذرُه ولا ينظره، وما كان من أهل هذا النمط فما يُعلمُ صالحه من فاسده،

وسألته من مكسوره إلا بميزان التلحين، فإنَّ منه ما يشهدُ الذوقُ بزحافه بل بكسره، فيجبر التلحينُ كسرَهُ، ويشفى سُقْمَهُ، ويردُّه صحيحاً ما به قليةً، وساكناً لا تضطربُ فيه كلمةٌ.

(نقطة تتعلق بالتلحين):

والموشحات تنقسم من جهة أخرى إلى قسمين: قسمٌ يستقل التلحينُ به، ولا يفتقرُ إلى ما يعينه عليه، وهو أكثرها، وقسمٌ لا يحتمله التلحينُ، ولا يمشي به إلا بأن يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة التلحين وعكازاً للمغني، كقول ابن بقي:

مَنْ طالِبُ ثارِ قلبي ظبياتِ الحدوجِ فتاناتِ الحجيجِ⁽³⁶⁾

فإنَّ التلحين لا يستقيم إلا بأن يقول «لا لا» بين الجزأين الجيمين من هذا القفل.

(أغراض الموشحات):

ومن سنة القوم في أكثر موشحات المدح أن يختتم الموشحُ بالغزل، ويخرجُ من المدح إليه كما يخرج إليه منه، وها هو الأكثر من عملهم، والأظهرُ من مذهبهم، ومنه قولُ الأعمى:

حلوا المجاني ما ضره لو أجاني كما عناني شغلي به وعناني⁽³⁷⁾

فانه ابتدأ بالغزل، ثم خرج إلى المدح، ثم ختم بالغزل.

والموشحات يعمل فيها ما يُعمَلُ في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرتاء والهجو والمجون والرهد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفر، والرسم في المكفر خاصة أن لا يعمل إلا على وزن موشح معروف، وقوافي أقفاله، ويختتم بخرجة ذلك الموشح، ليبدل على أنه مكفر⁽³⁸⁾ ومستقيل ربّه عن شاعره، ومستغفره...

من «المقتطف من ازاهر الطرف»

لابن سعيد المغربي

هذان طرازان كان الابتداءُ بعملهما من المغرب، ثم ولعَ بهما أهلُ المشرق. وسيُذَكَّرُ ما يسعُ المكانُ من ذلك.

فأمَّا الموشحات فقد ذكر الحجاريُّ في كتاب المسهب في غرائب المَعْرَبِ (1) أنَّ المخترع لها بجزيرة الأندلس مُقَدِّمُ بن معافى القَبْرِي، من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربّه صاحب كتاب العقّد، ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما، وكان أولُ من برع في هذا الشأن بعدهما (ابن) عبادة القزّاز شاعرُ المعتصم بن صمادح، صاحب المريّة.

وقد ذكر الأعلَمُ البطليوسي (2) أنه سمع أبا بكر بن زُهْر (3) يقول: كلُّ الوشاحين عيال على عبادة القزّاز فيما اتفق له من قوله:

بدرُ تمّ	شمسُ ضُحى	غصنُ نقا	مسكُ شَمّ
ما أتمّ	ما أوضحا	ما أورقا	ما أنمّ
لا جرّم	مَنْ لَمحا	قد عشقا	قد حرّم

وزعموا أنه لم يشقّ غبارَه وشاخَ من معاصريه، الذين كانوا في زمن الطوائف، وجاء مصلياً خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون برت ذي النُّون، صاحب طليطلة. قالوا: وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول:

الـعـوـدُ قـد تـررّـم
بـأبـدع تـالـحـين
وشـفـت المـتـانـب
ريـاض الـبـسـاتـين

وفي انتهائه حيث يقول:

تـخـطـر و لـش (4) تـسـأم
عـسـاك المـأمـون
مـرـوع الـكـتـائب
يـحـيى بـن ذـي النُّون

ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة المثلثين، فظهرت لهم البدائع،
وفرسا رهان حلبتهم الأعمى التطيلي ويحيى بن بقي.
(وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله:

كيف السبيلُ إلى صبري وفي المعالم أشجانُ
والركبُ وسطُ الفلا بالخردِ النواعم قد بانوا (5)

سمعتُ غير واحد من أشيخ هذا الشأن بالأندلس (6) يذكرون أن جماعةً
من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية، فكان كل واحد منهم قد صنع
موشحةً، وتأنق فيها، فقدموه للإنشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضاحاكُ عن جُمانُ
سافرٌ عن بدر
ضاقَ عنه الزمانُ
وحواه صادري

خرقَ ابنُ بقي موشحتهُ، وتبعه الباؤون.
وسمعتُ الأعلَمَ البطليوسي يقول أنه سمع ابنَ زهر يقول: ما حسدتُ
وشأحا على قول إلا ابن بقي حين وقع له:

أما ترى أحمد في مجده العالی لا يُلحقُ
أطلعه الغربُ (7) فأرنا مثله يا مشرقُ

وكان في عصره من الوشاحين المطبوعين الأبيض. وكان في عصرهم
أبو بكر ابنُ باجة، صاحبُ التلاحين المشهورة. ومن الحكايات المؤرخة أنه لما
ألقى على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحة فيها:

جَرَّرَ الذنيلُ أيما جرَّ
وصل السُّكر منك (8) بالسُّكر
طرب الممدوح، ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين (9):
عقد اللـه راية النصر
لأمير (10) العُلا أبى بكر

صاح: وأطرباه وشقَّ ثيابَهُ (11). وقال: ما أحسن ما بدأت به وما ختمت.

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

وحلَفَ بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذهب، فخاف الحكيمُ سوءَ العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه.

وأخبرني أبو الخصب⁽¹²⁾ بن زهر أنه لما جرى في مجلس أبي بكر بن زهر ذكر لأبي بكر⁽¹³⁾ الأبيض الوشاح المتقدم الذكر غض⁽¹⁴⁾ منه أحد الحاضرين فقال: كيف تُعُضُّ ممن يقول⁽¹⁵⁾:

مَالِي شَرِبَ رَاحُ
عَامِي رِيَاضُ الْأَقْبَاحِ
لَوْلَا هَضْبِي لِمُ الْوَشَاحِ
إِذْ انْتَنَى فِي الصَّبَاحِ
أَوْ فِي الْأَصْبَحِ
أَضْحَى يَقُولُ
مَالِي شَمُولُ
لَطَمَتْ خَدَي
وَلَا شَمَالُ
هَبَّتْ فَمَالُ
غَصَصْنَا عَتَدَالُ
ضَمَّه بُرْدِي
مِمَّا أَبَادَ الْقُبُوبَا
يَمْشِي لِنَامَسْتِيرِيَا
يَا لِحِظَّه زُدْ ذُنُوبَا
وَيَا لِمَاهِ الشَّنِيْبَا
بَرْدُ غَالِيْلُ
صَبَّ عَالِيْلُ
لَا يَسْتَحِيْلُ
فِيهِ عَن عَهْدِي
وَلَا يَزَالُ
فِي كَلِّ حَالُ
يَرْجُو وَالْوَصَالُ
وَهُو فِي الصَّادِ⁽¹⁶⁾

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين-أعزهم الله-محمد بن أبي
الفضل بن شرف. قال المَسْنَن بن دَوَّر يَدَهُ (17) رأيتُ حاتمَ بن سعيد يقبل
رأسه على هذه البداة:

ش م س ن ق ا ر ن ت ب د ر ا
ك ك ا س و ن د م م (18)

وابن هردوس الذي له:

يا ل ي لة الو صل وال س ع و د
ب ا ل ل ه ع و د ي

وابن مؤهل الذي له:

ما الع يد في ح لة و ط ا ق
و ش م ط ي ي ب
و ا ن م ا الع ي د في الت ل ا ق ي
م ع الح ب ي ي ب

وأبو إسحاق الزويلي (19). سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه
دخل على ابن زُهْر وقد أَسَنَّ، وعليه زيُّ البادية، إذ كان يسكنُ بحصن
استبه، فلم يعرفه، فجلس حيث وَجَد، وجرت المحاضرةُ أن أنشدَ لنفسه
موشحاً وقع له فيها:

كُحْلُ الدَجَى يَجْرِي فِي مَقْلَةِ الفَجْرِ عَلَى الصَّبَاحِ
وَمَعْصَمُ النَّهْرِ فِي حُلِّ خُضْرٍ مِنْ البَطَاحِ

فتحرك ابنُ زُهْر، وقال: أنت تقولُ هذا؟ قال: اختبر، قال: ومنَ تكون؟
فعرفه، فقال ارتفع، فوالله ما عرفتك.

وسابق الحلبة التي أدركت هؤلاء (20) أبو بكر بن زُهْر، وقد شرقت
موشحاته وغرّبت. وسمعت أبا الحسن المذكور يقول لابن زُهْر: لو قيل لك
ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول مما استحسنته
من قولِي، وأرضيه من نظمي:

يا له سكران (21)	من سكره لا يضيّق	ما للموّه
يكذب الأوطان (22)	ما للكئيب المشوق	من غير خمر
وليا لبنا	أيامنا بالخليج	هل تستعاد
مسك دارينا	من النسيم الأريج	إذ يستفاد

وإذ يكاد	حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَهِيحِ	أَنْ يَحْيِينَا
نَهْرٌ أَظْلَهُ	دَوْحٌ عَلَيْهِ أَنْيْقُ	مُورِقٌ ⁽²³⁾ فِينَانُ
والماء يجري	وعائِمٌ وغريقٌ	مَنْ جَنَى الرِّيْحَانَ

واشتهر معه ابن حنون ⁽²⁴⁾ الذي له:

يُفَوِّقُ سَهْمٌ ⁽²⁵⁾ كَلَّ حَيْنٌ
 بِمَا شَأْنَتْ مِنْ يَدٍ وَعَيْنِ
 وَيَنْشُدُ فِي الْقَضِيَّتَيْنِ ⁽²⁶⁾
 خَلَقْتُ مَالِيحَ عَلِمْتَ رَامِي
 فَلَسْنَا نَخْلُ سَاعَ مَنْ قَتَالَ
 وَنَعْمَلُ بِذِي الْعَيْنَيْنِ مَتَاعَ
 مَا تَعْمَلُ أَدَى ⁽²⁷⁾ بِالنَّبَالِ

واشتهر معهما في العصر ⁽²⁸⁾ بغرناطة المهزُ بن الفرس. ومن المشهور أن ابن زهر لما سمع قوله:

لِلَّهِ مَا كَانَ مِنْ يَوْمٍ بِهَيْجِ
 بِنَهْرٍ حَمَصَ عَلَى تَلِكِ الْمَرْجِ
 ثُمَّ انْعَطَفْنَا عَلَى فَمِ الْخَلِيحِ
 نَفَضْ مَسْكَ الْخِتَامِ
 عَنِ عَسْجِدِي الْأُدَامِ
 وَرَدَاءِ الْأَصْبِيحِ
 تَطْوِيهِ كَفَ الظَّلَامِ

قال: أَيْنَ كُنَّا نَحْنُ عَنْ هَذَا الرَّدَاءِ !

وكان معه في بلده مطرفاً. أخبرني والدي ⁽²⁹⁾ أنه دخل على ابن الفرس المذكور، فقام له وأكرمه، فأشار عليه بألا يفعل، فقال ⁽³⁰⁾ كيف لا أقوم لمن يقول:

قَالَ صَوَّبْتُ ⁽³¹⁾
 بِالْحَاظِ تَصْيِبُ

فقل كيف تبقَى

بلا وَجُد قُأُوب⁽³²⁾

واشتهر بعد هؤلاء⁽³³⁾ ابن حزمون بمرسية أخبرني ابن الدارس أن يحيى الخزرج⁽³⁴⁾ دخل عليه في مجلس فأنشده مرشحةً لنفسه، فقال له ابن حزمون: ما الموشحُ بموشح حتى يكون عارياً عن التكلف. قال: على مثال ماذا؟ قال: على مثال قولي:

يا هاجري هل إلى الوصال

منك سببيل؟

أو هل يرى عن هواك سالي

قلبي العليل؟⁽³⁵⁾

(وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة. كان والدي⁽³⁶⁾ يعجب بقوله:

إن سئل الصّباح في الشّرق

عادَ بحرا في أجمع الأفق

فتداعت نوادبُ الوُرق

أثراها خافت من الغُرق

فبكت سحرة على الوُرق)⁽³⁷⁾

واشتهر في اشبيلية أبو الحسن بن الفضل. قال والدي⁽³⁸⁾: سمعت أبا الحسين بن مالك يقول: يا ابنَ الفضل لك على الوشاحين بقولك الفضل:

واحسرتا لزمان مضى

عشيةً بان الهوى وانقضى

وأفردتُ بالرغم لا بالرضا

وبتُّ على جمرات الغُضا

أعانقُ بالوهم تلك الطلول

وألثم بالفكر تلك الرّسوم⁽³⁹⁾

وسمعت أبا بكر الصابوني ينشد للأستاذ أبي الحسن الدباج موشحات له غير ما مرة، فما سمعته قال: لله درك، إلا في قوله:

قسماً بالهوى لذي حجر
ما ليل المَشُوق من فَجْر
جمداً الصبح ليس يطردُ
ما ليلي فيما أظنُّ غدُ
صحَّ ياليل أنك الأبدُ
أوقصَّت قوادمُ النسر
أم نجوم السماء لا تُسرى (40)

ومن محاسن موشحات ابن الصابوني قوله:
ما حالُ صبِّ ذي ضنا واكتئاب
أمرضه-يا ويلتاه-الطبيبُ
عامله محبوبُهُ باجتئاب
ثم اقتدى فيه الكرى بالحبیبُ
جفا جفوني النوم لكنني
لم أبكه إلا لفقد الخيالُ
وذا الوصال اليوم غرتي
منه كما شاء وشاء الوصالُ
فلاستُ باللائم من صدني
بصورة الحق ولا بالمحال (41)

واشتهر ببر العُدوة ابنُ خلف الجزائري، صاحب الموشحة المشهورة التي
أولها:

يبدأ الإصباح قدحت زناد (42) الأنوار في مجامر الزهر

واشتهر ابن خزر البجائي (43)، صاحب الموشحة المشهورة:

ثَغْرُ الزمان الموافقُ

حيّاك منه بابتسام (44)

وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات، وأحسن ما
وقع لهم من ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري التي أولها:

حبيبي ارفعْ حجابَ النور
عن النور
يقطر بمسك على كافور
ففي جُأْنار (45)

توشيح التوشيح صلاح الدين الصفدي (ت 764 هـ)

فصل لا بأس بإيراده:

الموشح فن تفرّد به أهل المغرب، وامتازوا به على أهل المشرق، وتوسّعوا في فنونه، وأكثروا من أنواعه وضروبه. وقيل إن أول مَنْ نظم الموشحات بالمغرب الإمام أحمد بن عبد ربّه صاحب كتاب العقد. وقال ابن بسام: أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا، واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد بن محمود القَبْرِيّ الضرير وقيل: ابن عبد ربه. ثم نشأ يوسف بن هارون الرّمادي وأكثر منها⁽¹⁾. قال الأستاذ الأديب أبو الحسن علي بن سعد الخير⁽²⁾ رحمه الله تعالى، من جملة كلام:

ووجدنا بعض المتأخرين كمهيار الديلمي وأبي محمد القاسم الحريري وغيرهما قد استتبطنوا من تلك الأعاريض أقساما مؤلفة على فقر مختلفة، وقواف مؤتلفة قلت: يعني بذلك أشعار العرب في أبحر العروض قال: وسمّوها ملاعب. واستتبطن منها أيضا أهل الأندلس ضربا قسموه على أوزان مؤتلفة، والحن مختلفة، وسموه موشحا، وجعلوا ترصيع الكلام، وتتميق الأقسام توشيحاً، وكانوا أول من سنّ هذه الطريق ونهجه، وأوضح رسمه ومنهجه. انتهى.

قلت: ورسم الموشح هو: كلامٌ منظومٌ، على قدر مخصوص، بقواف مختلفة⁽³⁾ قال القاضي السعيد ابن سناء الملك رحمه الله تعالى: وهو ما يأتلف... الخ.

المركب من سبعة أجزاء مثاله: ⁽⁴⁾ من شاني.. عن شاني.. به جفني.. قد استعبرٌ وقد عبّر.. عن المضمّر.. بما عندي. وقد ينتهي في التركيب إلى اثني عشر جزءاً.. الخ.

قال (ابن سناء الملك): وفي المتأخرين من يعجز عن الخرجة فيستعيرُ خرجة غيره، وهو أصوب رأياً مما لا يوفق في خرجته بأن يُعربها، ويتعاقل ولا يلحن، فيتخافف بل يتناقل.

قلت:

هذه الشروط التي شرطها في الخرجة قلّ من يلتزمها لتعذرها عليه،

فهو إما أن يتركها، وإما أن يأتي بها خارجة عن هذه الشروط. وقد رأيتُ السَّراج المحار، وأحمد بن حسن الموصلي، والشيخ صدر الدين بن الوكيل والشهاب العزازي وغيرهم من المعاصرين والمتأخرين قبلهم لم يأت أحدٌ منهم بخرجة، وإن أتى بها كانت غيرَ داخلة.

وستقف في هذه الموشحات التي أوردتها من كلامي، وفي بعضها خرجاتٌ إن أنت أنصفتها عرفت أين تقع من شروط ابن سناء الملك رحمه الله تعالى. و (أما) أنا فقد ارتكبت فيهما مزلتين، وسلكت فيها زلقين، لأنني غالبٌ ما نظمتُه على وزن من تقدمني، وأتيت فيه بخرجة غير خرجته، وهذا فهو من أصعب ما يكون، لأن الوشَّاحين يحصلون الخرجة أولاً ثم ينظمون الموشح على وزنها وقافيتها و (أما) أنا فأحتاج إلى أن التزمَ بذلك الوزن الذي تقدمني وبقوافيه، وأجئ مع ذلك بالخرجة الداخلة، وهذان أمران مشقَّان إلا على من أيده الله بمعونته.

فصل: ممَّن سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغاربة جماعةً،

وهم:

عبادة بن ماء السماء، وأبو بكر محمد بن عبادة القرَّاز وعبادة بن محمد ابن عبادة الأقرع، و يليهم في الإجابة أبو العباس التطيلي، وأبو بكر بن بَقي، وأبو بكر الأبيض الشاعر وابن عبد ربّه صاحب كتاب العقْد، وأبو بكر بن اللبانة وأبو عبد الله محمد بن رافع رأسه، وأبو الحسن علي بن عبد الغني الحُصْرِي، وأبو عبد الله محمد بن الحسن البطليوسي الكُميت، وأبو عبد الله محمد بن شرف، وأبو القاسم المنيشي، والوزير أبو بكر يحيى بن الصيرفي وأبو الوليد يونس ابن عيسى المُرسِي الشاعر الخباز، وأبو بكر السَّرْفُسْطِي الجزار، وابن الفرس والوزير أبو عيسى بن لبون، والوزير المشرف أبو بكر بن رحيم، والوزير أبو عامر ابن ينق والوزير أبو بكر محمد بن زُهْر الحفيد والوزير الكاتب أحمد بن مالك السَّرْفُسْطِي وابن حمديس، وأبو بكرين ملوك القرطبي، وابن جاح الصباغ، وأبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن معبد القرشي المعروف بتل الغد، وابن هانئ الأصغر وذو الوزارتين ابن عمَّار، وابن أبي الرجال، وابن الرِّقاق، وأبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المرحل، وإبراهيم بن سهل الإسرائيلي.

ومن أهل الديار المصرية⁽⁵⁾: القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

وهو حامل راية هذه الصناعة والناسُ عليه فيها عيال ونصر الله بن قلاقس الإسكندري والأسعد بن مماتي، وابن وزير، وابن منجم، والسراج الوراق، وابن سعيد ابن المغربي... الخ.⁽⁶⁾

أهم المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

ابن اياس: الدر المكنون في السبع فنون. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.

ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.

ابن سناء الملك: فصوص الفصول وعقود العقول. مخطوطات دار الكتب بالقاهرة وخزانة الأزهر والمكتبة الوطنية بباريس.

ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.

الدرويش: العقيدة الدرويشية في السبع فنون الأدبية. مخطوطة المكتبة المركزية جامعة الملك عبد العزيز-بمكة المكرمة.

السلفى: معجم السفر نسخة حققها شير محمد زمان (لم تنشر بعد) الصفدي: الوافي بالوفيات، 30 مجلداً، مصوره عن مخطوطات الزيتونة واستامبول والمتحف البريطاني.

النواجي: عقود اللال في الموشحات والأزجال. مخطوطة الاسكوريال مجهول: الكواكب السبع السيارة. مصورة عن مخطوطة الخزانة الظاهرية بدمشق.

ثانياً: مصادر

الابشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف. جزءان. القاهرة 1952.
ابن الأبار: الحلة السيرة. تحقيق د. حسين مؤنس. القاهرة 1963.
ابن الأبار: التكملة لصلة الصلة. جزءان. القاهرة 1955
ابن الأحمر (إسماعيل بن يوسف): نثير الجمال: (أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن). تحقيق. محمد رضوان الداية، بيروت 1976
ابن أبي أصيبعة: عيون الأنبياء في طبقات الأطباء. تحقيق د. نزار رضا،

بيروت 1965

ابن الخطيب: (لسان الدين): جيش التوشيح. تحقيق هلال ناجي، تونس

1967

ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة. تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1963 ابن الخطيب: الإحاطة في

أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة 73- 1974

ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب. تحقيق د. أحمد مختار العبادي القاهرة لا تاريخ.

ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. صدر منه بإشراف لجنة من العلماء القسم الأول في مجلدين، ثم المجلد الأول من القسم الرابع القاهرة 1939- 1945 .

القسم المجلد الأول من القسم الثاني تحقيق د. أحمد لطفي عبد البديع القاهرة 1975 .

ابن بشكوال: الصلة. جزآن، القاهرة 1966

ابن خاتمة: ديوان تحقيق د. محمد رضوان الداية. دمشق 1972م

ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان. تونس 1966

ابن خلدون: المقدمة ط. كاتر مير 3 أجزاء باريس 1858

ابن خلكان: وفيات الأعيان 6 أجزاء، ط. محيي الدين عبد الحميد القاهرة 1948

ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب. تحقيق اليباري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي. القاهرة 1954

ابن الزقاق: ديوان. تحقيق عفيفة ديراني بيروت 1965

ابن زيدون: ديوان تحقيق علي عبد العظيم. القاهرة 1957

ابن سعيد (المغربي) المغرب في حلى المغرب (قسم الأندلس) جزآن تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة 1964

ابن سعيد (المغربي) رايات المبرزين وغايات المميزين. تحقيق د. النعمان عبدا لمتعال القاضي القاهرة 1973

ابن سعيد (المغربي): المقتطف من أزاهر الطرف. قسم منه نشره د. عبد العزيز الأهواني ضمن «أعمال مهرجان ابن خلدون» القاهرة 1962

أهم المصادر والمراجع

ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات. تحقيق. جودت الركابي، دمشق 1949.

ابن سهل (الاشبيلي): ديوان. تحقيق د. إحسان عباس بيروت 1967
ابن شاعر (الكتبي): فوات الوفيات ط. محيي الدين عبد الحميد، جزءان
القاهرة 1951

ابن عبد ربه: العقد الفريد. تحقيق أحمد أمين-أحمد الزين-إبراهيم
الايباري ط 3 القاهرة.

ابن عربي: ديوان. طبعة حجر. بومباي.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء. تحقيق د. خويه. ليدن 1902
ابن المعتز: ديوان. ط. صادر بيروت 61، وطبعة دمشق 1371، والقاهرة
1891

ابن المعتز: شعر عبد الله بن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي. تحقيق
استامبول 1950

الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني ط. دار الكتب.

الأصفهاني (عماد الدين): خريدة القصر وجريدة العصر تحقيق عمر
الدسوقي وعلي عبد العظيم (قسم المغرب والأندلس) القاهرة.

امرؤ القيس: ديوان تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة
الباقلاني: أعجاز القرآن. تحقيق أحمد السيد صقر ط 3 القاهرة 1973
التبريزي: الوافي في العروض والقوافي. تحقيق د. فخر الدين قباوة
وعمر يحيى. بيروت 1975

التطيلي: (الأعمى) ديوان تحقيق د. إحسان عباس. بيروت 1963
الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 4 أجزاء. القاهرة 1947
الحلى (صفي الدين): العاقل الحالي والمرخص الغالي. تحقيق هونر
باخ ويسبادن 1955

السفلي: أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر اختارها د.
إحسان عباس بيروت 1963

الصفدي: الوافي بالوفيات. الأجزاء المطبوعة (من 1- 9)

الصفدي: توشيع التوشيح تحقيق. البير مطلق. بيروت 1963

الضبي: بغية الملتمس ط. مجريط 1884 م

- الغبريني: عنوان الدراية. تحقيق عادل نويهض. بيروت 1969
- القضطي: المحمدون من الشعراء. تحقيق محمد معامري. الرياض 1970
- المرزباني: الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء. القاهرة 1385 هـ
- المعري: رسالة الغفران تحقيق د. بنت الشاطئ ط ٥ القاهرة 1969
- المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، 3 أجزاء بتحقيق السقا والابيارى
وشلبي. القاهرة 1939- 1942
- المقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب. طبعة محيي الدين (10
أجزاء) وطبعة إحسان عباس (8 أجزاء).
- ياقوت (الحموي): إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأديب) نشر
دار المأمون بالقاهرة.
- مجهول: العذارى المائسات في الأزجال والموشحات. اختيار فيليب قعدان
الخان. جونية 1902

ثالثاً: مراجع عربية:

- الأهواني: (د. عبد العزيز) الزجل في الأندلس. القاهرة 1957
- أنيس: (د. إبراهيم) موسيقى الشعر. الطبعة الثانية. القاهرة
- البستاني (بطرس): أديب العرب في الأندلس وعصر الابتعاث ط ١
بيروت 1968
- الجراري (د. عباس): القصيدة (الزجل في المغرب) الرباط 1970
- الركابي (د. جودت) في الأدب الأندلسي. القاهرة 1960
- الريسوني (محمد المنتصر): الشعر النسوي في الأندلس. بيروت 1978
- الزركي (الصادق): الأغاني التونسية تونس 1967
- الزركلي: (خير الدين) الأعلام ط 3
- الشكعة: (د. مصطفى) الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه. بيروت
1974
- ضيف (د. شوقي): العصر العباسي الأول ط 3. القاهرة الفن ومذاهبه
في الشعر العربي ط 4 القاهرة 1960
- الطنجي (محمد تاويت): ومحمد الصادق عفيفي: الأدب المغربي. بيروت
1960

أهم المصادر والمراجع

- الطيب (د. محمد عبد الله): المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها
ج 1 القاهرة 1955
- عباس (د. إحسان): تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) بيروت
1960
- عباس (د. إحسان): تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)
بيروت 1962
- عنانى (د محمد زكريا): نشأة فن التوشيح بالمشرق. مستلة من مجلة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (مكة المكرمة) العدد الثاني
غومس (اميليو غرسية): الشعر الأندلسي. ترجمة د. حسين مؤنس، ط
3 القاهرة 1969
- غومس (اميليو غرسية): مع شعراء الأندلس والمتتبي ترجمة د. الطاهر
مكي القاهرة 1974
- كراتشكوفسكي: الشعر العربي في الأندلس القاهرة 1971
- كرامة (بطرس): الدراري السبع (الموشحات الأندلسية) بيروت 1864
- كيلاني (كامل): نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي. القاهرة 1924
- الكريم: (د. مصطفى عوض) فن التوشيح. بيروت 1959
- هدارة (د. محمد مصطفى): اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري.
القاهرة 1969
- هيكل (د. احمد): الأدب الأندلسي القاهرة ط 6, 1971
- يافيل: مجموع الأغاني من كلام أهل الأندلس. الجزائر 1904
- يلس (جلول) والحفناوي امقران: الموشحات والازجال. جزءان، الجزائر
1972

رابعاً : مراجع أجنبية :

Blachere (R.): Le Vizir Poete Ibn Zumruk et son oeuvre.

Annales de L,Institut d,Etudes Orientales. II 1936.

Gomez (Emilio Garcia): Estudio del Dar at-Tiraz-Preceptiva Egipcia de
la Muwassaha. Al-Andalus. Vol xxvii(1962) pp.21- 104.

- Hartmann (M.) Das Arabische Strophengedicht. Das Muwassaha, Weimar, 1897.
- Jargy (S.) la poesie populaire traditionnelle chantée au Proche-Orient, Paris, La Haye, 1970.
- Levi-Provençal: Islam d'Occident. Paris, 1948.
- Menendez Pidal: Poesia árabe y poesía evropa-Madrid, 1941.
- Nykl (A.R.): Hispano-Arabic Poetry. Baltimore. 1946.
- Pellat (Ch.): Langues et Littérature arabes, Paris 1952.
- Peres (H.) La poésie andalouse en arabe classique au XIe. Siècle. Paris 1953.
- La poésie arabe d'Andalousie et ses relations Possibles avec la poésie des Troubadours. Le Cahiers du sud, 1974.
- Stern (S.N.) Hispano-Arabic strophic Poetry, Oxford 1974.
- Les Vers Finaux (Kharjas) en espagnol dans les Muwassaha arabes et hébreux, Oxford, 1964.
- Les chansons mozarabes, Palerme 1953.

الهوامش

القسم الأول

(*) للمزيد من التوسع في هذه النقطة يرجع إلى كتاب ومقالة Das Muwassah: Hartmann (موشح) في دائرة المعارف الإسلامية (بقلم بن شنب) والفصل الأول من كتاب Stern: Hispano-Arabic Strophic poetry و «مصادر الدراسة الأدبية» لداغر ص 239- 244، ومقالنا عن ابن سناء الملك وكتابه دار الطراز في «الثقافة» القاهرية أغسطس 1978 .

(1) هذا الكتاب واحد من أهم مصادر الأدب الأندلسي، وانظر عنه فصلا جيدا في كتاب د. الطاهر مكي «دراسة في مصادر الأدب» ج 2 ص 301- 365، ودراسة في مجلة كلية الآداب بغداد العدد 14 (1970- 71) وفي كتاب د. الشكعة: «مناهج دراسة الأدب العربي» ومقال لحازم عبد الله خضر في «أدب الرافدين» العدد 5 (1974) ونشرنا في ملحق التراث بجريدة «المدينة» سلسلة من المقالات بعنوان «ابن بسام وكتابه الذخيرة» اعتبارا من 4 جمادى الأخرى 1396هـ.

(2) يتضمن كتاب «المطرب» (ومنه ثلاث طبعات: الأولى بتحقيق اليباري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، والثانية بتحقيق د. السيد مصطق غازي، والثالثة بتحقيق د. مصطفى عوض الكريم) معلومات هامة عن عدد كبير من الوشاحين مثل الرمادي وابن الزقاق وابن اللبانة وابن بقى، ولكنه لا يذكر شيئا من موشحاتهم، ولم يتضمن إلا موشحين لأبي بكر بن زهر (شيخ ابن دحية).

(3) نشر د. عبد العزيز الاهواني فصلا من هذا الكتاب، طبعت ضمن أعمال «مهرجان ابن خلدون» المنعقد بالقاهرة 1962 من 473- 487.

(4) كانت من هذا الكتاب مخطوطة وحيدة في حوزة المستشرق الفرنسي جورج كولان، اعتمد عليها عدد من العلماء في بحوثهم عن الخريجات، منهم جومث والاهواني وشترن. وقد أخبرنا كولان منذ سنين انه كان أعار الكتاب إلى شترن، ثم توفي هذا، ولم يتمكن من استرداد المخطوطة، ولا يعرف مصيرها الآن.

(5) اعتمد المقرري في «النفح» على «مدد الجيش» في أكثر من موضع، ويذكر د. الجراري في «موشحات مغربية» ص 241 أن بالمكتبة الناصرية بسلا أوراقا يظن إنها من «مدد الجيش».

(6) هناك أعمال أخرى متفرقة تجدها مذكورة في قائمة مصادر ومراجع كتاب المذكورة آنفا ص 67 وما بعدها ومن أهم هذه الأعمال كتاب لمحمد بن زاكور د. عباس الجراري «موشحات مغربية»

ص 235- 250 وفي كتاب شترن «الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض»-مخطوطة بالرباط-ومجموعات عديدة تتضمن موشحات وأزجالاً مما كان (وربما لا يزال) يتغنى به، ومن أشهر هذه المجموعات مجموعة الحايك (انظر عنها كتاب شترن الذي ذكرناه ص 69) ومجموعة أخرى لياقيل، طبعت بعنوان «مجمع الأغاني والألحان من كلام الأندلس» وانظر كذلك مجموعة «الأغاني التونسية» للرزقي، ومجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران.

(7) ذكر الصنفدي في «الوافي بالوفيات» ج 4 ص 278 أن لابن الوكيل «ديوان موشحات» وجاءت العبارة نفسها في «المنهل الصافي»، لابن تغري بردى-مخطوطة باريس ج 5 ورقة 190 بينما يورد حاجي خليفة في كشف الظنون أن لابن الوكيل كتاباً عنوانه طراز الدار.

(8) يراجع ما نشرناه في ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة تحت عنوان (9) النواجي وكتابة عقود اللالئ في الموشحات والأزجال «بالعديدين رقم 3949، 3956 (1397 هـ).

(9) تتضمن هذه المجموعة أكثر من ستين نصاً معظمها من الموشحات وفيها كثير من الموشحات المشرقية مما جعلنا نرجح أن جامعها مشرقي، أما شتيرن في دراسته التي ذكرناها قبلاً (ص 69) فذكرها ضمن ما كتب عن الموشحات في شمال إفريقيا.

(10) هناك مصادر أخرى يمكن الرجوع إليها، منها-على سبيل المثال-مخطوطة بعنوان «الكواكب السبع السيارة» (محفوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق ولدينا منها ميكروفيلم) تتضمن موشحات لابن سهل: وابن الخطيب.. الخ وانظر كذلك المجموعة التي نشرها بطرس كرامة بعنوان: «الدراري السبع، أي الموشحات الأندلسية»، وتتكن في مجموعها على المخطوطة المذكورة.

(1) ديوان ابن المعتز (ط. بيروت 1931)، وفي كل من «العذارى المائسات» ص 5 «وروض الأدب» للحجازي (واعتمدنا هنا على ما ذكره د. الكريم في «فن التوشيح»، ص 96 ويرجع إلى مخطوطة المتحف البريطاني) وفي هذين المرجعين يجيء النص مذبذب النسبة بين كل من ابن زهر (الأندلسي) وابن المعتز. ويراجع في ذلك المقال طه الراوي: «وهم شائع: موشحة ابن زهرا موشحة ابن المعتز» في مجلة الرسالة» (1942) ص 464، وكتاب بطرس البستاني «أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث»، ط 6 ص 65، ودراستنا عن نشأة فن التوشيح بالشرق «مجلة كلية الشريعة جامعة الملك عبد العزيز ص 325 وما بعدها وكتاب د. عباس الجراري «موشحات مغربية» ص 43 وما بعدها.

(2) «نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي» ط القاهرة 1924 ص 227.

(3) ص 73، وابن سناء الملك لم ينسب الموشحة لقائل بعينه، ولكنه ذكرها ضمن ما اختار من موشحات أهل الأندلس.

(4) ج 1 ص 267 (قسم الأندلس).

(5) ج 7 ص 22 (ط. سنة 1923).

(6) ج 40 ص 40.

(7) مخطوطة الاسكوريال، ورقة 5 ط (ولدينا مصورة منها).

(8) ص 204 وما بعدها (ط. الابياري وزملائه).

(9) ط بيروت 1974 ص 302.

(10) «نح الطيب» ج 4 ص 225.

(11) «دار الطراز» ص 23 وانظر ابن سعيد في «المقتطف» ص 477 ومقدمة ابن خلدون 3/390 (ط. كارمير) والمطرب 204 (ط. الابياري) والمقري: أزهار 2/123 والمحبي في «خلاصة» 1/108... الخ.

(12) ص 118

(13) الكتاب من تأليف أحد المشتغلين بالموسيقى والغناء واسمه أحمد الدرويش، واطلعنا عن نسخة مخطوطة منه محفوظة بال مكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز (مكة المكرمة) وتحمل عنوان «العقيدة الدرويشية» وهو أفضل من «القصيدا الدرويشية» لأنه ليس قصيدة بل مجموعة من الملحوظات (في 148 صفحة) كتبت بلغة ركيكة للغاية. والنص المشار إليه يجيء في ص 26.

(14) ص 387

(1) في «لسان العرب» مادة «وشح»: «الوشاح: كله حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر» ولعلمهم استلوا المعنى من الموشحة من الأطباء والشاة والطير التي لها طرتان من جانبيها».

(2) أطلقت كلمة التوشيح عند البلاغيين على طائفة من الدلالات المختلفة، منها أن يكون «مبدأ الكلام يبنى عن مقطعه وأوله يخبر بأخره، وصدره يشهد عجزه» انظر العسكري في «الصناعتين»، 382/1 (ط. 1952) وابن أبي الإصبع «بديع القرآن» ص 90 (تحقيق د. حفني شرف) وابن حجة في الخزانة 1/127 (ط. بولاق) وقد يعني التوشيح «أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة، وان كانت أطول منه» انظر أسامة بن منقذ: «البديع في نقد الشعر» تحقيق: د. أحمد بدوي وحامد عبدا لمجيد (القاهرة 1960) ص 89.

(3) 1/2 : 1

(4) المقدمة ط. كاترمير 3/391، وهو يتكئ هنا على ابن سعيد في «المقتطف» ص 477 ويتردد اسم «مقدم بن معافر الفريري» على هذا النحو المغلوط في مراجع عدة، وصواب الاسم: «مقدم بن معافر القبري» نسبة إلى قرية قبيرة بالأندلس.
وللمزيد من التفاصيل انظر د. الركابي «في الأدب الأندلسي» ط 4 (1975) ص 287.

(5) «فوات الوفيات» ط. محي الدين (1951) ج 1 ص 425، وانظر «الفوات» (ط. احسان عباس) ج 2 ص 149 (بيروت 1974) وفيها: «فأحدث» ولا معنى لها.

(6) «توشيع التوشيع» ص 20.

(7) انظر الحديث عن الخرجات.

(1) هذا النص من أجمل ما وصل إلينا من موشحات أهل الأندلس، ويرد في أكثر من مصدر، منها-على سبيل المثال: دار الطراز ص 43 (وهو أول الموشحات المذكورة في الكتاب، وجعله مثالا للموشح التام، أي الذي يتضمن القفل الأول، أو المطلع) كما يجيء في «جيش التوشيع» ص 16 و «المغرب» 2/453.

وفي «المقتطف» ص 478: «سمعت غير واحد من أشياخ هذا الشأن (شأن الموشحات) بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها، فقدموا الأعمى للإشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:
ضاحك عن جمان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صديري
خرق ابن بقى موشحته وتبعه الباؤون. والخبر في مقدمة ابن خلدون 3/392 (ط. كاترمير)

(2) لم نشأ أن نحيل هنا على صفحات مقدمة «دار الطراز» في كل موضع ذكرناها فيه حتى لا نزحم الهوامش بغير فائدة.

(3) لم يقدم ابن سناء أمثلة من الموشحات التي يحتوي فيها القفل على أكثر من ثمانية أجزاء وان كان قد ألف هو موشحة في مدح القاضي الفاضل يتركب فيها القفل من عشرة أجزاء. انظر دار الطراز ص 118.

(4) لا ينسب ابن سناء الملك الموشحات المغربية لأصحابها. وهذا النص يجيء في كل من «الوافي بالوفيات» 4/40 و «عيون الأنباء» ص 26، (تحقيق د. نزار رضا) منسوباً لابن زهر. وانظر في أمر نسبة النصوص الواردة في «دار الطراز» لأصحابها بحث د. شوقي ضيف في «الثقافة» (يناير-فبراير 1950) ودراسة ايميليو جارثيا جومث في «الأندلس» المجلد 17 (1962).

(5) ترد هذه الموشحة كذلك في «عدة الجليس» لابن بشري دون ذكر اسم مؤلفها انظر دراسة جومث عن دار الطراز ود. «الاهواني» الزجل في الأندلس ص 8 (هامش).

(6) انظر عن مصطلحات التوشيح د. مصطفى عوض الكريم: «فن التوشيح» ص 17- 38 ومقال الدكتور عبد البصير حسين «رأي في ألقاب الموشحة ونشأة فن التوشيح» بمجلة كلية الشريعة بمكة المكرمة، العدد الأول (1393-1394هـ) ص 285- 297 ودراستنا عن ابن سناء الملك وكتابه دار الطراز وقد نشر القسم الأول في الثقافة أغسطس 1978. وانظر كتاب شترن المذكور آنفاً وكتاب د. عباس الجراري: «موشحات مغربية» ص 19- 31.

(7) يذكر شترن في دراسته التي ذكرناها آنفاً (ص 14) أن هناك عدداً آخر من المصطلحات مثل مصطلح «راس» الذي يجيء في ديوان ابن عربي (ص 194 من ط. بولاق): «وقال أيضا في نظم التوشيح وله رأس» ص 212 ومواضع أخرى. كذلك يرد عند أبي عربي: «وقال أيضا في نظم التوشيح ذي المنقال» ص 84.

(8) انظر ص 21 وما بعدها.

(9) ص 33

(10) ص 298 وانظر د. أحمد هيكال ص 143 من «الأدب الأندلسي» ط 6 وعنده إن القسم الذي يقع بين القفلين يسمى غصنا، وهذا ما يجيء كذلك في كتاب د. إحسان عباس: «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ط 2 ص 235، ويقول إن «اجتماع القفل والغصن التالي له يسمى دورا وبعضهم يسميه بيتا».

(11) مطلع الموشحة: أعجب الأشياء رعيي لذمام من أبي الرعياء وشاء حمامي ص 66 هي لابن بقي، كما نص ابن سناء الملك نفسه ص 31 (من المقدمة). وهناك عن الخرجات دراسات عديدة من أهمها:

. Stern; Les vers finaux kharjas en espagnole, Oxford, 1964- (Stern: Les)hanson Mozarabes-
Levi Provencal: Quelques du dechiffrement des harjas Mosarabes-
1945, ARABICA

وأهم ما بالعربية حول الموضوع:

د. الأهواني: الزجل في الأندلس ص 6- 51

(12) لم نجد تفسيراً مقنعاً لكلمة «نفطيا» وقد ترجمها شترن وغيره بمعنى النفط أو البترول، ويراودنا الظن بأن المقصود بها: «نفطة» مدينة بالمغرب الأقصى من أعمال الذاب الكبير، وذكر ياقوت في «معجم البلدان» ط. بيروت 1957 ج 5 ص 296 أن «أهلها شرارة اباضية، ووهبية متمردون» وهذا يناسب ما جاء من أن الشرط في ألفاظ الخرجة أن تكون «من ألفاظ العامة، ولغات الداصة».

(13) من أمثلة ذلك مما جاء في «دار الطراز»>

موشح ص 45: فزت بالأمني ما جاد بإحسان صاحب المدينة أعلى الله تمكينه .
ص 56: بني عباد بكم نحن في أعياد: وفي أعراس: لا عدمتو للناس .
ص 64: أما ترى أحمد في مجده العالي: لا يلحق .

أطلعه الغرب

فأرنا مثله

يا مشرق .

ص 67: إنما يحيى سليل الكرام واحد الدنيا ومعنى الأنام .

ص 69: قل هل علم أو هل عهد أو كان كالمعتصم والمعتضد ملكان .

(14) ديوان ابن المعتز ط . القاهرة 1871 ص 110

(15) من الكتاب عدة مخطوطات بدار الكتب والأزهر وباريس والاسكوريال . ولدينا من هذه المخطوطة نسخة نقلتها د . سعيدة رمضان عن مخطوطة دار الكتب وقابلتها عل كل من نسختي الأزهر وباريس وعنها نقل هنا .

(16) من الجلي أن الأمر التبس هنا على ابن سناء الملك ، فالخرجات «الأعجمية» لم تكن بربرية بل كانت بلغة الرومانت .

(17) يعني هنا موشحته: «في خديك من صير اللاذ» وترد في «فصوص الفصول» كاملة وألحقها محقق «دار الطراز» بالكتاب انظر ص 135 وفي «توشيح التوشيح» للصفدي موشحة ثانية لابن سناء الملك ذات خرجة فارسية .

(18) انظر عنها: Stern: Hispano-Arabic Strophic Poetry والقسم الرابع منه «دراسات عن ابن قزمان» يتضمن تفصيلاً عن أعمال الشعراء اليهود الأسبان التي كتب محاكاة للموشحات والأزجال العربية .

وفي مجلة «الشعر» القاهرية بحث بعنوان «الموشحات العبرية» د . محمد بحر عبد المجيد (يناير 1977) .

(19) د . عبد العزيز الأهواني «الزجل في الأندلس» ص 48 والنص (مع اختلاف يسير) في كتاب د . إحسان عباس: «تاريخ الأدب الأندلسي» 2/239 مع نصوص خرجات أخرى، استقاها مما نشر جومث في مجلة «الأندلس» العدد 19 (1954) ص 375 .

(20) تاريخ الفكر الأندلسي ص 154 نقلًا عن «دفن التوشيح» ص 108

(21). 338- 303. La Lirica hispano-arab. AL-ANDALUS. Vol.) 1956(pp—

(1) نشير هنا إلى ما يقوله د . إبراهيم أنيس في «موسيقى الشعر» ص 221: «أما أوزان الموشحات

الهوامش

فمنها ما نظم على الأبحر القديمة، كالرمل في غالب الأحيان، والرجز والمديد، والخفيف، والهزج، والسريع، والمتقارب، والبسيط، بل يظهر أن الموشحات قد نظمت أول ما نظمت على الأبحر القديمة، ثم تطورت أوزانها فيما بعد..» والى ما يقوله د. عبد الله الطيب في «المرشد» 1/13: «إذا تتبعنا تاريخ الموشحات وجدتها بدأت بطراز من بحر الرمل وينوع من التسميط رشيق، كما في منظومة ابن الخطيب: جادك الغيث، ومنظومة ابن المعتز «أيها الساقى» ثم جعلت أنواع الموشحات تكثر وخرافها تزيد..»

وغنى عن الذكر أن مثل هذه الآراء لا تتكئ كل مصادر يعول عليها، وقد بنيت استنادا إلى استنتاج قائم كل أن موشحات «جادك الغيث» و «أيها الساقى» ومعارضتهما من بحر الرمل.

(2) «الذخيرة» القسم الأول، المجلد الثاني ص 1

(3) أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجال وأثره في العالم الإسلامي في «مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية» العدد 1 (السنة الأولى 1953) ص 129 وما بعدها.

(1) الفن ومذاهبه 451 (ط 4 القاهرة 1960).

(2) ص 286

(1) ص 306

(2) ص 49

القسم الثاني

(1) فوات، ص 173، والنص نفسه في «الوافي بالوفيات» للصفدي 2/189 منسوب لمحمد ابن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح.

(2) النص في «جيش التوشيح» ص 200 ويرد في كل من «توشيح التوشيح»، وفي المغرب 1/278 الخ...

(3) ديوان الأعمى التطيلي ص 261.

(4) «دار الطراز» ص 49 ولم نستدل على اسم مؤلفها.

(5) ديوان ابن سهل ص 85، وهذا الموشح من أجمل ما خلف أهل الأندلس من أعمال، وقد ألف حوله الشروح (انظر في مخطوطات العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب شرح موشح ابن

سهل (هل درى). رقم 18031 و18677 وألفت على غراره موشحات كثيرة (أحصينا منها أكثر من خمسين موشحة، نعتزم بإذن الله-نشر دراسة خاصة عنها) أشهرها موشحة لسان الدين بن الخطيب «جاءك الغيث» التي فاقت موشحة ابن سهل في الذبوع وانظر كذلك مجموعتي «الدراري السبع» و «الكواكب السبع السيارة»-من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق-وجميع النصوص الواردة فيما على نسق موشحة ابن سهل-وانظر أيضا مجموعة بطرس كرامة «الدراري السبع» وفي «إيضاح المكنون» ج 2 ص 3 ذكر لمجموعة تحمل اسم «السبع السيارة» جمعها الصفوري الشاعر الوشاح الدمشقي المتوفى 1024 هـ.

(6) ترد في «جيش التوشيح» ص 20 وديوان الأعمى التطليلي ص 258.

(7) ديوان الأعمى التطليلي ص 277.

(1) دار الطراز ص 47 و «جيش التوشيح» ص 29.

(2) «دار الطراز» ص 45 ويرد في «الوافي بالوفيات» 41/4/ منسوباً لابن زهر. (3) ص 62.

(1) جيش التوشيح ص 94

(2) المغرب 2/103

(3) ص 13 وفيها: «قد ضمينا».

(4) جيش التوشيح ص 28

(5) جيش التوشيح ص 51

(6) نفسه ص 124

(7) نفسه ص 132

(8) نفسه ص 173

(9) نفسه ص 213

(10) فن التوشيح ص 33

(11) «الزجل في الأندلس ص 49»

(12) د . مصطفى الشكعة، «الأدب الأندلسي-موضوعاته وفنونه» (ص 428)

(13) ص 193

(1) «جيش التوشيح» ص 123 منسوبة لأبي بكر الصيرفي. أما في «المقتطف» لابن سعيد ص 478- وعنه نقل ابن خلدون في المقدمة ج 3 ص 393 فيأتي الخبر التالي: «وكان في عصره (أي في عصر ابن بقی) من الوشاحين المطبوعين الأبيض وكان في عصرهم أبو بكر بن باجة، صاحب التلاحين المشهورة ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى عليه قينات ابن تيفلويت موشحة فيها: جرر الذيل أيما جر وصل السكر منك بالسكر طرب الممدوح. ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين: عقد الله راية النصر لأمير العلى أبي بكر صاح واطرباه، وشق ثيابه وقال: ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلف بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذهب، فخاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتمل بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه.

(2) انظر د . إحسان عباس «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 218

(3) «دار الطراز» ص 38

(4) ص 131 والخرجة لا ترد هنا في صورتها الصحيحة التي تجيء في الموشح المكفر عنه (ص 89 من دار الطراز) وترد الخرجة سليمة في «العاطل الحالي» ص 12 .

(5) «العاطل الحالي» ص 12 .

(6) «المقتطف لابن سعيد ص 486، والنص نفسه في مقدمة ابن خلدون 409/3 ويرد فيه اسم الزجال محرفاً «اليعتع» وانظر كذلك نفع الطيب (ط. محي الدين) ج 9 ص 220 وما بعدها، وفيها أن اسم الزجال: البعيع.

(7) أزهار الرياض 230/2

(8) المرجع السابق 238/2

(9) نفع الطيب (ط. إحسان عباس) 42/1

(10) «نفع الطيب» (ط. إحسان عباس) 280/7 و«أزهار الرياض» 205/2 وفي «أزهار الرياض» كذلك موشحة لابن أبي جمعة التلايسي تتضمن مديحا نبويا . انظر ج 1/247.

(11) ص 201 ط. بومباي (حجر).

(12) الديوان الأكبر ص 202 وانظر تحليلاً لموشحات ابن عربي في دراسة شترن المشار إليها سابقاً ص 81- 91

(13) ديوان أبي الحسن الششتري ص 133 .

(14) ديوان أبي الحسن الششتري ص 142 .

(15) هناك موضوعات أخرى أقل قيمة لم نشأ أن نشغل القارئ بها، منها ما يسوقه المقرئ في «نفع الطيب» و «أزهار الرياض»، من موشحات لابن زمرك في التهاني-وهي فرع من فروع المديح على كل حال-لكن الشاعر يركز فيها على مناسبة اجتماعية تمس الممدوح أو بعض ذويه-وفي الطرد (أو رحلات الصيد) ووصف القصور... بل إن وشاحاً مثل ابن حزمون (صاحب المراثية في أبي الحملات، وقد ذكرناها عند الحديث عن الرثاء) كتب موشحات في الهجاء أوردها ابن سعيد في «المغرب» ومما هجا به القاضي القسطلي:

تخونك العينان يا أيها القاضي فتظلم
لا تعرف الإشهاد ولا الذي يسطر ويرسم

واكتفى محقق المغرب د. شوقي ضيف بالإشارة لهذه الهجائيات وأسقط نصوصها لما فيها من فحش وعرض للسوءات.

القسم الثالث

(1) التقسيمات السياسية الرئيسية بالأندلس هي:

- عصر الولاة: ويمتد من الفتح حتى استيلاء الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل على زمام الأمور سنة 138 هـ (755 م).

- العصر الأموي: ويمتد إلى سنة 422 هـ.

- عصر ملوك الطوائف: وفيه تفككت الدولة العربية في الأندلس على أثر الضعف الذي سرى في أمراء البيت الأموي ودام عصر ملوك الطوائف إلى سنة 493 هـ (1091م).

- عصر المرابطين: ويبدأ باستيلاء يوسف بن تاشفين الصنهاجي ملك المغرب الأقصى، (والذي تسمى بأمر المسلمين) وينتمي لقبائل البربر الملتئمين، وفي عهده أقيمت الخطبة لبني العباس، وامتدت هذه الدولة إلى سنة 541 هـ (1146 م).

- عصر الموحدين: وبلغ ذروة قوته في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، ولكن دب فيها رويداً رويداً، ولم تعد تسيطر في منتصف القرن السابع الهجري إلا على مدينة غرناطة (بالجنوب الغربي من بلاد الأندلس).

- العصر الغرناطي: ويمتد من فترة تأسيس ابن الأحمر لمملكة غرناطة إلى تاريخ استيلاء الأسيبان على المدينة سنة 898 هـ (1492م).

الهوامش

(1) أفضل ما هناك حول الموضوع ما كتبه د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» ص 2 وما بعدها، وانظر كذلك د. إحسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 216 وما بعدها، وبحث للأستاذ شارل بلاعن «الموشح والزجل همزة الوصل بين ثقافات مختلفة» نشر بمجلة كلية الآداب جامعة الرياض (1970).

. محمد بن محمد القبري

مقدم بن معافي القبري

ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد

(2) 2/1: ص 1.

(3) «بغية الملتمس» ط. مجريط 1884م ص 121 - 122.

(4) ج 1 ص 109 (ط ثانية) وانظر جذوة المقتبس ص 86 (ط. بن تاويت الطنجي القاهرة 1952م).

(5) ط مصوره عن طبعة القاهرة 1947 (بعناية محي الدين عبد الحميد) ج 2 ص 30 وراجع في صحة الاسم: (أهو حمود أم محمود) د. الأهواني: «الزجل في الأندلس» ص 4 (هامش).

(6) انظر عن «قبرة»: «الروض المعطار» ص 149 - 150

(7) ص 477.

(8) المقدمة 3/390 وما بعدها.

(9) «نفتح» (ط. محي الدين) 9/220 وما بعدها.

(10) «أزهار الرياض»، ج 2 ص 208 وما بعدها.

(11) «جذوة المقتبس» ط. القاهرة 1966 ص 101.

(12) «فن التوشيح» ص 113.

(13) «عيون الأنبياء في طبقات الأطباء» (تحقيق د. نزار رضا، بيروت 1965) ص 489.

(14) «يتيمة الدهر» (ط. محي الدين) ج 2 ص 5-10. وانظر «جذوة المقتبس» ط. القاهرة 1966- ص 400، و «المغرب» ط 2 ج 1 ص 120 - 121.

(15) ص 487.

(16) 390/3 .

(17) انظر د . الركابي: «في الأدب الأندلسي» ص 287 (هامش) وفيه أن المستشرق دي سلان في ترجمته الفرنسية لمقدمة ابن خلدون توهم أن الاسم المحرف (الفريري) نسبة إلى قرية فارسية توافق هذا الاسم، لكن دوزي صوّب الخطأ في مقال نشر بالجريدة الآسيوية (سنة 1869).

(18) أشار د . الركابي (ص 288) إلى مقالة لجومث نشرها في (الأندلس) سنة 1934 وظن فيها أن محمد بن محمود ومعافي القبري شخص واحد، ثم ذكر مقالة للدكتور الأهواني بالمجلة نفسها (1948) أثبت فيها-استادا إلى مصادر موثوق بها-أنما شخصيتان مستقلتان.

(19) ص 333 .

القسم الرابع

- يوسف بن هارون الرمادي الكندي (أبو عمر)
- عبادة بن ماء السماء (أبو بكر)
- محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز (أبو عبد الله)
- مكرم بن سعيد وابنا أبي الحسن (٤)
- أم الكرم بنت المعتصم

(1) «الذخيرة» قسم أول ج 2 ص 2. وفي الأصل «شعراء عصرنا» وهذا-كما يسجل د . الأهواني في «الزجل في الأندلس» ص 4- هامش-«سهو من الناشرين، ففي الأصلين المخطوطين: (عصره)».

(2) ج 1 ص 392

(3) ص 346 وانظر في مصادر الرمادي ما أورده د . شوقي ضيف: «المغرب» هامش ص 392 من الجزء الأول، ود . أحمد هيكل: «الأدب الأندلسي» ص 287 وفيه فصل جيد عن الرمادي. وانظر «نفع الطيب» ط د . إحسان عباس ج 4 ص 35 .

(4) ص 287، وأحال على «الصلة» ترجمة رقم 1491 و«تاريخ الفكر الأندلسي» لبالثيا ص 68. ويجد القارئ نماذج من شعره في المصادر التي مرّت، وفيما ذكره كل من د . ضيف ود . هيكل ود . إحسان عباس وانظر كذلك «المرقص والمطرب» لابن سعيد .

(5) «الذخيرة» القسم الأول ج 2 ص 1 والنص نفسه في الفوات 425/1 (ط. محيي الدين) ج 2 ص 149 ط إحسان عباس .

الهوامش

- (6) «الذخيرة» القسم الأول ج 2 ص 299 انظر «المغرب» 2 / 34 اوالمراجع المذكورة به . و«الخريدة» ط. الدسوقي وعبد العظيم-ج 2 ص 42 .
- (7) «مسالك الأبصار»-مخطوطة باريس 2327 الجزء 17 (ذكر الشعراء بالجانب الغربي) ورقة 131 .
- (8) «المقتطف» ص 477 .
- (9) «فوات» (ط. إحسان عباس) 2/149 وانظر عنه «المقتبس» ص 346 (هامش، بقلم محقق الكتاب).
- (10) «نفح» (ط. إحسان عباس) 3/411 .
- (11) ص 290 من نسخة صححها وحققها شير محمد زمان (لم تنشر بعد)
- (12) «المغرب» ص 136 ج 2
- (13) «المغرب» ص 137، ج 2
- (14) «فوات» 1/426 (ط. محيي الدين) وذكرها ابن تغري بردي في «المنهل» مخطوطة باريس منسوبة لابن ماء السماء .
- (15) ج3 ص 189-190
- (16) ص 113
- (17) مخطوطة توجد منها نسخ في مكتبة فاتح والمكتبة الملكية بالرياض عن د. الجراري «موشحات مغربية» ص19 .
- (18) «تاريخ الأدب الاندلسي» ج2 ص 231
- (19) «دار الطراز» ص52 وانظر مقدمته (ص 27)
- (20) ابن سعيد «المقتطف» ص 477 .
- (21) انظر عباس الجراري «موشحات مغربية» ص 19 والموشحة في «دار الطراز» ص 65
- (22) «جيش التوشيح» ص 5

(23) «دار الطراز» ص 69

(24) «الخريدة» تحقيق الدسوقي وعبد العظيم 44/2

(25) ص 98

(26) انظر على سبيل المثال ترجمة الأبييض (ج 2 ص 70، ص 670) وترجمة ابن عبد البر (ج 2 ص 13، 478) وترجمة ابن أبي الخصال (ج 2 ص 465، 459) وترجمة المخزومي (2/154، 668) وترجمة ابن بقي (ج 2/130، 667)

(27) هناك أندلسي آخر يدعى ابن عبادة (توفى 532 هـ) له كتب في الحديث، ولا علاقة له بالموشحات.

(28) ج 2 ص 202، وانظر «النفح» ط. محيي الدين ج 5 ص 302

القسم الخامس

(1) انظر عنه «المغرب» 1/389 والمراجع المذكورة ولا ينبغي الخلط بينه وبين أبي بكر ابن عمار المذكور ج 2 ص 229 من نفس المصدر

(2) «توشيع التوشيح»، ص 32.

(3) انظر عنه د. شوقي ضيف «ابن زيدون» ومقدمة ديوانه بتحقيق على عبد العظيم، وفي كتاب د. الركابي «في الأدب الأندلسي» فصل طويل عنه.

(4) انظر ديوانه، نشر كامل كيلاني ص 192، 229 وكذلك مجلة (Arabic) وفيها مقال بعنوان «Un Muwassah d'Ibn Zay dun» فبراير 1978) ص 17-10

(5) انظر عنه «المغرب» 2/18 والمراجع المذكورة بالهامش.

(6) راجع شترن ص 95 وقد عثر على نصها في مجموعة ابن بشرى ونشرها مع ثلاث موشحات أخرى تحت عنوان

Four Famous muwassahs from Ibn busia,s anthology

(7) بالأصل وغنات الطيور على قطوب البان

(8) كذا بالأصل، ولعلها : شمسي

(9) هي في «توشيع التوشيع» منسوبة للحصري»

(10) ذكر د. شوقي ضيف قائمة بمصادر ابن اللبانة بهامش «المغرب» 409/2 كما أورد محقق «جيش التوشيع» قائمة لا بأس بها (ص 243) وانظر «الذخيرة» القسم الثالث ج 1 ص 50 وما بعدها (القاهرة 1975 بتحقيق د. لطفي عبد البديع. وظهر شعره مؤخرًا، مجموعا في ديوان (لا يضم موشحاته) بتحقيق د. محمد مجيد السعيد (البصرة 1977).

(11) تجيء كذلك في «فوات الوفيات» 514/2

(12) ص 133

(13) مخطوطة الاسكوريال ورقة 8

(14) انظر شترن ص 96 وقد نسبت في «العذارى المائسات» لجمال الدين ابن نباته وقيل لابن عزلا-كذا-وهناك موشحة أخرى أولها «شق النسيم أكمامه» جعلها الصفيدي في «الوافي بالوفيات» 299/4 وابن شاكر في «الفوات» لابن اللبانة أما في جيش التوشيع ص 132 فتأتي منسوبة لابن الصيرفي.

(14) انظر عن مراجعه: «المغرب» هامش 376/2، والخريدة 331/2 (ط. الدسوقي وعبد العظيم) وفيها «ابن ليون»-وهو خطأ من أخطاء التحقيق-«جيش التوشيع» ص 262

(15) الخرجة في «جيش» ص 169:

إياك يغرئك صرف رمال يا قد بدالي
ولا معنى لها على هذه الصورة.

(16) انظر عنه «الخريدة» ط. الدسوقي وعبد العظيم 647/2- 653 و 655/2- 666 وكذلك «المغرب» 323/2 ومقدمة ديوانه، بتحقيق عفيفة ديراني وفي «مع شعراء الأندلس» لجومث فصل عن «ابن الزقاق شاعر الطبيعة».

(17) اختلفت المصادر حول اسمه. كما اختلفت حول سنة وفاته، والمتفق عليه أنه توفي ما بين سنة 528 وسنة 530 هـ أما الخريدة فتذكر سنة 540 هـ.

(18) ص 31 والنص ص 147 (الموشحة في ديوانه ص 396، وألحقتها المحققة بالديوان استنادا إلى التوشيع).

(19) مخطوطة الاسكوريال ورقة 10 .

(20) «نفع»-ط. عبد الحميد، 369/5.

(21) «نفع الطيب»-ط. إحسان عباس-452/3، وانظر كذلك ص 607 وما بعدها والمراجع المذكورة بالهامش.

(22) «توشيع التوشيع» ص 32 .

(23) «التكلمة» ط. مجريط/622.

(24) «نفع الطيب»-ط. إحسان عباس-50/4.

(25) شترن، المرجع المذكور آنفا، ص 99

(26) انظر عنه «المغرب» 303/2 والمراجع المذكورة فيه.

(27) راجع عنه «أبو الحسن الحصري القيرواني» لمحمد المرزقي والجيلاني بن الحاج يحيى (تونس 1963) ويتضمن ملمحا عن حياته وكذلك رسائله وشعره.

(28) «الخريدة» ج 2 ص 50- ط. الدسوقي وعبد العظيم.

(29) ص 151

(30) ص 74

(31) «نفع الطيب» ج 5 ص 40 (ط. محيي الدين، ج 493/3 إحسان عباس) ولا ينبغي الخلط بينه وبين محمد بن صالح بن نزار الذي ذكره ابن الأبار في «التكلمة» 372/1 (ط. 1956).

(32) 147/2

(33) انظر عن مراجعه: «المغرب» 451/2 و«جيش التوشيع» ص 231- 233، وجعل كنيته «أبو العباس»، وهذه الكنية ترد أيضا في «الوافي بالوفيات» ج 7 ص 126، وله ديوان حققه د. إحسان عباس. وبعض المراجع تخلط بينه وبين أبي بكر الأعمى المخزومي وكان شديد الهجاء-وانظر عنه

الهوامش

المغرب 1/228- 231 (وأخبار مع نزهون الشاعرة الوشاحية) وفي «الذخيرة»-تحقيق الدسوقي وعبد العظيم-2/154 , و 668/2 وممن خلط بين الأعمى التطيلي والمخزومي هذا د. الركابي في حواشي «دار الطراز» ص 149 وهلال ناجي في حواشي «جيش التوشيح» ص 232 .

(34) «المقتطف» ص 478، والخبر «المغرب» 2/456 مع اختلاف يسير .

(35) هناك بعض موشحات تسبب تارة للتطيلي وتارة أخرى لابن بقي، مثل موشحة «ما الشوق إلا زناد» وتجيء في ديوان التطيلي (ص 289) أما «المغرب» فيجعلها لابن بقي (25/2) وكذلك موشحة «أعيا على العود» (ديوان التطيلي ص 270) وهي في «المقتطف» ص 478 منسوبة لابن بقي وانظر مقدمة «جيش التوشيح» .

(36) انظر عنه «المغرب» 2/127 والمراجع عنه و «الخريدة»-ط. الدسوقي وعبد العظيم 2/160 وجيش التوشيح ص 234- 240 (ملحوظات المحقق) .

(37) في الذخيرة: قتل بعد سنة ثلاثين وخمسمائة وفي «المطرب»: «مات بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة» .

(38) ص 46

(39) ص 478، ولها بقية في مقدمة ابن خلدون، ونشر شترن نصها الكامل نقلا عن «عدة الجليس» في «الأندلس» المجلد 23 ص 339- 369 .

(40) ص 54

(41) انظر عنه «المغرب» 2/417 و «الخريدة»-ط. الدسوقي وعبد العظيم-2/369، وملحوظات محقق «جيش التوشيح» ص 266 .

(42) ج 2 ص 369 (ط. الدسوقي وزميله) .

(43) في المطبوع: «كما بت عندك حتى تبيت عندي» ونظن أن الأصح ما ذكرنا .

(44) انظر عنه «المغرب» 2/119

(45) «المقتطف» ص 478

(46) ص 123

- (47) «الخريدة» 283/2 (ط. الدسوقي وعبد العظيم).
- (48) انظر عنه «المغرب» 1/370 والمراجع المذكورة بالهامش، «وجيش التوشيح» ص 246 ومراجعته.
- (49) في «التكملة» (ط. القاهرة 1956) ج1/348: «يكنى أبو بكر».
- (50) كذا في طبعة «جيش التوشيح» ولعلها «آشى نطلق» لا بمعنى الأسي.
- (51) انظر في ترجمته هوامش د. شوقي ضيف في «المغرب» 19/2 وهامش 130/2 من «الخريدة»- الدسوقي وعبد العظيم وما أورده محقق «جيش التوشيح» ص 233.
- (52) ص 279، ونقل عنه ابن سعيد في «المغرب».
- (53) يذكر ابن الأبار، ص 722 من «التكملة» أن وفاته سنة 545 هـ.
- (54) «الخريدة» ج 2 ص 131.
- ظهرت مجموعة من شعر ابن بقى في «المورد» 1978 (العدد الأول، المجلد السابع)، جمع وتحقي د. محمد مجيد السعيد.
- (55) المغرب 25/2
- (56) «دار الطراز» ص 66.
- (57) «دار الطراز» ص 75.
- (58) «المقتطف» ص 478 ومقدمة ابن خلدون 3/392. وفي الخبر أن ابن زهر قال «ما حسدت وشاحا على قول إلا ابن بقى حين وقع له: أما ترى أحمد في مجده العالي الخ.
- (59) «جيش التوشيح» ص 257 ويمكن أن يضاف إلى ذلك ما جاء في «توشيح التوشيح» ص 31 من ذكر له بين كبار الوشاحين.
- (60) د. الأهواني: الزجل في الأندلس ص 28.
- (61) ترد في جيش: «تقول في حال الصغر لأنها في اشتياق» ولا معنى لهذا الكلام.
- (62) هناك فارق كبير بين الخرجة كما أثبتناها وبين ما يرد في «جيش التوشيح».

(63) انظر عنه وعن مراجعه «المغرب» 388/2 و«الخريدة»-ط. «السدوقي وزميله-484/2» جيش التوشيح» ص 269.

(64) «توشيح التوشيح» ص 31.

(65) هذه الخرجة هي:

أما ترى أحمد في مجده العالي لا يلحق
أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق

(66) ترجم له ابن سعيد في «المغرب» وذكر محققه عددا من المصادر الهامة عنه، ووصفه بأنه أشعر أسرة ابن سعيد (ج 2 ص 164، والموشحة ص 103).

(67) ص 32.

(68) الخريدة (القسم المصري) 284/1 وتضم نماذج كثيرة من شعره.

(69) «الأعلام» ط3 ج 6 ص 185.

(70) انظر عنه «المغرب» 100/1 وهناك العديد من الدراسات عنه يراجع بصددها كتاب د. الأهواني «الزجل في الأندلس» ومقالة لجورج كولان في «دائرة المعارف الإسلامية» الطبعة الجديدة، وانظر نيكل في كتابه «Hispano-Arabic Poetry» ص 266-302 وفضل في كتاب شترن المذكور آنفا. وانظر جومث (Todo Ben Quzman) في ثلاثة أجزاء.

(71) «نفع» (ط. عبد الحميد)، ص 94.

(72) «المغرب» ج 2 ص 214 وانظر المقتطف ص 485.

(73) 385/3 (طبعة إحسان عباس).

(74) والحقها هينريخ بنص «العامل الحالي» انظر ص 185 وما بعدها.

(75) ص 16 وانظر عن مدغليس «الزجل في الأندلس» ص 106 وما بعدها.

(76) «المغرب» ج 1 ص 98 والنص في ج 1 ص 425.

(77) انظر عنه نبذة مستوفاة في «جيش التوشيح» ص 252-256 (كتبها هلال ناجي) وكذلك هامش «المغرب» 118/2.

- (78) ص 102
- (79) ص 478
- (80) ج 4 ص 299 ونقل عنه ابن شاکر في «الفوات» 517/2
- (81) في المطبوع: «فاحملي».
- (82) ص 114، وجعله لأمر ما-: ابن القاسم.
- (83) ص 279
- (84) ص 273 ط بولاق
- (85) ص 14 - 16 . وراجع
- (86) «الزجل في الأندلسي» ص 114 .
- (87) «فن التوشيح» ص 137 وانظر عن ابن غرلة كتاب، «الزجل في المغرب» للدكتور الجراري ص 537 وما بعدها ومجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران ج1 ص 293 وج2 ص 268
- (88) «المغرب» 2/226 و «الخريدة» ط. دسوقي وعبد العظيم-2/669
- (89) «المغرب» 2/150
- (90) «الخريدة» 2/160
- (91) المرجع الذي ذكر له قبلا، ص 106
- (92) الخريدة 1/213
- (93) المرجع السابق/1.214.
- (94) شرحه 2/147
- (95) انظر عنه مقدمة ديوانه بتحقيق د. إحسان عباس وراجع ما كتبناه عنه في «الندوة» بتاريخ 11

(96) انظر في أمر أسرة ابن شرف: «المغرب»، 230/2 والمصادر التي ذكرها المحقق وكذلك «الخريدة»
110/2

(97) «المغرب» 232/2- 234.

(98) «جيش التوشيح» ص 247.

(99) ص 97.

(100) 366/5

(101) ص 53.

(102) ص 526.

(103) «المغرب» 442/2 ومراجع التحقيق، و «جيش التوشيح» ص 259- 261 و «نفع الطيب» ج 5 ص 15 ط. محي الدين) وفيه: ابن الجزائر.

(104) «جيش التوشيح» ص 147.

(105) «توشيح التوشيح» ص 31.

(106) مما: بمعنى أمي. وفي المطبوع: حلال وحرام.

(107) لا توجد عنه معلومات كافية وفي «جيش التوشيح» ص 277 نبذة عنه رجع فيها المحقق إلى «التكملة» 77/1، ترجمة رقم 205- والى «أخبار وتراجم أندلسية» المستلة من معجم السفر للسلفي- ص 16. وشترن في

(Hispano-Arabic strophic Poetry

Las music) يشير إلى ما ذكره ريبييرا في

(de las cantigas)

ص 70 من أن لابن مالك زجلا في «المغرب» والذي نرجحه أن المقصود هنا الموشحة المذكورة في «المغرب» 446/2:

ماذا حملوا

فؤاد الشجى

يوم ودعوا

وفي رايات المبرزين «ص 77 أن اسمه: أبو بكر أحمد

(108) انظر عنه «الأعلام» للزركلي ط 3 ج 7 ص 7.

(109) «عدة الجليس» نقلا عن «الزجل في الأندلس» للدكتور الأهواني ص 10

(110) «المغرب» 121/2

(111) «نفع الطيب»-ط. عبد الحميد ج 6 ص 31

(112) «المغرب» 1/228

(113) انظر النص في «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران ج 1 ص 118 نقلا عن مجموعة الحايك.

(114) انظر «المقتطف» ص 480 و «المغرب» 2/390 و «نفع الطيب» (ط. إحسان عباس) ج 7 ص 8 و «مقدمة» ابن خلدون 3/394.

(115) «المقتطف» ص 480

(116) في طبعة محي الدين (ج 9 ص 222) وجعله د. إحسان عباس (ج 7 ص 9): الزويلي استنادا إلى «المقتطف».

(117) «المقتطف» ص 482 ولعله «ابن يخلف الجزائري» الذي ذكره الغبريني في «عنوان الدراية» ص 77 (ط. نويهض).

(118) في «المقدمة» لابن خلدون 3/399: ابن خرز البجاي.

(119) انظر عنه «المغرب» 2/210 و «نفع الطيب» ط. إحسان عباس، ج 7 ص 8 وبهامشه ذكر لأوجه الخلاف في اسمه الذي يجى أحيانا: إبراهيم. وانظر كذلك: شترن: ص 109.

(120) «المقتطف» ص 480.

(121) المغرب 2/213

(122) اليكي: نرجح أنه أبو بكر يحيى بن سهل اليكي، المشهور بالهجاه. انظر عنه «المغرب» 2/266 ولم نجد له موشحات.

(123) «نفع الطيب» 476/1- ط. إحسان عباس-والخرجة فيها غير معربة، و 22/2- ط. محي الدين-وفيهما تأتي الخرجة معربة.

(124) «المغرب» 111/2 والنص ص 122 .

(125) ج 1 ص 282

(126) «نفع» ط. إحسان عباس-4/204

(127) «المقتطف» ص 481

(128) «المغرب» 1/383 والنص ص 387-388

(129) المرجع السابق 1/296

(130) المرجع السابق 2/114 وانظر عنه دراسة مطولة لا يميليوجارثيا جومث في «مع شراء الأندلس» 115 وما بعدها، ومقالة لنا بعنوان «سر القصيدة التي هزت غرناطة» في «الندوة»-جمادى الأولى 1398 هـ-.

(131) «المغرب» 2/214 و «المقتطف» ص 481 وانظر ما قلناه عن ابن نزار

(132) «المعجب» ص 293.

(133) «المغرب» ج2/262.

(134) الملحوظ أن القافية جاءت هنا موحدة، وهذا يخالف ما نص عليه ابن سناء الملك في «دار الطراز».

(135) راجع عنه: «المغرب» ج1 ص 271 والمصادر التي ذكرها المحقق بالهامش، وكذلك «جيش التوشيح» ص 272 و «نفع الطيب» ط. د. إحسان عباس-2/247.

القسم السادس

(1)-«الغصون اليبانة» ص 42

(2)-المرجع السابق، ص 47

(3)-المرجع السابق، ص 91

(4)-هناك شيء من الاضطراب في اسمه وتاريخ وفاته، ففي النسخ 370/3- ط. محيي الدين-ذكر لعبد المنعم بن عمر الغساني الوادي آشي، المتوفى سنة 603 هـ، ثم ذكر لمحمد بن عبد المنعم الغساني الجلياني (ج 3 ص 391) المتوفى سنة 602 هـ ونظن أن الترجمتين للجلياني. وانظر «الفصون الياضعة» ص 104 - 108 (وبهامش ص 108 أن ديوانه مصور بالجامعة العربية).

(5)-ص 630

(6)-عنوان الدراية (ط. نويهض) ص 334

(7)-الأديب الرحالة الشهير انظر عنه «المغرب» 384/2 وهوامشه، و «نفع» الطيب «ط. إحسان عباس ج 2 ص 381، و «الإعلام» للزركلي 214/6،

(8)-«الإحاطة» 230/2 (ط. عنان)

(9)-عنوان الدراية ص 337

(10)-المرجع السابق ص 67

(11)-«المغرب» 1/249 والمصادر المذكورة بالهامش. والموشحة ترد ص 280-281 والخرجة في «المقتطف» ص 481، واسم الشاعر فيه: ابن حيون

(12)-المرجع السابق 1/305 وعنه بالهامش نبذة هامة.

(13)-المرجع السابق 1/267

(14)-«المغرب» 2:318

(15)-«المغرب» 2/468

(16)-«المقتطف» ص 481

(17)-«المغرب» 2/361

(18)-انظر عنه «المغرب» 1/268

(وخبير في 2/130) و «نفع الطيب»-ط. إحسان عباس، استنتج منه أن وفاة ابن الصابوني كانت سنة 636 هـ.

- (19)-«المقتطف» ص 481
- (20)-«المغرب» ص 120
- (21)-«المغرب» 2/286
- (22)-ص 108
- (23)-ص 482
- (24)-«المغرب» ج 1 ص 263 وأنظر المراجع التي ذكرها المحقق بالهامش، ومن بينها ابن الأبار في «التكملة» والمقري في «النفح» فضلا عن «اختصار القدرح المعلى» لابن سعيد.
- (25)-«المغرب» 1/263 وفيه أنه توفي قبل سنة ثمان وثلاثين وستمائة. ونص ابن أبي أصيبعة على أن وفاته كانت سنة 636 هـ.
- (26)-انظر عنه «نفح الطيب» ط. عبد الحميد، 2/360 (161/2 ط. إحسان عباس، والمراجع)
- (27)-«الاقتباس عن نفح الطيب»
- (28)-ص 63 ط. نويهض).
- (29)-انظر عن ابن سهل «المغرب» ج 1 ص 269 والمصادر المذكورة بالهامش، وكذلك مقدمة ديوانه، وضعها د. إحسان عباس، ص 9-51.
- (30)-انظر عنه مقدمة «ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس المغرب» الدكتور على سامي النشار.
- (31)-مخطوطة باريس، ورقة 221.
- (32)-ص 672؛ «وقال موشحا بطريق التصوف اقترح عليه ذلك، معارضا موشحا لغيلان الغول المصري».
- (33)-ابن أبي أصيبعة: «عيون الأبناء في طبقات الأطباء» تحقيق د. نزار رضا. بيروت 1965 ص 533
- (34)-انظر عنه مقدمة كتاب «المغرب» بقلم د. شوقي شيف.
- (35)-«توشيح التوشيح»، ص 32، وعده «من أهل الديار المصرية» على اعتبار انه أقام فيما فترة من الزمن.
- (36)-ط. إحسان عباس، 7/453

القسم السابع

- (1) الكتيبة الكامنة، ص 81 والمراجع المذكورة بهامشه، وكذلك «نفح الطيب» ط. د. إحسان عباس ج 2 ص 535 وما بعدها، والموشحاتان في النفح ص 557، 556.
- (2)-انظر عن مراجعة «الإعلام» 1/171 ومقدمة ديوان ابن خاتمة بتحقيق د. محمد رضوان الداية (1972م) (وجاء في كتاب د. الأهواني: «الزجل في الأندلس» ص 217 إن الديوان أعدته للنشر المستشرقة الإسبانية صولداد جيبرت، وانه يطبع بالمعهد المصري بمديرد، (في سنة 1957).
- (3) مقدمة الديوان، ص 10
- (4) ذكر محقق الديوان، ص 17 إن القسم الرابع منه في الموشحات والأزجال، لكن لم ترد فيه إلا الموشحات.

- (5) «موشحات مغربية» ص 132
- (6) نثير الجمان (أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن) ص 449
- (7) ج 2 ص 30
- (8) ص 228
- (9) ص 268
- (10) في كتابه المذكور قبلا، ص 363، ولعل التتقيب في المصادر الأخرى يعطي مزيدا من الضوء عن هذا الشاعر.
- (11) يأتي في مقدمة ما ألف عن لسان الدين بن الخطيب كتاب المقرئ «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» وكتب عنه محمد بن أبي بكر التطواني كتابا من جزأين عنوانه «ابن الخطيب من خلال كتبه» وعبد العزيز بن عبد الله: «الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب» وكتاب للأستاذ محمد عبد الله عنان «لسان الدين بن الخطيب: حياته وتراثه الفكري» القاهرة 1968 م.
- (12) كان الفروض أن يقال «ممن عارضوا موشحة ابن سهل» كل اعتبار أنها الأقدم لكن شهرة موشحة لسان الدين بن الخطيب كما أوضحنا طغت على الأصل، وهكذا نرى كثيرين ممن ساروا على هذا البناء يشيرون إلى موشحة ابن الخطيب لا ابن سهل.
- (13) 275/9
- (14) 314/1.
- (15) «نفع» 277/9
- (16) نفع ط. محي الدين 293/9 ولا نعرف من صاحب «بنفسج الليل» لكن هناك على كل حال- موشحة لابن سهل لها نفس البناء هي «باكر إلى اللذة والاصطباج بشرب راح فما على أهل الهوى من جناح».
- (17) ج 9 ص 336
- (18) «نفع» ج 9 ص 216
- (19) «أزهار الرياض» 247/1
- (20) أنظرها في ديوانه، ص 296
- (21) نقلا عن «موشحات مغربية» ص 106- 107
- (22) أهم المصادر عن ابن زمرك: «نفع الطيب» ج ص 4- 127، ص 139- 141 (ط محي الدين) و «أزهار الرياض» 263/1، 263/2- 206 واعتمد في ذلك على كتاب لابن الأحمر (ابن يوسف الثاني ملك غرناطة) يحمل عنوان «البيغة والمدرك من كلام ابن زمرك»-وهو مفقود-وللمستشرق بلاشير دراسة عنه نشرت في حوليات جامعة الجزائر سنة 1936 بعنوان:
- Ibn Zumruk ET son oeuvre
- وأفضل ما كتب عنه دراسة لايمليو جارتيا جومث ترجمها د. الطاهر مكي مع غيرها تحت عنوان «مع شعراء الأندلس والمتنبي»
- (23) «الإحاطة» 314-300/2
- (24) «الكتيبة الكامنة» ص 282. ط عنان

- (25) انظر: جومث، المرجع السابق، ص 264- 265
- (26) انظر عنه «نفع الطيب» ط إحسان عباس 4/529- 548، و «أزهار الرياض» ج 1 ص 72- 102 واعتباراً من ص 548.
- (27) انظر عنه «النفع» الطبعة السابقة ج 6 ص 101
- (28) راجع النص في مجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران ج 2 ص 60
- (29) ص 18
- (30) انظر «النفع» ج 9 ص 293، وراجع ما ذكرناه عن لسان الدين بن الخطيب.
- جاء بعدها في «العذارى المائسات» مدح في الموشحة كتبه ابو عبد الله محمد الارزق (المتوفى سنة 896 هـ) وراجع عنه «الإعلام» 7/181) منه إنها «موشحة حللت السحر، وسرت نواسمها بعنبر السحر.
- بعثت بها عذراء رائعة الحلا
قضت أنها للمعلومات مرشحة
توشحت اللفظ البديع وأقبلت
فها هي تبدو للعيون موشحة!
- (31) انظر عنه «الأعلام» 7/277 والمراجع المذكورة فيه
- (32) «نفع» ط إحسان عباس ج 7 ص 33
- (33) ج 1 ص 145
- (34) نقلا عن «موشحات مغربية» ص 148 (2)-ج 9 ص 272
- (35) انظر عنه «الأعلام» 1/221 والمراجع المذكورة فيه
- (36) ص 2
- (37) مخطوطة الظاهرية
- (38) ج 4 ص 466 (وهو غير ابن خلوف (المسلمي) الذي ذكره ابن رشيق في «الأنموذج».)

القسم الثامن

- (1) انظر عنه «الأعلام» 1/224 والمراجع المذكورة فيه
- (2) «نفع»-ط عبد الحميد-9/280
- (3) المرجع السابق، 9/281 وجعلها له. الدراري في «موشحات مغربية» ص 153 للمسفيوري
- (4) «الدراري السبع» ص 15
- (5) انظر عنه د. الجراي «موشحات مغربية» ص 154 والمراجع العديدة المذكورة فيه، وانظر ما جاء في «الأعلام» ج 4 ص 152
- (6) «نفع الطيب» ج 8 ص 168 (ط محي الدين) وفيه القشتالي. وهذا محض خطأ
- (7) المرجع السابق ج 9 ص 277
- (8) «موشحات مغربية» ص 154
- (9) «نفع الطيب» ج 9 ص 278

- (10) ص 5
- (11) النص الخامس (مخطوطة الظاهرية).
- (12) ج 4 ص 398، وانظر عنه دراسة لنا في «المدينة المنورة»-ملحق التراث-بعنوان «مع العقاد شاعر مكة وموشحته البيتية»، ربيع الثاني 1396 هـ
- (13) أنظر «موشحات مغربية» ص 126
- (14) المرجع السابق ص 127
- (15) أنظر عنه-مقدمة «المنتخب من شعر ابن زكور» و«الأعلام» 230/7
- (16) للموشحات المغربية ص 165 وما بعدها
- (17) موشحات مغربية ص 209
- (18) ذكرها المقرئ في «نفع» 20/3 (ط محي الدين) «لا أدري هل هو لابن زهر أم لا» وانظر بإقوت: «إرشاد» 23/7
- (19) يرد النص في «الدر المكنون» (مخطوطة باريس) ورقة 49
- (20) «موشحات مغربية» ص 182
- (21) «الأغاني التونسية» ص 324
- (22) المرجع السابق ص 320
- (23) شرحة ص 325
- (24) في النص: أحور أحم
- (25) الأغاني التونسية ص 311
- (26) المرجع السابق ص 313
- (27) نفسه ص 194
- (28) نفسه ص 220
- (29) ديوان صفي الدين الحلبي ص 152
- (30) «الأغاني التونسية» ص 223
- (31) ترد كاملة في «الوافي بالوفيات»-مخطوطة بودليان-ج 15 ورقة 87، وفي «الفوات» ط. محي الدين 474/1

القسم التاسع

- (1) انظر عنه «الأعلام» 224/1 والمراجع المذكورة فيه
- (2) «نفع»-ط عبد الحميد-280/9
- (3) المرجع السابق، 281/9 وجعلها له. الدراري في «موشحات مغربية» ص 153 للمسفيوري
- (4) «الدراري السبع» ص 15
- (5) انظر عنه د. الجراي «موشحات مغربية» ص 154 والمراجع العديدة المذكورة فيه، وانظر ما جاء في «الأعلام» ج 4 ص 152
- (6) «نفع الطيب» ج 8 ص 168 (ط محي الدين) وفيه القشتالي. وهذا محض خطأ
- (7) المرجع السابق ج 9 ص 277

- (8) «موشحات مغربية» ص 154
- (9) «نفع الطيب» ج 9 ص 278
- (10) ص 5
- (11) النص الخامس (مخطوطة الظاهرية).
- (12) ج 4 ص 398، وانظر عنه دراسة لنا في «المدينة المنورة»-ملحق التراث-بعنوان «مع العقاد شاعر مكة وموشحته اليتيمة»، ربيع الثاني 1396 هـ
- (13) أنظر «موشحات مغربية» ص 126
- (14) المرجع السابق ص 127
- (15) أنظر عنه-مقدمة «المنتخب من شعر ابن زكور» و«الأعلام» 230/7
- (16) للموشحات المغربية ص 165 وما بعدها
- (17) موشحات مغربية ص 209
- (18) ذكرها المقرري في «نفع» 20/3 (ط محي الدين) «لا أدري هل هو لابن زهر أم لا» وانظر ياقوت: «إرشاد» 23/7
- (19) يرد النص في «الدر المكنون» (مخطوطة باريس) ورقة 49
- (20) «موشحات مغربية» ص 182
- (21) «الأغاني التونسية» ص 324
- (22) المرجع السابق ص 320
- (23) شرحة ص 325
- (24) في النص: أحور أحمر
- (25) الأغاني التونسية ص 311
- (26) المرجع السابق ص 313
- (27) نفسه ص 194
- (28) نفسه ص 220
- (29) ديوان صفي الدين الحلبي ص 152
- (30) «الأغاني التونسية» ص 223
- (31) ترد كاملة في «الوافي بالوفيات»-مخطوطة بودليان-ج 15 ورقة 87، وفي «الفوات» ط. محي الدين 474/1

القسم العاشر

- (1) نفع الطيب (ط إحسان عباس) 530/3
- وقد رجح د. الشكعة في «الأدب الأندلسي» ص 234 أنها «كانت غرناطية عاشت في القرن السابع لأنه-يعني المقرري-ذكرها بين مجموعة من شعراء القرن السابع الغرناطيين ولأن غرناطية نفسها كانت مليئة باليهود المتجمعين فيها» وفي رأينا أن المقرري لم يذكر قسمونة هذه بين مجموعة من شعراء القرن السابع الهجري، فقد ذكر قبلها حكاية عن ابن المرغوي الاشبيلي-من معاصري المعتمد بن عباد-وذكر شيئاً عن شاعر يدعى نسيم الإسرائيلي، وهو ممن تحدث عنهم الحجارى

في «المسهب»

أما محمد المنتصر الريسوني في كتابه «الشعر النسوي في الأندلس»-بيروت 1978- ص 104 فيقول عن قسمونة: «يمكن لنا أن نجعلها ضمن شاعرات عصر الطوائف ذلك أن هذا العصر تميز بازدهار الموشحات، وشاعرتنا قسمونة كانت وشاحة ولا يتكئ هذا الرأي على سند علمي واضح.

(2) توشيع التوشيع»ص 189 وأحال على «إعتاب الكتاب» ص 214- 215

(3) «توشيع التوشيع»، ص 22 ولعله ابن ملوك التتوخي تلميذ الحافظ السلفي انظر «معجم

السفر» ص 170

(4) المرجع السابق ص 32 وقرأ شترن الاسم من المخطوطة على الوجه التالي: تلك الغد

(5) «معجم السفر» ص 170 والنص نفسه في أخبار وتراجم أندلسية ص 21

(6) النص السادس

(7) ص 13

(8) ج 7 ص 57 (ط إحصان عباس)

(9) شرحه، ج 3/334

(10) «المغرب» 1/282

(11) ص 83

(12) ج 5 ص 267 (ط إحصان عباس)

(13) أنظرها في «الوافي بالوفيات» 4/280

(14) ترد في «توشيع التوشيع»، ص 85

(15) تجيء في «الوافي بالوفيات» 4/280

نماذج من الموشحات

(*) التعليقات التي على النماذج والتي على النصوص من وضع صاحب هذا الكتاب.

(*) ترد في «التوشيع» ص 113 و «الفوات» (ط إحصان عباس) 2/151 منسوبة لابن ماء السماء وفي

«الوافي» (2/189 منسوبة لابن القزاز

(1) توشيع: جزت

(2) التوشيع: ينجل

(3) الوافي: بيرد. الفوات: تبرز. توقد

(4) الوافي: وياسنى

(5) الفوات: طرقى

(6) الوافي: حبيك

(7) الوافي: ندى

- ترد في «الفوات» (ط إحصان عباس) ج 2 ص 152 ولم نجدها في أي مصدر آخر

- دار الطراز، ص 71، وأشار إلى الخرجة ص 32، ونسبها لعبادة.

- ترد في «دار الطراز» ص 60 (ومقطع منها ص 29) وجاء قسم منها في «أزهار الرياض» 2/254 و

«نفع الطيب» 380/4

- ترد في «التوشيع» ص 131 وفي «عقود اللأل» مخطوطة «الاسكوريال-ورقة 9 وفي «العذارى المائسات» وقال إنها لجمال الدين بن نباته وقيل لابن عزلا (ولعل الاسم الأخير تحريف لابن غرلة الذي كان ذكرناه من قبل وليست هذه الموشحة من جنس ما وصل إلينا من موشحاته، أما ابن نباته فان ديوانه لا يتضمن هذه الموشحة ولا حتى معارضة لها).

(1) توشيع: قمري

(2) توشيع: التنفيذ (3) التوشيع: لمحا

(4) عقود: البدر

- النص في «جيش التوشيع» ص 70

(1) الخرجة فيه: «اما الفرار وليش دمار» وهي-ولا شك-مبتورة، ولا تتفق مع باقية الإقفال. وفي نسخة حسن حسني عبد الوهاب (صفحة 1 ع).

يا فرجونني ككرس بون

امار الفرار ليش

ولش دمار

ولا تستقيم على هذه الصورة

- ترد في «توشيع» ص 151 ونسبها لابي الحسن علي بن عبد الغني الحصري، وهي في «جيش» ص 74 ضمن موشحات ابن ارفع راسه، ورجحنا إنها له.

(1) جيش: ولا درى الابطا (1) والارطى: شجر الأثل

(2) توشيع: هجيراه

(3) جيش: أماتي غبطا . وعبطا: نحرا

(4) جيش: باسعاد

(5) جيش: حيث قد ابطا (1).

- النص في «جيش التوشيع» ص 168

(1) في الأصل: يجوز حكما (2) في الأصل: اوطف

(3) في الأصل: غرة الجمال

(4) في الأصل صرف رمال يا قد بدالي

- يرد النص في «جيش التوشيع» ص 94.

(1) كذا في المطبوع، ولعلها: حين

(2) صنعان: صنعاء
- ترد كاملة في «جيش التوشيح» ص 147 وهي في «عدة الجليس» دون ذكر قائلها-ونقل د.
الأهواني «الزجل في الأندلس» ص 18 المطلع والخرجة عن مقال غومث (الأندلس سنة 1952)
الخاصة بالخرجات الأعجمية في مجموعة ابن بشرى

(1) جيش: يسطو بأسد
- الموشحة في جيش ص 106 وديوان الأعمى التطيلي ص 261 والتوشيح ص 106 .

(1) الديوان: مسفوح.

(2) توشيح: عليـل.

(3) الديوان: ويا دموع قد أعانت.

(4) الديوان: أصادق.

(5) جيش: حسنت،الديوان: حسنة.

(6) الديوان: لبيك إلا الهو وقل للرقيب، جيش: لبيك لا أُلوى.

(7) الديوان والحسن: مرنى.

(8) في جيش: وسن الجفون، وفي الديوان يشير المحقق «إلى أن الأصل لم يكن واضحاً، ولعله:
«فما بسر ما تصون الجفون».

(9) في الديوان والجيش: كيف أسئ.

(10) الديوان والجيش: نومي غرار.

(11) الجيش: بين جفوني عراز.

(12) الوشيع: أهذي به.

(13) الديوان والجيش: فاعجب.

(14) الديوان: بحقي.

(15) الديوان والجيش: فكل.

(16) كذا جاءت الخرجة في الديوان (وهي بالأعجمية أي بلغة الرومانت) وترد في التوشيع «مر الحبيب انفرم دموار.. كان دشتار.. تنفس أميت كسامواتار» وفي الجيش «ما والحبيب دموصار.. فادر شتار.. بنفس أست كساد موعار» وأوردها د. إحسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 241 نقلا عن مقالة عن الخرجات كان الأستاذ غومث قد نشرها في «الأندلس» سنة 1954، وفيه: موا الحبيب انفرم ذي موامر كن دشتار ننفيس اميب كسد نوليفر ومعناها «حبيبي مريض بسبب الحب-وكيف لا يكون ذلك-آلا ترى أنه لن يرجع إلى أبدا؟»

- أنظرها في «ديوان الأعمى التطيلي» ص 253 وترد في «المغرب» 2/453 و «دار الطراز» ص 43

(1) المغرب: غصن بان (6) الديوان: من محيا الجمر

(2) المغرب: ذا فني (7) المغرب: بن جوى

(3) المغرب: لاعبته (8) المغرب: كلما يذكر

(4) المغرب: لي فيك (9) المغرب: رق

(10) المغرب: ليس محيا (10) المغرب: إلى أن أيسا

(11) دار: ليس عليك ساتدري وفي الديوان: ليس عليك ستدري

(12) المغرب: سايطول

(13) المغرب: وتجرب غيري

- يرد النص في «جيش التوشيع» ص 54 (غير مقابل على أي مصدر آخر)

(1) أخذنا بقراءة نسخة حسن حسني عبد الوهاب

(2) كذا في المطبوع ونشك في صحة القراءة ولعلها: «وأنا ارتع في غير قيد»

(3) بياض في الأصل، وملأناه بما يناسب المعنى

- ترد الموشحة في توشيع التوشيع منسوبة لابن الزقاق (وألحقها محققة ديوان ابن الزقاق إلى

الديوان استنادا إلى ذلك) كما تجئ في «عقود اللأل» مخطوطة الاسكوريال ورقه 10 منسوبة

كذلك لابن-الزقاق بينما نسبها صاحب «نفع الطيب» ج 5 ص 369 إلى أبي بقى

- النص في «جيش التوشيع» ص 175

(1) في المطبوع: أجريت

(2) في المطبوع: حتى

- ترد في «جيش التوشيع» ص 13 ولم نجدها في غيره من المصادر

(1) في المطبوع: قد ضمينا

- النص في «دار الطراز» ص 67 وذكر الخرجة ص 31 ونسبها لابن بقى وترد الموشحة في نفع

الطيب 302/9 مسبقاً بـ ومما يطربني من الموشحات قول بعضهم «وترد الخرجة في توشيع التوشيع» ص 175 في خاتمة موشحة للصفدي بناها على نسق موشحة ابن بقي

- (1) نفع: يوم الطلوع
- (2) نفع: حال
- (3) دار: من
- (4) دار: للسقم
- (5) دار: تطلبه
- (6) نفع: الحد
- (7) نفع: من لا
- (8) نفع: وقد مد

- النص في «المغرب» 103/2

(1) المطبوع: دار

- يرد في «جيش التوشيع» ص 105، و «المغرب» 232/2 (وأهمل محقق الجيش-لأمر ما- أن يقابل بين النصين)

- (1) الجيش: الدرار
- (2) المغرب: على ورد (وذكر المحقق أنها في الأصل: على ود)
- (3) الجيش: من الفخر
- (4) الجيش: بهتز
- * النص في «المغرب» 446/2 هـ «جيش التوشيع» ص 218
- (1) جيش: بالدمع
- (2) جيش: فكهم تهمل
- (3) جيش: إذ غض
- (4) المغرب: يجيل
- (5) المغرب: لما بت
- (6) جيش: ظبي يطلع (7) جيش: لنا فر (8) جيش: الظفائر
- (9) كذا في النص، ولعلها ينأى

(10) في المغرب: مع

- ترد الموشحة في العديد من المصادر من بينها «المغرب» 1/267 و «دار الطراز» ص 73 (غير منسوبة) و «معجم الأدباء» 18/219 و «المطرب»-غير كاملة-ص 200 و «الموافي» 4/40 و «توشيع التوشيع» ص 126 (وقابل محقق التوشيع النص على المصادر السابقة ومن ثم لم نر ضرورة لرصد كل الخلافات) كما ترد في: «عيون الأنباء»-ص 526 وفي «جيش» ص 202 وديوان ابن المعتز (ط. القاهرة 1871)، بعناية عزيز زند والنسبة لأبن المعتز غير صحيحة كما

بيننا وتجيء كذلك في «العذارى المائسات» ص 5 وفي «عقود اللآل»-مخطوطة الاسكوريال-ورقة 6
وسنذكر الفروق بين النسخ عند تحقيقنا للكتاب الأخير
- ترد الموشحة في «المغرب» 1/273 وفي «توشيع» ص 101 وفي «عيون الأنبياء» ص 527

المغرب: نجل. طبقات: كحل

(2) المغرب: أوفى (3) المغرب: النصيح

(4) عيون: تشتتيك (5) المغرب: فاترك. عيون الأنبياء: سام العيون

(6) عيون: سحر وما ودعتني

- النص في «الديوان الأكبر» ط. حجر (بومباي) ص 202 وغنى عن الذكر إن الموشحة على نسق
قول ابن زهر «أيها الساقى إليك المشتكى»

- النص في ديوانه (ط. إحسان عباس) ص 283، وفي «نفع الطيب» 271/9، وعقود اللآل-مخطوطة
الاسكوريال-ورقة 67، وهناك بعض اختلاف في ترتيب الأقفال والأبيات.

(1) نفع والديوان: اطلمت

(2) الديوان: تسلك بي. عقود: غرر تسلك

(3) الديوان: ما لنفس وحدها

(4) عقود: الحسن

(5) الديوان: التذاذي

(6) الديوان: وإذا أشكو بوجدي. عقود: كلما أشكو يوجد باسم

(7) الديوان: والعارض

(8) عقود: فهي (9) عقود: أقحوان (10) عقود: لا يطبق

(11) عقود: الجملة أكحل الطرف (وينقض بعدها القفل والبيت التاليان)

(12) الديوان: من إذا أملى عليه حرقتي طارحتني مقلناه الدنفا

(13) الديوان: تركت أجنفانه (14) الديوان: وأنا اشكره

(15) عقود: ليس لي في الحب

(16) الديوان: تقدت دمعي نار في ضرام تلتظي... مايشا. عقود: منه للنار.

(17) عقود: وهي منار (18) عقود: أسد الغاب

* من ديوان ابن خاتمة الأنصاري تحقيق د. محمد رضوان الداية (1972م) ص 162، وعلق المحقق
على النص بقوله إن: الموشح تام من ستة أقفال وخمسة أغصان وهو موشح غير شعري والخرجة
عامية ولا ننتق معه في تعبير «أغصان» ولا في قوله: إن الخرجة بالعامية فهي خرجة فصيحة
وتؤثر تسمية «الأبيات» بدلا من الأغصان لأنها هي التي عليها ابن سناء الملك.

(1) الحوة: السمرة في الشفة (2) لعل المراد هنا: صغار الطباء (3) اليعفور:

ولد الطبي (4) لاشك في آن التعبير سيئ ولعل لقافية الطاء أثرا في هذه الركاقة

* يرد النص كاملا في «النفع الطيب» 225/9 (ويأتي معظمه في «مقدمة» ابن خلدون/399) وفي

مصادر أخرى منها «عقود اللآل»-مخطوطة الاسكوريال-

(1) عقود: ومقدمه: فسنا الأزهار فيه

(2) عقود ومقدمة: بأبهي

(3) عقود ومقدمة: فيه الفرصا

(4) «مقدمة»: يأذنى فرس

(5) مقدمة: مسكن

(6) عقود: خراب

(7) مقدمة: ومذنب

(8) عقود: وفؤادي

(9) مقدمة: لآعج من

(10) مقدمة: الا الدما، عقود: إلا دما كيقايا

(11) عقود: من ذكر

(12) ينتهي هنا النص في المقدمة

(13) عقود: فتح

(14) عقود: نهب

(15) عقود: حلا

* النص في «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» لابن الخطيب، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، ص 169. ويضم الكتاب موشحة أخرى لابن الخطيب، مطلعها:

قد قامت الحجة

فليعذر العاذر

فالعذل لا يجدي

شيئاً سوى الكرب

وشقوة خاطر

وشدة الوجد

(ص 167) وصدرهما ابن الخطيب بقوله:

«ونظمت في هذه الأيام (ورجح المحقق في المقدمة، ص 4 أن الكتاب لم يؤلف في الفترة ما بين سنة 773-776 أي الفترة الأخيرة من حياة ابن الخطيب التي قضاه في منفا الاختياري بالمغرب الأقصى بل أكد أن الكتاب ألف خلال المدة التي كان فيها ابن الخطيب برفقة السلطان محمد الخامس الغني بالله عندما خلع وأقام بالعدوة. أي من سنة 760 إلى سنة 763) موشحتين استطردت فيهما إلى مدح السلطان، تنويعاً في الوسائل، وسبراً للقريحة».

(1) مدينة بالمغرب الأقصى على المحيط، وأقام بها ابن الخطيب فترة في خلال مدة عزل السلطان، الغني بالله.

* النص في «نفع الطيب 10/104 يتصدرها»: وقال أيضاً من الموشحات الرائقة، في مثل هذه السابقة (إشارة لموشحة: «بالله يا قامة القضيبة» في التشوق إلى غرناطة ومدح الغني بالله) وأشار إلى محاسن، من وصف الرشد.

ويرد النص في «العذارى المأسأت» ص 34 يتصدرها: «وقال متشوقاً إلى غرناطة ومادحا السلطان أيده الله بنصره»

(1) في النفع: «فجفنه كلما استهلا» في العذارى بيتسم

(2) في النفع: كلما تطليف

(3) في النفع: وقلبنا

- (4) في النفع: فيك مبنى
 (5) في العذارى تدعى دثارا
 (6) في النفع: ودرع الزهر... وزين النهر
 (7) في النفع: كبت على روضها (8) نفع: فوّه
 (9) في النفع: شنيها
 (10) نفع: بها تسيّل
 (11) في النفع: به تصف

* ترد في «العذارى المائسات» ص 18 تسبقها جملة «قال.. على أثر قنوله من الحج عام 849»

- (1) في المطبوع: خصل
 (2) في المطبوع: بالمأمول
 وقد جاء في «نفع الطيب» ج 9 ص 293 مطلع موشحة للسان الدين بن الخطيب
 قد حرك الجبلجّل بازي الصباح
 والفجر لآخ
 فيا غراب الليل حث الجناح
 وذكر أنه «معارض للموشح الشهير الذي أوله:
 بنفسج الليل تذكى وفاح
 بين البطاح
 كأنه يسقى بمسك وراح»
 ومن المعارضات الأخرى له قول ابن سهل الأشبيلي «باكر إلى اللذة والاصبطاح» وموشحة لابن
 نباته المصري أولها «ماسح محمر دموعي وساح» وتردان في «عقود اللآل»-مخطوطة الاسكوريال-
 ورقة 5، وتجيء الأخيرة في «نفع الطيب».

* يرد النص في «الدراري السبع: الموشحات الأندلسية» ص 15، وعلى رأسه: «لأبي العباس المنصور سلطان الأندلس»، كما يرد في «الكواكب السبعة السيارة»-مخطوطة الظاهرية-النص السابع، يتصدره «لأبي العباس المنصور مولاي أحمد، سلطان الأندلس». والموشحة-كما هو واضح-مما نسج على منوال موشحتي ابن سهل وابن الخطيب اللتين مرتتا من قبل، وموشحة المنصور السعدي نموذج لموشحات متأخري المغاربة، وقد سقناها-على علاقتها- لتوضيح صنيع هؤلاء المتأخرين في حرصهم-وفي عدم حرصهم-على محاكاة صنيع القدامى.

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

* النبذة عن عبادة بن ماء السماء ترد في القسم الأول من المجلد الثاني، ص 1-2 وأما حديث ابن بسام عن ابن عبادة القرزاي فيجئ في ص 299-300. وأورد ابن شاعر في «الفوات» ج 2 ص 149 من ط. إحسان عباس-نبذة مختصرة لما جاء في الذخيرة، وأما الصقدي في «التوشيح» ص 20 فإنه لا ينقل عن «الذخيرة» إلا عبارة واحدة تقول: «وقال ابن بسام أول من صنع هذه الموشحات بأفقتنا، واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد ابن

- محمود القبري الضيرير، وقيل ابن عبد ربه، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي وأكثر منها» (1) زيادة (عن المطبوع) يقتضيهما السياق.
- (2) في «الذخيرة» > ووضعوا. وأخذنا بما جاء في «الفوات»
- (3) في «الذخيرة» > محمد بن حمود: وفي كثير من مخطوطات «الذخيرة» وكذلك في «الفوات» و«التوشيح» ابن محمود، وهو الأقرب للصواب. وانظر «الزجل في الأندلس» هامش ص 4.
- (4) اختصرت العبارة في «الفوات» فجاءت على النحو التالي:
- «... ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضييف وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في المراكز». ولاحظ أن كلمة (التضمين) جاءت في عدد من أصول كتاب «الذخيرة»- كما يقول محققو الكتاب- في صورة تشبه «التصبير» وجعلوها «أما د. إحسان عباس في تحقيقه لـ «الفوات» فجعلها «التضييف» والكلمة نفسها تجيء في ط. الشيخ محيي الدين من «الفوات» > «التصغير»
- (5) جاء في النسخة المطبوعة من «الذخيرة» > عصرنا. وعلق د. الأهواني على هذا في «الزجل في الأندلس» هامش ص 4 بقوله: «وهو سهو من الناشرين، ففي الأصلين المخطوطين: عصره.
- (6) كلمة (التغيير تبدو لنا غامضة، ولعلها نفس الكلمة التي وردت قبلا في صورة «التضمين» أو «التصبير» أو «التضييف».. الخ.
- (7) في المطبوع: «خارجة عن هذا التصنيف».
- *النص «دار الطراز في عمل الموشحات» تحقيق د. جودت الركابي، ص 25- 39 ولم تختصر منه إلا ما كان خارجا عن نظرية الموشح، مثل الصفحات الأخيرة، إذ أنها مما يتصل بموشحات ابن سناء الملك نفسه.
- وقد حقق الكتاب استنادا إلى مخطوطتين في كل من دار الكتب بالقاهرة وليدن، وطبع في فترة لم تكن قد نشرت فيها أعمال هامة في مضمار الموشحات، وقد كان ظهور «دار الطراز» سنة 1949 عاملا من العوامل التي ساعدت على تقدم الدراسات المعنية بفن التوشيح.
- وهناك مخطوطات أخرى من «دار الطراز» سنتحدث عنها في غير هذا المجال.
- (1) لعل هذه الموشحة أشهر ما خلف التطيلي، وترد في العديد من المصادر مثل «دار الطراز» و «جيش التوشيح والمغرب» وعارض هذه الموشحة عدد كبير من وشاحي المغرب والمشرق.
- (2) أول موشحة للأعمى التطيلي، وترد بتمامها في «دار الطراز» و «جيش التوشيح»
- (3) في «دار الطراز» و «الوافي بالوفيات» 4/4 و«عيون الأنبياء» ص 526
- (4) يرد بتمامه في «الدار»
- (5) يرد بتمامه في «الدار وفي جيش التوشيح» منسوبا للأعمى التطيلي.
- (6) يرد بتمامه في «الدار» وينسب أحيانا لابن زهر.
- (7) يرد بتمامه في «الدار»، ولا نعرف لمن هو.
- (8) أثار هذه الجملة طائفة من المناقشات، على النحو الذي سبق أن سقناه عند الحديث عن التزييم وعن ابن غرلة.
- والعجيب أن ابن سناء الملك لا يذكر مثلا عل هذا النوع لان موشحة «العروس» جاءت مزمنة، وكان يستطیع أن يمثل به بغيرها، كما فعل الصفدي في «توشيح التوشيح»
- (9) مطلع موشحة لابن اللبانه، ترد في «دار الطراز» وفي «جيش التوشيح»
- (10) ترد هذه الموشحة في «دار الطراز» والإشارة في المقدمة لـ «عبادة» تجعل النص ينسب تارة

- لعبادة بن ماء سماء، وتارة أخرى لابن عبادة القرزاز .
- (11) مطلع الموشحة رقم 10 في «دار الطراز» (أفردت بالحسن) ويرد في مجموعة ابن بشرى بدون ذكر اسم المؤلف. وينسب في بعض الأحيان لابن بقی
- (12) مطلع الموشحة رقم 11 في «دار الطراز» أوله «كم ذا يؤرقني ذو حدق» وهي-كما ذكر ابن سعيد في «المغرب» 414/2- لابن اللبانة
- (13) مطلع الموشحة رقم 12 في «دار الطراز» وأولها «كذا يفتاد» ويرد منها قسم في «المغرب» 2/415، وهي في «جيش التوشیح»: > كذا يعتاد
- (14) يرد بتمامه في «دار الطراز»، ولا نعرف لمن هو .
- (15) أول الموشحة «بأبي أحوي رشيقي» وهو الموشح الرابع عشر في «دار الطراز»
- (16) أول الموشحة «كم في قدود البان»، ويرد بتمامه في «دار الطراز» ونسبه المقري في «النفح» و «أزهار» لابن عبادة، ونسبه ابن بشرى في «عدة الجليس» لعبادة المري .
- (17) ترد كاملة في «دار الطراز»، ولا نعرف لمن هي .
- (18) من موشحة مطلعها، «أعيا على العود» وتختلف المصادر في نسبها، وهي تجئ في «جيش التوشیح» على أنها للأعمى التليلي، وجاءت خرجة الموشحة في «المقتطف» منسوبة لأبي بقی .
- (19) وردت هذه الموشحة بتمامها في «دار الطراز» وجعلها لسان الدين بن الخطيب في «جيش التوشیح» من موشحات ابن بقی، وجعلها ابن بشرى في «عدة الجليس» لعبادة الملقى .
- (20) أول الموشحة: أعجب الاشيا رعى الإمام .
- وترد في «دار الطراز» على أنها لابن بقی استنادا لهذه الإشارة في المقدمة .
- (21) أول الموشحة: «مالي شمول إلا شجون»
- وهي في «دار الطراز» و«عدة الجليس» منسوبة لابن بقی .
- (22) هذه هي القاعدة العامة، وشذت قلة قليلة فيما يتصل بهذا الشرط، أما متأخروا الموشحين فقلما اهتموا بذلك (انظر، على سبيل المثال، موشحات ابن زمرك) .
- (23) انظر ما ذكرناه عن ابن عبادة القرزاز .
- (24) ترد الموشحة في «دار الطراز»، وأولها: «يطغى وجيبي» .
- (25) أول الموشحة في «دار الطراز»: > «رح للراح وباكر» .
- (26) الموشحة في «دار الطراز» وفي مجموعة ابن بشرى بدون ذكر مؤلفها .
- (27) تحدثنا من قبل عن هذه الموشحة، وأمر نسبتها لابن المعتز . وانظر ما ذكرناه عن ابن زهر .
- (28) أول قصيدة ابن المعتز: عرف الدار فحياها وناحا بعد ما كان صحا واستراحا
- (29) أول الموشحة: «أتشكو وأنت تعلم حالي»
- وترد بكاملها في «دار الطراز» .
- (30) في المرجع نفسه، ص 77، وفي «جيش التوشیح» .
- (31) الموشحة لابن بقی، وترد في «دار الطراز» .
- (32) علق د . إحسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 225 على استعمال الأرعن في تلحين الموشحات بقوله: «وأنا أرى أن ابن سناء الملك قد يكون واهما أو مغاليا، لأن الأرعن ليس

بالآلة السهلة التي يمكن اقتناؤها، إذا تصورنا مدى شيوع الموشح في أوساط مختلفة مع الزمن، وإما أن يكون تنغيماً على الأرغن هو أوفق ضروب التلحين لا وهذا يمثل دوراً تالياً لدور نشأتها اكتشف من بعد».

ونحن مع وجهة النظر هذه لأن ابن سناء الملك سيتحدث بعد قليل عن غناء الموشحة ذاكراً أن «المغني ببعض الآلات يحتاج إلى أن يغير شد الأوتار عند خروجه من القفل إلى البيت، وعند خروجه من البيت إلى الأقفال»، وهذا التغيير ميسور بالنسبة لآلة مثل العود ولكنه عسير بالنسبة لآلة أكثر تعقيداً كالأرغن.

(33) يرد النص بتمامه في «دار الطراز» وفي «جيش التوشيح» منسوبة للأعمى التطيلي، ويحجى كذلك في مجموعة ابن بشرى.

(34) يجيء النص بتمامه في «دار الطراز» ويستدل من المقدمة أنه من موشحات الأعمى التطيلي.

(35) النص لابن بقى بحسب ما جاء عند ابن بشرى.

(36) انظر دار الطراز ص 83.

(37) في «دار الطراز» ص 83، وهو آخر النصوص الأندلسية الواردة فيه.

(38) انظر ما سقناه عن الموشحات الدينية والصوفية. وابن سناء الملك اكتفى بأن قدم في «دار

المقتطف من أواخر الطرف

الطراز» موشحة له من هذا النوع «المكفر» انظر ص 131.

* نشر هذا النص د. عبد العزيز الأهواني ضمن بحث بعنوان «ابن خلدون وتاريخ فني التوشيح والزجل» طبع في «أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة سنة 1962 ص 473-487. اثبت فيه أن ما في «المقدمة» من حديث عن الموشحات والأزجال نقله ابن خلدون «كله نقلاً حرفياً، وأودعه في مقدمته دون

تصرف أو تغيير» و يضيف:

«حقاً إن في نص ابن خلدون بعض سطور تزيد على ما بين أيدينا من نسخة المقتطف، ولكن مراجعة هذه الزيادات اليسيرة يقطع بأن بعضها كان في أصل المقتطف، أما البعض الآخر من هذه الزيادات فنرجح أنه أيضاً كان في الكتاب ثم سقط في نسختنا، لأنه يتفق مع سياق نص ابن سعيد».

هذا ما يقرره د. الأهواني،. وإذن فليس لابن خلدون في نهاية المطاف إلا التمهيد والتذييل على ما جاء في «المقتطف» ونحن لا نستبعد مع ذلك أن تكون بعض الزيادات من وضع ابن خلدون، مثل الفقرة التي جاءت من شعر التطيلي «كيف السبيل» وقطعة ابن الصابوني التي أولها «ما حال صب» وهذه الزيادات لا تمثل في حقيقتها شيئاً ذا بال، والنص الذي في «المقدمة» عن الموشحات إنما هو نقل عن ابن سعيد.

أما المقري فإنه يسوق في كتابه نفع الطيب (ج 9 ص 220 من ط-محيي الدين، ج 7 ص 5 عن ط. إحسان عباس) و«أزهار الرياض» (ج 2 ص 208) مختصراً لما جاء في مقدمة ابن خلدون، ولا يزيد عليه إلا زيادة لا يعتد بها، تتمثل في ذكر تنمة موشحة لسان الدين بن الخطيب «جارك الغيث» وكان ابن خلدون قد أورد معظمها، ولكن أهمل جانباً منها.

وتقابل هنا بين القطعة الخاصة بالتوشيح في «المقتطف» وفقاً للنص الذي نشره د. الأهواني وبين

مقدمة ابن خلدون (ط، كاترمير) ج 3 ص 390 وما بعدها، ونشير كذلك للنص حسب ما أوردته المقرئ.

(1) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحجاري (المتوفي سنة 562 هـ)، صنف كتابه المسهب في سنة 530 لعبد الله بن سعيد، صاحب قلعة بني سعيد من أعمال غرناطة، وأعجب هذا بالكتاب أيما إعجاب، وعكف على تنقيحه، وكان أن تابعت على الكتاب بعد ذلك جهود أربعة آخرين من أسرة ابن سعيد، آخرهم علي بن سعيد المغربي المتوفي سنة 685 هـ، وهو الذي ضم جهود من سبقه ونسقتها وأخرجها للناس تحت عنوان «المغرب في حلى المغرب». راجع مقدمة «المغرب» للدكتور شوقي ضيف ص 9-1. وكتاب «المغرب» لم يصل إلينا كاملاً، ولا تتضمن النسخة المطبوعة شيئاً من حديث الحجاري هذا عن الموشحات.

(2) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، (المتوفي سنة 637 هـ)، له شروح على كثير من أمهات الكتب مثل «الكامل» للمبرد و«الأمالى» للقاللي، وله كتاب في «آداب أهل بطليوس» انظر عنه «المغرب» 1/369، وراجع «الأعلام» 1/60.

(3) قدمنا نبذة عن ابن زهر، وعن غيره من الوشاحين المذكورين في النص، ولم نجد ضرورة لتكرير ما سقناه عنهم.

وقد قدم ابن خلدون للنص الذي نقله بالآتي:

«وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهدبت مناخيه وفنونه وبلغ التميمق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً أسموه بالموشح ينظمونه أسماطاً أسماطاً، وأغصاناً أغصاناً يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة؛ فيسمون المتعدد منها بيتاً واحداً، و يلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينهى عندهم إلى سبعة أبيات. و يشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب، و ينسبون فيها ويمدحون، كما يفعل في القصائد. وتجاوزوا في ذلك إلى الغاية، واستطرفه الناس، وحمله الخاصة والكافة، لسهولة تناوله، وقرب طريقتة.

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريري، (وهذه-ولاشك قراءة غير دقيقة للنص، وجاءت مثل هذه الأخطاء في كثير من طبعات المقدمة، والاسم في «النفح» جاء على وجه الصحيح: مقدم بن معافي القبرى) من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني، وأخذ عنه ذلك عبد الله بن عبد ربه (في النفح: وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربه) صاحب كتاب العقد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت مرشحاتهما فكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز...».

(4) في المطبوع من المقتطف، وفي «النفح» > ولم تسلم. وفي «المقدمة» و«ليس تسلم.

(5) زيادة من «المقدمة» وترد في «النفح».

(6) في المقدمة والنفح: وذكر غير واحد من المشائخ أن أهل هذا الزمان بالأندلس.

(7) النفح: المغرب.

(8) المقدمة: منا. وأسقط المقرئ فقرة «وصل السكر منك بالسكر».

(9) جملة: «ولما ختمها...» ساقطة من المقدمة والنفح.

(10) في «المقتطف»: > الأمير العلي (ولعلها غلطة مطبعية).

(11) غير ابن خلدون من ترتيب العبارات بما لا يبدل المعنى.

(12) في المقدمة: أبو الخطاب.

(13) في المقدمة: ذكر أبي بكر.

- (14) في المقتطف والمقدمة: فغض.
- (15) أسقط المقرئ كل ما جاء من قطعة الأبيض.
- (16) الزيادة من «المقدمة».
- (17) في المقدمة: الحسن بن دويريده.
- (18) ترد الموشحة بتمامها في «دار الطراز» دون ذكر مؤلفها، وأولها في الدار:
- شمس قارنت بدرا راح ونديم
- وتجيء في «الوافي بالوفيات» ج 4 ص 41 و «عيون الأنباء» ص 526 منسوبة لأبي بكر بن زهر. ومن المراجع الحديثة من نسبته لحاتم بن سعيد، وهذا -ولا شك- محض خطأ.
- (19) في المقدمة والنفح والأزهار: الدويني.
- (20) في النفح: هو.
- (21) ناقص من المقتطف.
- (22) ناقص من المقتطف ومن المقدمة والنفح (وأضافه محقق النفح الشيخ محي الدين استناداً إلى طبعة أخرى من المقدمة).
- (23) نفح: موفق.
- (24) في «المقتطف» ومقدمة ابن خلدون والنفح: ابن حيون، وصوبنا الاسم استناداً إلى ما في «المغرب» (انظر ما ذكرناه عن: ابن حنون).
- (25) المقدمة: سهمه.
- (26) هذه الفقرة رسمت في المقتطف ومن نقل عنه على شكل عبارة نثرية، كما وهم ابن خلدون عندما وصف موشحة ابن حنون بأنها «زجل مشهور» انظر الموشحة بتمامها في «المغرب» 1/281.
- (27) المقدمة: يدي.
- (28) المقدمة: يومئذ.
- (29) في المقدمة: أخبر ابن سعيد عن والده أن مصرفاً هذا.
- (30) المقدمة: فقال لا تفعل فقال ابن الفرس.
- (31) في المقدمة: قلوب تصاب.
- (32) كلمة (قلوب) ساقطة من المقدمة.
- (33) في المقدمة: وبعد هؤلاء.
- (34) في المقدمة: ذكر ابن الرئس أن يحيى الخزرجي.
- (35) المقدمة والنفح: قلب العليل.
- (36) في الأصل: «قال ابن سعيد: كان والدي».
- (37) زيادة من المقدمة، وترد في النفح.
- (38) في المقدمة والنفح: «قال ابن سعيد كان والدي».
- (39) في المقدمة والنفح: أعانق بالفكر... وألثم بالوهم.
- (40) في المقدمة والنفح: فنجوم.
- (41) في النفح: ولا بالمثل.
- (42) في النفح: قد قدحت.
- (43) في المقدمة: ابن خرز البجاوي وله من موشحة.
- (44) في المقدمة: «موافق... حباك منه». وبعدها:

ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبته (في الأصل: تسببة) من بعدها وهي قوله:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى
قلب صب حلّه عن مكنس
فهو في نار وخفق مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيه صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره، وقد مر ذكره، فقال:

جادك الغيث إذا الغيث همي
يا زمان الوصل بالأندلس

وذكر ابن خلدون معظم الموشحة ولكنه أسقط المدحي منها، ونقل المقرئ السطور السابقة وأضاف في نهايتها: «إلى هنا انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين، ولا أدري لم لم يكملها، وتامها قوله:

الغنى بالله عن كل أحد
وإذا ما فتح الخطب عقد الخ.

(45) علق الدكتور الأهواني على هذه الفقرة قائلاً: في «المقدمة» زيادة أربع فقرات من هذا الموشح هذه الفقرات هي:

كللي يا سحب تيجان الريى بالحلي
واجعلي سوارها منعطف الجدول

لكن المؤكد أن الفقرات الأخيرة ليست من موشحة «حبيبي أرفع حجاب النور» وقد ناقشنا ذلك تفصيلاً في بحث بعنوان «مظفر العيلاني وموشحة كللي يا سحب».

«الندوة»، 14 محرم 1398 هـ وفي «نشأة فن التوشيح بالمشرق» ص 330 وص 346. ونص موشحة «حبيبي أرفع حجاب النور» (ولم يسبق نشره) سنقدمه للقارئ في كتابنا عن «الموشحات المشرقية». * النص نقلًا عن «توشيح التوشيح» بتحقيق البيبر حبيب مطلق، ص 19 إلى 32 وأسقطنا ما نقله الصفدي عن مقدمة «دار الطراز» اللهم إلا ما اقتضى السياق ذكره.

(1) انظر نص ابن بسام وعبارته لا تقول أن الرمادي «أكثر من الموشحات» بل أكثر من استعمال «التضمين-9-في المراكيز». (2) جاء عنه في «المغرب» ج 2 ص 317.

«أخبرني والدي: أنه كان شهير الذكر، جليل القدر، متصدرا لإقراء العربية ببلنسية في مدة منصورين عبد المؤمن» وتوفي بأشبيلية سنة 571 هـ واتفق د. شوقي ضيف (هامش المغرب) والزركلي («الإعلام» 53/5) على أنه توفي سنة 571 أماد. إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي ج 2 ص 218 فيجعل وفاته سنة 525 هـ (وانظر عنه «زاد المسافر» ص 103 و «الذيل والتكملة» 1/187، «والتوشيح»-ملحوظة للمحقق-ص 199.

ولابن سعد الخير كتاب اسمه «مشاهير الموشحين بالأندلس» أو «نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس» هو-ولا شك-الذي نقل عنه الصفدي.

(3) ليست هذه الجملة-في واقع الأمر-للصفدي بل لابن سناء الملك. انظر «دار الطراز» ص 25.

(4) لم يجيء هذا المثال في «دار الطراز» لأن ابن سناء الملك الذي لم يجد أمامه فيما يبدو إلا نموذجًا تخلله التزئيم، ومن ثم أسقطه. راجع ما قلناه عن ابن غرلة، وعن ظاهرة التزئيم. (5) هذه العبارة لم تجئ في «الدار».

(6) ذكرنا هذه الفقرة لما لها من ارتباط وشيخ مع ما قبلها، من قبيل إيرادها لاسم ابن سعيد المغربي من بين الشعراء المصريين، لأنها تصور الامتداد الطبيعي للموشح، من الأندلس والمغرب نحو المشرق، ابتداء من مصر انظر دراستنا عن «نشأة فن التوشيح بالمشرق».

المؤلف في سطور

د. محمد زكريا عناني

* ولد بمصر سنة 1936 م

* تخرج في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية سنة 1961 بامتياز مع مرتبة الشرف.

* تابع دراسته في جامعات الولايات المتحدة وفي فرنسا حيث نال (سنة 1968) درجة دكتوراه التخصص في النقد، ثم دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون (1973) بمرتبة الشرف الأولى.

* عمل بالتدريس في بعض الجامعات والمعاهد العليا بفرنسا ومصر ويعمل حاليا بجامعة الملك عبد العزيز (بمكة المكرمة).

* ظهرت له أكثر من خمسين دراسة في مجالات الأدب والنقد والتحقيق.



تكنولوجيا السلوك الانساني

ترجمة: د. عبد القادر يوسف